شهر محرم
شهر صفر
شهر ربيع الأول
شهر ربيع الثاني
شهر جمادى الأولى
شهر جمادى الآخرة

Al-Sada

Cultural Quavterly Journal For Hegira Events

Issued by the al _abbas holey shrine Department of Intellectual and Cultural Affairs Division of thought and creativity

بسم الله الرحمن الرحيم

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمُ
سورة الزلزلة: الآية/ ٧.

الإشراف العام
السيد عقيل عبدالحسين الياسري

رئيس التّحرير
صباح نعيم الصافي

مدير التّحرير
محمد الأسدي

هيأة التّحرير
رضوان عبد الهادي
حيدر الدفاعي
محمد يوسف

المراجعة اللغوية
محمد رضا جاسم

التصميم و الإخراج
حسين عقيل
حيدر فائق هادي

التنفيذ الطباعي
دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

للاشتراك

تستقبل مجلة الصدى المشاركات (البحوث والمقالات) باللغة العربية، ووفق المحاور التي تغطي أحداث السنة الهجرية وتتناول السيرة العطرة للنبي الأكرم ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام.

ترسل المشاركات على العنوان الآتي:
العراق / كربلاء المقدسة / مجمع الكفيل الثقافي / شارع الاسكان / خلف متنزه الحسين عليه السلام الكبير

التواصل مع المجلة:

alsadda@alkafeel.net
info@alkfeel.net

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية
٢١٩٤ لسنة ٢٠١٦م

في البدء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسَّلام على الرَّسول الأعظم محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدين.

حينما نأتي، ونريد أن ندرس حياة المعصومين ﷺ، سنكون أمام ثلاثة أنواع من الدراسات:

النوع الأول: يعتمد على استقراء ما صدر منهم ﷺ من أعمال خارقة للقانون الطبيعي، أو وبعبارة أدق الإتيان بقوانين جديدة ليست مألوفة عند البشر، أو لا يمتلكون القدرة على الإتيان بمثلها، فتكون النظرة العامَّة والغالبة هي النظر إليهم بصورة غيبية، والاهتمام بمعاجزهم، وما صدر منهم من كرامات دون غيره من الجوانب.

وقد ألفت العديد من المؤلفات، والموسوعات التي تهتم بهذا الجانب؛ تعظيماً، وتكريماً لذلك المعصوم ﷺ.

ومن أهم إيجابيات هذه الطريقة أنَّها تركز العقيدة السليمة في الإنسان، كما أنّها تدعو الى احترام، وتقديس المعصوم، وهذا بدوره يكون جرس إنذار إذا حاول شخص أن ينتقص من مقامه ﷺ، فمن خلال هذه الدراسة يعرف المتتبع أنَّ هؤلاء الصفوة مرتبطون أشدَّ الارتباط بالله عز وجل، وأنّ طبيعتهم، وأصل خلقتهم تختلف عن الآخرين، وهذا التوجه مهم، ومفيد أن نعرف أنَّ هؤلاء لهم رعاية خاصة من الله تعالى، وأنَّهم قد مروا بعوالم قبل هذا العالم، وأنّهم خلقوا من طينة تختلف عن طينتنا التي خلقنا منها، وأنَّ الذاكر لهم هو ذاكر لله تعالى، والأهم من ذلك كلّه إنَّ الطريق إلى معرفة صدق النبيّ ﷺ والوصيّ ﷺ ليس إلَّا ظهور المعجز أو خبر نبيّ ثابت نبوّته بالمعجز، " فالسفارة الإلهيّة من المناصب العظيمة التي يكثر لها المدّعون، أو يرغب في الحصول عليها الرّاغبون، ونتيجة هذا يشتبه الصّادق بالكاذب، ويختلط المضلّ بالهادي، وإذن فلا بُدّ لمدّعي السفارة أن يقيم شاهدًا واضحًا يدلّ على صدقه في الدّعوى، وأمانته في التبليغ، ولا يكون هذا الشاهد من الأفعال العادية

التي يمكن غيره أن يأتي بنظيرها، فينحصر الطريق بما يخرق النواميس الطبيعيّة" البيان في تفسير القرآن: ٣٥.

وهذا النوع من الدراسة، والتحليل لحياة المعصوم ﷺ، يكون ذا فائدة، ولكن بشرط أن يكون صادراً من المعصوم نفسه، وأن يكون ضمن الحدود التي رسمها القرآن الكريم، والعترة الطاهرةﷺ.

النّوع الثّاني: ويتركّز هذا النوع من الدّراسة في الاطلاع، وإلقاء الضوء على كلمات وسلوك وأخلاق المعصوم؛ حتى نستطيع أن نهتدي بهداهم، ونسير في طريقهم، وهذا بدوره يرفع من مستوى السلوك والأخلاق، ويُساهم في تهذيب النّفس، غير أنّه لا يهتمّ بالجانب الغيبي الذي يمتلكه المعصوم ﷺ، ومن أهمّ سلبيّات هذا الجانب التقصير في مقام المعصوم ﷺ، وهذا بدوره يخرج الإنسان عن خطّ الإيمان، والتّوجّه إلى الله تعالى.

النّوع الثّالث: التّوازن بين الجانبين، وذلك يكون بالتركيز على الجانب العلمي، والعملي للمعصوم ﷺ دون إنكار الجانب الغيبي الموجود، وهذا ما يُحقّق تطابق الإيمان والعمل، وامتزاج العقيدة بالسلوك.

إنَّ المعصومين ﷺ أشخاص انتخبهم الله تعالى، واجتباهم، واصطفاهم، وخلقهم بعناية خاصّة من أجل إنقاذ هذه البشرية، ليس كأيّ شخص عاديّ، ولكن في الوقت نفسه هؤلاء يبقون في دائرة العبودية لله عز وجل، وفي دائرة البشرية، (**قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**)، لكن هناك فرق (**يُوحَىٰٓ إِلَيَّ**)سورة الكهف/ الآية: ١١٠. كما في القرآن الكريم.

المحتوى

شهر محرم

مفاهيم عاشوراء الأنموذج العالمي لحماية حقوق الإنسان ١١

كونوا مع الإمام الحسين عليه السلام ٢٥

العباس عليه السلام بين الطاعة والتسليم ٤٥

أوفى وخير الأصحاب بين القصدية والمقبولية ٦١

شهر صفر

انحراف وخذلان الأمة وأثره في خلافة الإمام الحسن عليه السلام ٨٥

زيارة الأربعين في كلمات الأوصياء والعلماء ١٠٥

شذرات اجتماعية من الحياة الرضوية ١١٧

ربيع الأول

أدوار من حياة الإمام العسكري عليه السلام ١٣٥

الدعوات المهدوية الكاذبة ١٤٩

بشرية النبي محمد صلى الله عليه وآله وأثرها في تفسير النصوص القرآنية..... ١٦١

كيف نتعامل مع الاختلاف السلبي؟ في ضوء أحاديث الإمام الصادق عليه السلام..... ١٨٥

ربيع الثاني

ثاني الشهيدين الشيخ زين الدين بن علي الجبعي العاملي ٢٠٣

جمادى الأولى

من فكر السيدة الزهراء عليها السلام..... ٢١٥

جمادى الآخرة

الدور الإعلامي لأم البنين عليها السلام في واقعة الطف..... ٢٣١

شهر محرم

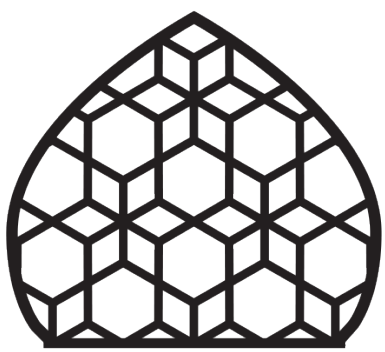

- مفاهيم عاشوراء الأنموذج العالمي لحماية حقوق الإنسان
- كونوا مع الإمام الحسين عليه السلام
- العباس عليه السلام بين الطاعة والتسليم
- أوفى وخير الأصحاب بين القصدية والمقبولية

مفاهيم عاشوراء الأنموذج العالمي لحماية حقوق الإنسان

م.م. علية مسير رسن الحميداوي

المقدمـــــــة:

يولد جميع الناس أحراراً ومتساويين في الكرامة والحقوق. وهم قد وهبوا العقل والوجدان، وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

هذا ما نصت عليه المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي اعتمدته الجمعية العامّة للأمم المتحدة عام ١٩٤٨م، إنَّما يبقى السؤال الآتي: إلى أيّ حدّ طبّقت هذه المادة، وحصل الإنسان على حقوقه؟!!

لذا ومن السؤال السّابق ورد الإحساس بالحاجة الى الكتابة في هذا الموضوع، ومن أجل الوقوف على ماهيّة حقوق الإنسان ومفهومه والتّعريفات الواردة بهذا الصدد، فضلاً عن المقارنة التي في النيّة عقدها بين مفاهيم عاشوراء المتجسّدة في النّص الحسيني، وبين العهود والمواثيق الدّولية بشأن إقرار وحماية حقوق الإنسان.

ارتأينا بعد ذلك تقسيم هذا الجهد المتواضع إلى مقدّمة وتمهيد يتناول الحق لغة واصطلاحاً، والوقوف عند أبرز التعريفات الواردة بخصوص حقوق الإنسان، ثم الحديث عن مطالب أهمّها: المطلب الأول جرى الكلام فيه عن حقوق الإنسان في المنظور الغربي، أمّا المطلب الثّاني فقد تناول حقوق الإنسان في المنظور الإسلامي.

بعد ذلك نأتي إلى الفصل الأول، وكان يعنى بالوقوف على الاختلاف الحقيقي والحقوقي وتقاسم الدّور الرسالي للمرأة والرجل في المجتمع.

أمّا الفصل الثاني فكان منصباً على حقوق الإنسان بين النّص الحسيني والمواثيق الدّولية، وبعد إجراء المقارنة يتم التّوصّل إلى الخاتمة التي تضمّنت أهم النتائج، ثمَّ المصادر والمراجع.

وأخيراً الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على محمد وآل محمد، وعجل اللهم لوليك الفرج والنصر إنّه سميع مجيب.

التمهيد:

كثر الحديث عن حقوق الإنسان في العالم الإسلامي والعربي، حتى بات لزاماً علينا القول إنَّ الإنسان كان مصدر هذه الحقوق في المواثيق الدّولية حتى عُرّف القانون الدولي لحقوق الإنسان بأنَّه يتمثّل في مجموعة القواعد والمبادئ المنصوص عليها في الإعلانات والمعاهدات الدولية، والتي تؤمن حقوق وحرّيّات الأفراد والشعوب في مواجهة أساس، وهي حقوق لصيقة بالإنسان وغير قابل للتنازل عنها، وتلتزم الدولة بحمايتها من الاعتداء أو الانتهاك [1] .

بيد أنَّه ينبغي الخوض في مفردة الحق لغة واصطلاحاً؛ لكي يتسنى لنا بعد ذلك الوصول إلى مفهوم حقّ الإنسان وماهيّته.

الحق لغة: يشير الحق في اللغة إلى حقّ الشيء إذا ثبت ووجب، فأصل المعنى لغة هو الثّبوت والوجوب.

ويرى ابن منظور أنَّ الحق نقيض الباطل، فضلاً عن استعمالات كثيرة تدور حول معاني الثبوت والوجوب والأحكام والتّحقيق والصدق واليقين [2] .

أما **الحق اصطلاحاً** فقد تعدّدت الآراء حول تحديد المعنى الاصطلاحي لمفهوم الحق، فقد عُرف بأنَّه سلطة إرادية للفرد، أو هو مصلحة يحميها القانون، أو هو انتماء (اختصاص) إلى شخص يحميه القانون.

ومن هنا وجب الوقوف عند حقّ الإنسان، حيث وردت تعريفات عديدة لحقوق الإنسان بين تلك التعريفات، هذا التعريف والذي نراه أكثرها أهمّيّة لحماية الإنسان وحقّه في الكرامة الإنسانية، وهو مجموعة من القواعد التي تخول حقوقًا للفرد دون تقديم تنازلات من جانبه أو إذلال له.

أما التعريفات الأخرى منها:

- توفير الاحتياجات اللازمة لعموم الأشخاص، وتوفير حياة كريمة للإنسان.
- المعايير الأساسية التي لا يمكن للناس، من دونها، أن يعيشوا بكرامة كبشر.
- إنَّ حقوق الإنسان هي أساس الحرية والعدالة والسلام.
- حقوق الإنسان هي ضمانات قانونية عالمية لحماية الأفراد والجماعات من إجراءات الحكومات التي تتدخّل في الحرّيّات الأساسية والكرامة الإنسانية، ويلزم قانون حقوق الإنسان الحكومات بفعل أشياء معينة، ويمنعها من فعل أشياء أخرى.

---

(١) – ينظر العلاقة بين القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان، رسالة ماجستير / مولود أحمد مصلح / اشراف الدكتور مازن ليلو راضي / ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٢) – ابن منظور، لسان العرب، ج٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص٢٥٥.

بعد أن تعرفنا على حقوق الإنسان، ومفهوم تلك الحقوق ينبغي لنا أن نقف عند مطالب ثلاثة لنتعرف على حق الإنسان بين حضارتين هما الحضارة الغربية والحضارة الشرقية، وحق الإنسان في الإسلام بعامة.

المطلب الأول: حقوق الإنسان في المنظور الغربي

إنَّ معظم الحضارات التي عرفها العالم القديم لم تولِ للحقوق الإنسانية قيمة كاملة وكرامة أصيلة بيد أنَّ التّطوّر التاريخي للحقوق يمنحنا الفرصة الكاملة لتتبعه، ففي القانون الروماني، سادت نظرية التملك في العلاقة بين الأهل والأولاد فالوالد الروماني كان يملك سلطة تقديم أطفاله للموت، وهو ما يعرف بحقّ المياه والموت " Jusvitaemecisque " كما كان يستطيع أن يبيعهم كأرقّاء. لقد كرّس القانون الروماني "patria peseta " الطفل كملكية أسرية.

كما كان في بعض المجتمعات، يخنقون عند الولادة، وتلقى جثثهم على أكوام من الأسمدة، كما ظهر الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان والمواطن الصادر عام ١٧٨٠، حيث لم يكن لفئة مهمّة وهي فئة الأطفال أي موضوع من موضوعات هذا الإعلان؛ إذ ينظرون إلى الأطفال كفئة معزولة عن المجتمع.

أما بخصوص حقّ المرأة في المنظور الغربي فقد أصبحت المرأة في المجتمع الغربي سلعة تُباع وتُشترى، كما أنَّ نسبة العنف المنزلي والجريمة ضدّ المرأة في تزايد مستمر، وأصبحت حالات الانتحار في الغرب مصدر قلق للمجتمعات هناك فإن كان القصد بحرّيات المرأة التي تدعو لها المنظمات الحقوقية والغرب هو ما ابتليت به المرأة في المجتمع المادّي من إباحية واستهتار بالقيم، نجد أنَّ عكس ما هو موجود في المنظور الغربي أنَّ المرأة المسلمة رافضة لهذه الحرّيات المُزيّفة.

وقد وصل كثير من الباحثين في مجالات حقوق الإنسان الى أنَّ "أساس مفهوم حقوق الإنسان في الغرب هو الصراع.. سواء أكان الصراع مؤسساً للحالة الحقوقية أم أسلوباً لممارستها. فحقوق الإنسان تأسست في الغرب بسبب حالة صراع الجميع ضد الجميع"[١] ويبدو أنَّ الحقوق تتصارع مع بعضها كما يؤكِّد الباحث إذ إنَّ "ممارسة الحالة الحقوقية الغربية تعتمد كذلك على الصراع بين الحقوق وبعضها . فحقوق المرأة لم تتحقق، ولم تتأسس إلَّا عبر صراع المرأة مع الرجل وهكذا" [٢] .

ومن هنا يتضح أنَّ هناك خلافاً عميقاً بين الحضارتين الغربية والشرقية في النظر لحقوق الإنسان.

---

(١) – من حقوق الإنسان الغربية الى واجبات الاستخلاف الاسلامية / مقال على النت / باحث من مصر.

(٢) – المصدر نفسه.

المطلب الثاني: حقوق الإنسان في المنظور الإسلامي

يعدّ الإسلام مبدأ المساواة بين الناس في القيم الإنسانية المشتركة، فالناس متساوون في طبيعتهم البشرية، وليس هناك جماعة تفضل على غيرها بحسب عنصرها الإنساني، وخلقها الأوّل، وانحدارها من سلالة واحدة، وإنَّما المقياس كما أقرَّه الله سبحانه وتعالى في الثقافة القرآنية إذ أشارت هذه الثقافة إلى المعنى بالقول: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) [1].

وهنا ينبغي القول إنَّ الإنسان يتمتّع في ظل الإسلام بمبدأ المساواة، وأنَّ ميزان التّفاضل بين أفراده هو التّقوى، إنَّه دين طهارة وصفاء، وتدعو أحكامه إلى الطّهر والعمل على تزكية النَّفس من كلّ الأحقاد والشّرور، ويلزم الإسلام جميع المسلمين باحترام حقوق الإنسان في العيش الكريم، والحرّيّة والعمل على إرساء هذا المفهوم أينما ذهبوا. فالإسلام يرفض منطق العنف والقهر والإكراه، كما يفرض على دعاته أن يكونوا مؤمنين بتأمّل، وأن يسلكوا في دعوتهم وفي مناقشاتهم الدّينية مع أهل الأديان الأخرى العقل والمنطق، وفي هذا يقول الله تعالى: (**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ . وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ . وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**) [2] فضلًا عن ذلك فقد أقرّ حرّيّة الفكر والتّفكير، أمّا حقّ العلم والثقافة فقد أعطى الإسلام كلّ فرد في أخذ نصيبه من العلم، وقد أشارت الثقافة القرآنية الى هذه المعاني بكثير من الآيات الكريمات، ولم يغفل الإسلام أن يعطي حقّ المرأة والطّفل بوصفهما الأضعفين، فقد حثّ الإسلام على إعطاء المرأة والطّفل حقهما في التعليم والعاطفة. وقد اتّضح من خلال التّتبّع والبحث أنَّ الكثير متّفق على « أنّ أوجه التّلاقي إسلامياً وعامّيّاً في مجال حقوق الإنسان تؤكِّد المساهمة في جهود البشر المتعلقة بحقوق الإنسان التي تهدف إلى حمايته من الاستغلال والاضطهاد، وتؤكِّد حرّيّته وحقّه في الحياة الكريمة والتي تتّفق مع الشريعة الإسلامية وإن دلّ هذا الشيء فإنَّما يدلّ على أنَّ كثيراً من المبادئ كان لها جذور متأصّلة في الفكر الإسلامي .

ينبغي القول إنَّ ملفّ حقوق الإنسان في معظم دول العالم منتقداً بصورة مستمرّة من قبل المنظّمات والجماعات التي أناطت نفسها بمهمّة الدفاع عن حقوق الإنسان، إنَّ احترام حقوق الإنسان وصيانتها واجب على كلّ ذي ضمير؛ فدونها يصبح الإنسان غير آمن على نفسه بيد أنَّه وجب على الإنسان أن يعرف حقّه وحقوقه ويكون المدافع الأوّل عنها حيث إنَّه " من عرف نفسه فقد عرف ربّه ".

---

(١) - الحجرات / الآية / ١٣ .

(٢) - النحل / الآية / ١٢٥.

الفصل الأول: الاختلاف الحقيقي والحقوقي وتقاسم الدور الرّسالي

ما هي صورة حقوق الإنسان؟ وهل للاختلاف الحقيقي اختلاف حقوقي؟ تتفرع من هذين السّؤالين الكثير من المفاهيم والمعاني التي ينبغي الوقوف عندها من أجل الوصول الى تأكيد معنى " من عرف نفسه فقد عرف ربه ".

إنَّ المرأة والرجل في أي مجتمع من المجتمعات البشرية هما جوهرة مشتركة ولهما كيان إنساني وإلهي واحد، وهما يشتركان في الحدّ الأكبر وهو الشرف والكرامة الإنسانية متشابهات في الخصال الإنسانية والصفات النفسية والذهنية، أما اختلافهما فيشمل القوى الجسمية والنفسية ويتفاوت ذلك بين الرجل والمرأة . لقد أوجد الله سبحانه هذه الاختلافات الحقيقية بينهما لحكمة؛ كي يجعل الطرفين محتاجين لبعضهما البعض، وأنَّ هذا الاختلاف المبدئي لا يعني شيئاً لأنَّ القيمة والكرامة بينهما تُقاس بالتقوى(**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ**) ([1]) وبالمعرفة الإنسانية وبالعلم، وليست بالنوعية ذكراً كان أو أنثى أو القوة أو القدرة.

إنَّ التشابه هنا يكون في الحد الأعلى أما الاختلاف فيكون في الحد الأدنى، وبالتالي تولد اختلافات حقوقية، فالشبه في حده الأعلى يوجب توافق الأحكام في حدها الأعلى من حقوق ومسؤوليات أخلاقية وشرعية وقانونية؛ لذا نصل إلى القول أنَّ الاختلاف الحقوقي سببه الاختلاف الحقيقي بيد أنَّ الأمر لا يقود الى تعطيل أحد الطرفين عن أداء رسالته في الحياة، ومن هنا وعلى الرغم من المبادئ الإنسانية التي شرعها الإسلام للمسلمين خاصة وللعالمين عامة من أجل بلوغ الإنسان الى إنسانيته الحقّة، نجد أن الحكّام والطواغيت في العالم الذين تعاقبوا على الحكم في المجتمعات الإسلامية لم تدرك معنى حق الإنسان في أداء رسالته والوقوف بوجه الظالم ودفع المظالم عن الناس؛ حتى يكون الفرد مصداقاً لقول الله تعالى: (**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ. وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا . وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ . إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**)[2] .

ولذلك تستعمل عبارة مدافع عن حقوق الإنسان للدلالة على الشخص الذي يعمل بمفرده أو بالاشتراك مع الآخرين من أجل النّهوض بحقوق الإنسان وحمايتها، وبالتالي يتعرّض أولئك المدافعون عن حقوق الإنسان في العالم للعنف بشتى أنواعه بيد أنّهم لا تثنى عزيمتهم؛ حتى يضعوا حدًّا لإفلات منتهكي حقوق الإنسان ومن أجل النّهوض بالعدالة الاجتماعية والسلام.

---

(١) - الحجرات / الآية / ١٣ .

(٢) - الحج / الآية / ٤٠.

الصراع بين العقيدة الإلحادية والعقيدة الإسلامية حول المساواة بين الرجل والمرأة:

لقد شهدت الآونة الأخيرة جدلاً واسعاً حول مساواة المرأة بالرجل في مجالات العمل ومزاحمته والاختلاط به، بل وصل الأمر إلى المطالبة بالمساواة بينهما في الحقوق والواجبات كافة، وان هذه الادعاءات لا تقوم على حقائق منطقية عقلانية، " بل تستند على ثورة ضد الاديان والاخلاق والقيم والفضائل.

إنَّ حقيقة العلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام علاقة تكاملية وليست علاقة تنافسية كما هي عند الغرب، بمعنى أنَّ كل منهما يكمل الآخر "[1].

فالإسلام لم يساوِ بين الرجل والمرأة في المجالات التي لو ساوى بينهما لظلم أحدهما لأنَّ المساواة في غير مكانها ظلم.

لذلك وتجسيداً للأهداف السامية التي يتطلع لها الإسلام نهض رمزٌ من رموز الإسلام ألا وهو الإمام الحسين ﷺ المدافع عن حق الإنسان في ظل دولة الجور والطغيان في ذلك المقطع الزمني من التاريخ، حيث انتهكت حقوق الإنسان وضُربت القيم الإسلامية، وهنا انتفض الإمام ﷺ ؛ ليكون الانموذج العالمي لحماية حق الإنسان وأداء دوره الرسالي؛ لذا ضمّت واقعة الطف جميع الشرائح الاجتماعية رجالاً ونساءً، عبيداً وأحراراً، شيباً وشباباً، كما شملت جميع الأبعاد الرسالية، هذا من جانب، ومن جانب آخر برزت أبشع صور الوحشية، والخروج عن الحدود الإنسانية .

المبحث الأول: المرأة وأداء الدور الرسالي

نظر الإسلام للمرأة نظرة لم تعطَ لها من قبله ولا من بعده، ولقد أقام هذه النظرة على أساس حقائق الفطرة لطبيعة المرأة مؤدّاها أنَّ الزوجين في الإسلام متساويان إنسانياً، ومن حيث علاقتهما بالله سبحانه وتعالى وبذلك تختفي النظرة الدونية التي كانت تجعل المرأة في مكانة أقل من الرجل، بل كانت تجعلها من جنس منحطّ. بيد أنّ المتتبع لدور المرأة في كربلاء يجد المثال والأنموذج العالمي المتجسد في السيدة زينب ﷺ، إذ كان للجميع دور في معركة كربلاء التي قادها الإمام الحسين ﷺ ضد أعدائه، فالرجل والطفل والمرأة والشيخ كلّ أدّى دوره، ودور المرأة كان بارزاً، والسيدة زينب كانت المرأة الأبرز في معركة الطف، حيث قامت بدورها في ثلاثة جوانب هي:

---

(١) – مقال على النت / بقلم ماجدة الدسوقي / الصراع بين الفكر الاسلامي والعلماني.

التوعوي، التعبوي، والتضحوي.

الدّور التّعبوي: أرادت السيدة زينب ضرب مثلٍ للدور التّعبوي في كربلاء عندما قدمت فرس المنية لأخيها الحسين ﷺ كما كانت آخر شخص ودّع الحسين ﷺ وبذلك قدّمت رسالة الى المرأة بضرورة أن تكون قويّة في حال الشّدائد والمحن.

لذلك كانت السيدة زينب ﷺ، وفي ذروة المأساة وقمة المصيبة، مورداً للتقرب الى الله تعالى؛ لما تحمل من رؤية إيجابية لبلوغ السعادة الأخروية، إذ يتضح لنا ذلك من خلال خطاباتها التي تؤكد فيها تلك الروح العالية وهي التي تقول: **" وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، أَلَّذِي خَتَمَ لِاوَّلِنا بِالسَّعادَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَلِاخِرِنا بِالشَّهادَةِ وَالرَّحْمَةِ"**(١).

الدور التوعوي: حاولت المرأة المتمثلة في السيدة زينب ﷺ في كربلاء نقل وتصحيح صورة المرأة هناك، فكانت العنوان الأبرز.. إذ نقلت الصورة الواقعية في كربلاء، وكشفت الفضائح في مجلس يزيد، ورسمت صورة واضحة لما حدث في كربلاء.

الدور التضحوي: المرأة في كربلاء ضحّت بكلِّ ما عندها، فهناك المرأة التي ضحت بأخيها وابنها مثل السيدة زينب ﷺ والمرأة التي ضحّت بابنها وزوجها مثل رباب، والمرأة التي ضحّت بأبنائها مثل أم البنين ﷺ.

وهكذا نجد أنَّ السيدة زينب ﷺ مارست حقّها في توجيه أصابع الاتهام الى نظام الجور والفساد في زمانها، وكما أنّها في خطاباتها تضع التفسير الصحيح لمسألة التقدير الإلهي، فضلاً عن أنها تضع حيّزاً لمسؤولية الإنسان وحرية خياره، فكان دورها في واقعة الطف الدفاع عن حرّيّة الإنسان وحقّه في الانتخاب، ومسؤوليته واختياره، وأن الظالمين لن يستطيعوا أن يحبطوا المشروع الإلهي، حيث أشارت الثقافة القرآنية الى المعنى بالقول **(إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ)**(٢) .

المبحث الثاني: الطفولة والدور الرسالي في واقعة الطف

بموجب الاتفاقيات العالمية لحقوق الإنسان أقرّت للطفل الحق في الحياة، وحق التمتع بالاسم منذ لحظة ولادته واكتسابه الجنسية، والحق في رعايته من قبل والديه، كذلك منحه الحق في التعبير عن رأيه. أما إذا أردنا أن نقف عند مفهوم الطفل وما تعنيه هذه الكلمة فنقول إنّه ورد في لغة العرب وعلى لسان أحد أهل اللغة بأنَّ " الصبي يُدعى طفلاً حين يسقط من بطن امه الى ان يحتلم "(٣) . وعلى هذا فالطفولة إنّما هي مثار الشفقة والرحمة، ويُعد المثال الذي نطرحه الآن بحق خير دليل على ما نقول من اهتمام العرب واعتزازهم بأطفالهم أنّهم " اذا ما

---

(١) – مثير الاحزان / ابن نماء الحلي / ص٨٠، اللهوف في قتلى الطفوف / السيد ابن طاووس / ص٧٠.

(٢) – سورة الطلاق / الآية / ٣.

(٣) – لسان العرب / ابن منظور / ج١١، ص٤٠٢.

تصالحوا بعد حرب وتحالفوا بعد حرب تبادلوا تربية أطفالهم ؛ ليكون رمزاً للود ورهائن ضد كل من تسوِّل له نفسه التنكيل بالصلح والحلف وهو دليل يشير بوضوح الى عمق ما يكنّونه من الاعتزاز بهم ؛ بحيث إنّهم لم يتحالفوا على مال ولا غيره من متاع الحياة ؛ لأنّهم قد يغدرون به الا الطفولة فهي الوثاق الأمتن الذي يربطهم الى حلفهم ويُبعدهم عن الغدر "[1].

بيد أنّ هذا الأمر اختلف مع الأطفال في كربلاء ولا سيما في واقعة عاشوراء على الرغم من أن المجتمع الذي ما زلنا نتحدث عنه هو المجتمع العربي. تُرى ما السبب؟ وما هي الثمار التي تجنى من انتهاك حقوق الطفل؟!! وعليه فالأمر يدعو الى العجب من تلك الفعال والتي تُعد انتهاكاً صارخاً وأمراً مخالفاً للفطرة الإنسانية أو البشرية، ولا يتماشى مع الأعراف والقيم الإنسانية.

إنَّ المتتبّع للتشريع الإسلامي يجد " إجماع المسلمين على عدم جواز سبي النساء والذراري، وعدم اغتنام ما لم يحوها العسكر من احوالهم "[2] .

وفي الوقت نفسه الذي نرى الكثير يشير إلى نصوص من الاتفاقيات والمواثيق الدولية بشأن حقوق المرأة والطفل نقول الى دين الإسلام أشار بالنصوص الكثيرة الى ما تم تشريعها بهذا الخصوص قبل أكثر من ١٤٠٠سنة مضت وانقضت؛ ولهذا ما يصدر وما يتم التعاقد عليه من قبل تلك المنظمات الدولية الفاعلة إنّما هي قوانين واحكام عقلائية تتلاءم مع الفطرة الإنسانية التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان، ودين الاسلام ودين الفطرة ومن روائع ما جاء في هذا الصدد ما رواه الإمام علي عليه السلام حول تحديد دعوة الأنبياء، وأنّ دورهم في مجال التربية تذكيرهم بمقتضيات الفطرة يقول عليه السلام: **" فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ"**[3] .

ولهذا ينبغي القول إنّ الفطرة جوهرة أودعها الله سبحانه في ضمير الإنسان بإمكانه أن يميز من خلالها الظلم من العدل، والحق من الباطل.

الفصل الثاني: حقوق الإنسان بين النّص الحسيني والمواثيق الدولية دراسة مقارنة

مفاهيم المرجعية حول حقوق الإنسان

إنَّ ثقافة المرجعية الدينية السلمية ليست ثقافة مهادنة، بدليل أنَّ المرجعية الشيعية كانت على امتداد تاريخها ترفض الظلم الاجتماعي، وتقف مع إرادة الشعوب في الحصول على حقوقها ما زالت تمارس هذا الدور العظيم

---

(١) – الطفولة ومشاهدها المتغيرة في التراث والأدب عادل البياتي / مجلة آفاق عربية العدد ٤ سنة ١٩٧٩م.

(٢) – نظام الحكم في الاسلام / حسين علي المنتظري / ص٥٧٨ / قم / ٢٠٠٤.

(٣) – نهج البلاغة / الإمام علي عليه السلام / جمعة الشريف الرضي / تحقيق السيد صادق الموسوي/ الدار الاسلامية بيروت.

فضلاً عن الأساس المتين لحماية التنوع الفكري والثقافي والديني في إطار حكم رشيد لا يستند الى دعم طائفة على حساب أخرى.

ما هي الحقوق التي كفلتها المنظمات الدولية للإنسان ولا سيما المرأة والطفل؟

وكيف تم انتهاك تلك الحقوق في واقعة كربلاء؟

ينبغي القول إنَّ حقوق الإنسان المدني المسالم غير المقاتل تم التأكيد عليها من قبل أئمة التشريع الإسلامي قبل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وقد جاء في مبادئ قانون لاهاي – الذي يُعد من مبادئ القانون الدولي الإنساني عدة بنود منها " مبدأ التفرقة بين المدنيين والأهداف العسكرية ينصّ المبدأ (بما فيهم النساء والأطفال) لا يمكن أن يكونوا عرضة للهجوم الذي ينبغي أن يقتصر على الأهداف العسكرية أي القوات العسكرية بما في ذلك المقاتلين والمنشآت التي تُساهم في تحقيق هدف عسكري؛ وبالتالي لا يمكن مهاجمة الأحوال المدنية"[1].

في حين أنَّ الحصار ومنع الماء استمر ثلاثة أيام على الرغم من أن معسكر الإمام الحسين ﷺ فيه النساء والأطفال ومع ذلك فقد أمعنوا بهذه الجريمة المخزية عرفاً وقانوناً إلهياً ووضعياً، فكانت حرب إبادة جماعية بالمقاييس الحديثة.

فأين هذا الفعل من فعل الإمام الحسين ﷺ حينما عطش جيش الحر بن يزيد في وسط الصحراء، وكان ﷺ يعلم سبب مجيئهم، وأنّهم بعثوا لحصاره والتشديد عليه لكنه لم يمنعهم الماء، ولم يكن معهم من الأطفال والنساء.

أمّا في المبادئ الأساسية لقانون جنيف

" حصانة الذات البشرية: ليست الحرب مبرراً للاعتداء على حياة من لا يشاركون في القتال، أو الذين لم يعودوا قادرين على ذلك فضلاً عن التّعذيب بشتّى أنواعه ويتعين على الطرف الذي يحتجز رعايا العدو أن يطلب منهم البيانات بهويّتهم فقط دون إجبارهم على ذلك ... فضلاً عن توفير الأمان والطمأنينة وحظر الأعمال الانتقامية والعقوبات الجماعية واحتجاز الرّهائن ... " [2] .

وفي موضع آخر من هذه الاتفاقية ما جاء بشأن حماية الأشخاص المدنيّين في وقت الحرب أنَّ " الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في الأعمال العدائية بمن فيهم أفراد القوّات المسلّحة الذين ألقوا عنهم أسلحتهم والأشخاص العاجزون عن القتال بسبب المرض أو الجرح او الاحتجاز أو أيّ سبب آخر يُعاملون في جميع

---

(١) القانون الدولي الإنساني / جمال شهلول القاضي / ص٥ / موقع: www.ao.academy.org

(٢) القانون الدولي الإنساني / ص٧٦.

الأحوال معاملة إنسانية، دون أي تمييز ضار يقوم على العنصر أو اللون، أو الدين أو المعتقد، أو الجنس أو المولد أو الثروة، أو أي معيار مماثل آخر "[1] .

بيد أن الأمر مختلف مع الإمام الحسين ﷺ وعياله وأصحابه وأهل بيته حيث أن ما جرى في يوم عاشوراء من أحداث جسام يصعب استقصاؤها والإحاطة بها فالحدث تراجعت فيه كل القيم الإنسانية.

لم يسلم النساء والاطفال في يوم عاشوراء من القتل إذ إنّ الأعداء فعلوا ما هو أشنع من القتل فقد مثّلوا بالجثث وسحقوها بالخيل وقطعوا الرؤوس، ولم يقفوا عند تلك الجرائم فحسب، بل وصل بهم الأمر الى أن يغلوا الإمام زين العابدين ﷺ وهم يعلمون أنه الإمام المعصوم ويقيدونه ويودعونه السجن مع السبايا من النساء والاطفال مع علمهم أيضاً بمرضه [2].

فالعقل يلحظ أنّ الفوارق تنهض بين حقوق يصوغها إنسان، ويعلنها بصيغة وطنية أو عالمية وبين أن تصوغها عناية السماء، حيث إنَّ المتأمل يجد الكثير من المواثيق تشير الى حقوق وحرّيات، وعند التدبّر فيها يجد أنّ الشعب في أغلبها ينتزعها انتزاعاً بالقوة نتيجة صراع طويل مع الحكام وفي غالب الأحيان تبقى على مستوى التنظير فحسب.

وإن كانت تلك الحقوق المعلنة في المواثيق والعهود الدولية إنَّما هي نتيجة لظروف الحرب وما عانته البشرية من ويلاتها فإنَّ الحقوق في الشريعة الإسلامية سابقة على وجود الإنسان حيث يولد الفرد المسلم ليجد تنظيماً محكماً لحقوقه يحفظ له كرامته، فضلاً عن أنّ الشريعة أقرّت حقوق المسلم قبل ان تفرض عليه واجبات، وخير دليل على ذلك ما أشارت إليه الثقافة القرآنية الى المعنى بالقول(**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**)[3] . وهي تتصل بحقّ التعليم لكلّ مسلم والسمو بالإنسان الى أعلى المراتب وهو ما انطلق منه سيّد الشهداء ﷺ عندما قال:

" **لاَ وَاللهِ لاَ أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ؛ وَلاَ أُقِرُّ لَكُمْ إِقْرَارَ الْعَبِيدِ** " [4] .

ففي حقّ الحياة نجد أنَّ الجيش الأموي يهجم على مخيّم الإمام الحسين ﷺ بعد أن قتلوا إمامهم وسحقوه بخيولهم، وعندما سألهم في حياته عن سبب رغبتهم في قتله أجابوا: طاعة للأمير فقال لهم ﷺ: " **تَبّا لَكُم أيّتُها الجماعةُ وتَرَحاً، أَحِينَ اسْتَصْرَختُمُونا والهِينَ فأَصْرَخناكُم مَوْجِفين، سَللتُم عَلينا سَيفاً لنا في أَيْمانِكم** " [5].

---

(١) – حقوق الإنسان، مجموعة صكوك دولية، المجلد الأول الأمم المتحدة، نيويورك ١٩٩٤.

(٢) – ينظر: ابصار العين في أنصار الحسين / محمد السماوي / ص٢٢٧.

(٣) – العلق / الآية / ٣.

(٤) – مقتل الحسين، للمقرّم / ص٢٨٠.

(٥) – اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص ٤٢.

فقد ورد في المادة (٣) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ما مفاده أنَّ لكلّ فرد الحق في الحياة والحرية في الأمان على شخصه وفي المادة (٤) لا يجوز استرقاق أحد أو استعباده، ويحظر الرق والاتجار بالرقيق بجميع صورهما، كما أكدت الفقرة (٥) من الإعلان بأنّه لا يجوز اخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحط من كرامته.

أما بشأن حرية التنقل وفي اختيار محل الإقامة فقد أكّد الإعلان أنّ لكلِّ فرد الحق في حرية التنقل وفي اختيار محلّ إقامته داخل حدود الدولة، وله الحق في مغادرة أي بلد بما في ذلك بلده، وفي العودة الى بلده [١] .

لقد أشارت الثقافة القرآنية الى معنى حرّيّة التنقل بالقول: **(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ .وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)** [٢] .

بيد أن الجيش الأموي صادر حق الإمام الحسين ﷺ في حرّيته ومنعوه من التنقل وفي طريقه الى كربلاء اعترضه جيش الكوفة فما كان منه ﷺ إلا أن وصفهم بعد أن منعوه وأهل بيته الماء بهذه الأوصاف حيث يقول: **" فسُحْقاً لكم يا عبيدَ الأمة وشُذّاذَ الأحزابِ و نبذة الكتابِ ومحرّفي الكلِمِ وعصبة الإثمِ ونفثةَ الشيطان "** [٣].

وفي حق المساواة لا يخفى أن الامام الحسين ﷺ لم يميز بين دين وآخر، وخير دليل على ذلك موقفه مع وهب النصراني وبين أولاده أو أنصاره.

وفي حق الفرد في محاكمة عادلة فقد ورد أنه لا يؤخذ الصغير بجريرة الكبير **(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)** [٤] في حين سعى بنو أمية الى إبادة أهل البيت حيث نادى مناديهم لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية حتى الرضيع ﷺ .

من هذا يتّضح لنا أنَّ يوم عاشوراء يوم عالمي لحماية حقوق الإنسان، وثورة إلهية تحققت لأجل إعادة الأمة الى الهدى ودين الحق ولو كره الكافرون؛ فضلاً عن أنّها ومن أجل أن نفهم الآخرين بتلك المضامين الحقوقية للنهضة الحسينية.

لا بُدّ من مراعاة القراءة الواعية والمتأمّلة للتاريخ؛ لاستحضار جميع القيم والمبادئ الإنسانية التي خرج من أجلها الإمام الحسين ﷺ، وإعطاء الحقوق جانبها الأخلاقي حتى لا تصبح حقوقاً شكلية فحسب؛ لأنَّ الأخلاق ركن أساسي من أركان الحقوق، وبالتالي لا يمكن تصوّر حق يخالف الفطرة البشرية أو النواميس الطبيعية وهذا ما تفعله بعض الدول الغربية بإقرار حقوق خلافاً لتلك النواميس.

---

(١) – ينظر الاعلان العالمي لحقوق الإنسان / وثيقة تاريخية هامة في تاريخ حقوق الإنسان / ممثلون من مختلف الخلفيات القانونية والثقافية من جميع انحاء العالم / ١٩٤٨.

(٢) – الملك / الآية / ١٥.

(٣) – اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص ٤٢.

(٤) – فاطر / الآية / ١٨.

الخاتمـــــــة:

على المسلمين أن يحيطوا علماً وأن يعوا خطورة الادعاءات التي تُثار حول مسألة حقوق الإنسان، وإن كان الجميع يتفقون على أن تصان كرامته بحقوقه، فإنّه يتوجّب التّمييز بين حقوق الإنسان، والدعوة الى الانحلال والتفسخ الأخلاقي في المجتمع.

من المهم ان يجمع المسلمون كلمتهم للعمل من أجل تعبئة الرأي العام الاسلامي والرأي العام الدولي من أجل ضمان حقوق الإنسان وان لا تتضارب مع الأحكام والشريعة الإسلامية.

إنَّ أهمية هذا البحث تأتي من خلال توضيحه أنّ الإسلام هو دين حقوق الإنسان، وأنه سبق الشرائع الغربية الوضعية المعاصرة والوثائق الدولية التي جاءت تنادي بحقوق الإنسان كما أكدت من خلال المقارنة بين مفاهيم عاشوراء والمفاهيم في المواثيق الدولية والمعاهدات، وخلصت الى أن هذه المواثيق والمعاهدات جاءت نتيجة لضغوط وصراعات في حين أنَّ مفهوم الحقوق عند الإمام الحسين ﷺ هو مفهوم الدين الإسلامي الحنيف الذي يرفض العنف والقهر والإكراه.

كما أنَّه ينبغي القول حصول الخلط الكبير لدى الرأي العام في كثير من بلدان العالم بين تلك المنظمات، وبين ادعاء الدول الكبرى حمايتها لحقوق الإنسان في العالم، وهي التي لا تعير أي اهتمام للانتهاكات الجارية لحقوق الإنسان، كما أنها نظم وضعية غايتها نفعية محددة تتمثل في استقرار المجتمع على أي نحو ولو كان على حساب قواعد الأخلاق والدين.

المصادر والمراجع

❋القرآن الكريم

١- أبصار العين في أنصار الحسين ﷺ / محمد السماوي / طبعة النجف الأشرف / ١٩٢٢.

٢- اعلام الهداية / الامام الحسين ﷺ / المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ / قم المقدسة.

٣- حقوق الإنسان الغربية الى واجبات الاستخلاف الاسلامية / باحث من مصر / مقال على النت.

٤-حقوق الإنسان بين الفكر الاسلامي والفكر الغربي المعاصر / مقال نشر في مجلة حقوق الإنسان / العدد٩ / جوان ٢٠١٦.

٥- الصراع بين الفكر الاسلامي والعلماني / ماجدة الدسوقي / مقال على النت.

٦- الطفولة ومشاهدها المتغيرة في التراث والأدب / عادل البياتي / مجلة آفاق عربية العدد٤ / ١٩٧٩م.

٧- العلاقة بين القانون الدولي والإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان / مولود احمد مصلح / رسالة ماجستير / ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٨- القانون الدولي الإنساني / جمال شهلول القاضي / موقع:

www.ao.academy.org

٩- لسان العرب / ابن منظور / منشورات الحوزة / قم المقدسة / ١٤٠٥.

١٠- اللهوف في قتلى الطفوف / السيد ابن طاووس / ردمك / ط١ / ١٤١٧هـ.

١١- مثير الأحزان / ابن نماء الحلي / دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر / ١٣٦٩-١٩٥٠.

١٢- مقتل الحسين ﷺ / عبد الرزاق المقرم / دار الكتاب الاسلامي / بيروت - لبنان .

١٣- نظام الحكم في الإسلام / حسين علي منتظري / قم المقدسة / ٢٠٠٤.

١٤- نهج البلاغة/ الإمام علي بن أبي طالب ﷺ/ جمعه / الشريف الرضي/ تحقيق السيد صادق الموسوي/ الدار الإسلامية / بيروت - لبنان.

كونوا مع الإمام الحسين عليه السلام

السيد شبيب مهدي الخرسان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

الحمد لله ربّ الأرباب وخالق الأكوان الّذي لا يحتويه مكان، ولا يخلو منه مكان وصلّى الله على النبي المصطفى محمد وعلى آله الميامين الأطهار.

أمَّا بعدُ:

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام بذل كلّ شيء حتّى نفسه الزكية من أجل الدين والإنسانية، فخرج من مكة المكرمة في يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة؛ ليحافظ على قدسية مكة وعدم إباحتها بقتله فيها. **عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: « سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أَرَادَ الْخُرُوجَ صَبِيحَتَهَا عَنْ مَكَّةَ فَقَالَ يَا أَخِي إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ مَنْ قَدْ عَرَفْتَ غَدْرَهُمْ بِأَبِيكَ وَ أَخِيكَ وَ قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ حالُكَ كَحَالِ مَنْ مَضَى فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُقِيمَ فَإِنَّكَ أَعَزُّ مَنْ فِي الْحَرَمِ وَ أَمْنَعُهُ فَقَالَ يَا أَخِي قَدْ خِفْتُ أَنْ يَغْتَالَنِي يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فِي الْحَرَمِ فَأَكُونَ الَّذِي يُسْتَبَاحُ بِهِ حُرْمَةُ هَذَا الْبَيْتِ»**[1]؛ لأنَّ يزيد أعطى أوامره إلى زمرته بقتل الإمام الحسين عليه السلام ولو كان متعلقًا بأستار الكعبة، فقد روى معمر بن المثنى في مقتل الحسين عليه السلام، فقال: ما هذا لفظه، فلما كان يوم التروية قدم عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى مكة في جند كثيف قد أمره يزيد أن يناجز الحسين القتال إن هو ناجزه أو يقاتله إن قدر عليه . فخرج الحسين عليه السلام يوم التروية»[2] . وحرر الناس من عبودية يزيد الّذي طوّق الناس وأفكارهم بالحديد والنار وزجهم في السجون والتعذيب فاتبع أسلوب الترغيب والترهيب، ويؤيد ذلك ما فعله مسرف بن عقبة الّذي هو مسلم بن عقبة ولقب بمسرف لكثرة إسرافه للدماء حيث أخذ البيعة ليزيد من أهل مكّة بأنَّهم عبيد له، جاء في شجرة طوبى «...ثم دخل المدينة وخرب بيوت بني هاشم ونهب المدينة، وأخاف أهلها وأخذ منهم

(١) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ٣٩.

البيعة على أنّهم عبيد ليزيد وسمّى المدينة نتنة»[1]، فكانت أفعال يزيد وحكومته يندى منها الجبين، وتقزز منها النفوس، وخارجة عن التقاليد والأعراف الاجتماعية فضلًا عن مخالفتها للأحكام والتعليمات الإسلامية، تحت هذا الجو الملتهب، وإذا بالإمام الحسين عليه السلام يعلن قيامه المبارك ويقف بوجه الطاغية يزيد خارجًا من موطن جدّه صلى الله عليه وآله متجهًا نحو كربلاء.

سنركز في هذا البحث عن ثلاثة أبعاد مهمّة:

البُعد الأول: كيف نكون مع الإمام الحسين عليه السلام؟

يمكن أن نكون مع الإمام الحسين عليه السلام من خلال متابعة الأحداث من خروجه من المدينة المنورة إلى كربلاء المقدسة مرورًا بمكة المكرمة والمحطات والمناطق الّتي مرَّ بها، ومواقفه وإرشاداته وخطبه طول مسيره في تلك المسافة، وماهي وظيفتنا في كلّ محطة وفي كلّ خطبة يلقيها، وما هو الموقف الّذي ينبغي أن نتخذه في الوقت الحاضر وفي كلّ جيل على مرّ الدهور والأزمان، نعم نحن لم نحضر كربلاء جسمًا، لكنّنا يمكن أن نحضرها روحًا وموقفًا ومعنوية وبذلًا وعطاءً... فالإمام الحسين عليه السلام لم ينتصر في أرض المعركة بالقياسات المادية للعدو، لكنَّه زلزل عروش الظالمين وأسقط حكوماتهم ولو بعد حين، وحرر الناس من الكابوس المخيّم عليهم ومن الطواغيت والظلمة على طول الخط، وفي مقدمتهم يزيد الفاجر اللاعب بالقرود وإلا لماذا تمنع الحكومات الظالمة إقامة مراسيم الإمام الحسين عليه السلام على طول الخط؟ فالمراسيم والمجالس الحسينية تحثّ النّاس على أن يكونوا أحرارًا والتخلص من قيود الظالم والحكومات الجائرة، وهذا ممّا لا يرضى به الطواغيت؛ لأنَّ حكمهم لا يستقيم ويستمر تحت هذا المنهج العادل والمستقيم وسرعان ما ينهار تحت صيحات الجماهير وهتافاتهم المدوّية الّتي تخيف الظالم مهما كان نوع ظلمه وقوته، وهذا كرسي يزيد تزلزل تحت صيحات المتظاهرين وتحت الثورات الّتي أعقبت معركة الطف أمثال ثورة التوابين وثورة المختار الّتي أنزلت القصاص العادل على قتلة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

إذن نكون مع الإمام الحسين عليه السلام بموقفنا والقيام بوظيفتنا اتجاه القضية الحسينية، وبيان مظلوميته عليه السلام للأجيال وبيان عنجهية وظلم يزيد وحكومته والطغاة الّذين أعقبوه، وعلى كلّ جيل أن يبيّن حقيقة الطّف ببياضها الناصع وبأسلوب وأفعال تتناسب مع التّضحيات الّتي قدَّمها الإمام الحسين عليه السلام، ونتخذه هو وأصحابه قدوة ولو بأقل درجاتها، حتَّى نحقّق أهدافه التي قام لأجلها، حيث بيّنها في وصيّته لأخيه محمد بن الحنفية، فقال عليه السلام: « **إِنّى لَمْ أَخْرُجْ أَشِرًا وَلا بَطَرًا، وَلا مُفْسِدًا وَلا ظالِمًا، وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإصْلاحِ في**

(١) الشيخ محمد مهدي الحائري: ١ / ١١٣.

أُمَّةِ جَدّي، أُريدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسيرَ بِسيرَةِ جَدّي وَأَبي عَلِيّ بْنِ أَبي طالِب فمَن قَبلني بقبول الحقّ؛ فالله أَوْلى بالحقّ، ومَن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم، وهو خير الحاكمين»[1] ونصرخ بوجه الظالمين بصوتٍ واحد (هيهات منَّا الذلة)[2] فطريق الحسين عليه السلام طريق عزّ وكرامة وإصلاح وحرّيّة وعدالة واستقامة، وفوز في الدنيا والآخرة.

من صور النّصرة للإمام الحسين عليه السلام

نصرة الإمام الحسين لها صور عديدة في الوقت الحاضر منها:

١ـ ذكر عطش الحسين عليه السلام عند شرب الماء ولعن قاتليه، فهذا نوع من أنواع المواساة له عليه السلام بحيث أذكر تلك الصورة المؤلمة التي يصفها أصحاب المقاتل الّتي تهز الضمير الإنساني من الأعماق، وأعيش معها حيث يقولون: « كان لسانه كالخشبة اليابسة من شدّة العطش»، وجاء في بعض الأخبار كان عليه السلام يلوك بلسانه، بمعنى أنَّ فمه كان جافًا يحرّك لسانه لعلّه يحصل على رطوبة فيه، **عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّيِّ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام إِذَا اسْتَسْقَى الْمَاءَ، فَلَمَّا شَرِبَهُ رَأَيْتُهُ قَدِ اسْتَعْبَرَ وَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِدُمُوعِهِ . ثُمَّ قَالَ لِي: « يَا دَاوُدُ، لَعَنَ اللهُ قَاتِلَ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَمَا مِنْ عَبْدٍ شَرِبَ الْمَاءَ فَذَكَرَ الْحُسَيْنَ عليه السلام وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَ لَعَنَ قَاتِلَهُ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَ حَطَّ عَنْهُ مِائَةَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَ رَفَعَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ دَرَجَةٍ، وَ كَأَنَّمَا أَعْتَقَ مِائَةَ أَلْفِ نَسَمَةٍ، وَ حَشَرَهُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلِجَ الْفُؤَادِ "** [3]. وثلج الفؤاد يعني مطمئن سكين القلب، . كلّ هذه الدرجات يحصل عليها الإنسان عندما يكون مع الإمام الحسين عليه السلام ويكون معه عندما يذكر عطشه ويلعن قاتله عليه السلام أثناء شرب الماء.

٢ـ البكاء والتباكي على الإمام الحسين عليه السلام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: " **مَن أنشَدَ فِي الحُسَينِ عليه السلام بَيتا مِن شِعرٍ فَبَكى وأبكى عَشَرَةً فَلَهُ ولهُمُ الجَنَّةُ، ومَن أنشَدَ فِي الحُسَينِ عليه السلام بَيتا فَبَكى وأبكى تِسعَةً فَلَهُ ولهُمُ الجَنَّةُ، فَلَم يَزَل حَتّى قالَ: مَن أنشَدَ فِي الحُسَينِ عليه السلام شِعرا فَبَكى ـ وأظُنُّهُ قالَ: أو تَباكى ـ فَلَهُ الجَنَّةُ** "[4] . وهذه الجنة مطلقة تشمل الجنة في الدنيا والبرزخ والآخرة ويحصل عليها الباكي والمتباكي حتمًا، فيكون متعافياً في جسده، ومطمئن القلب في قبره، ومضموناً في مصيره، وفي الحديث القدسي قال سبحانه:" **يَا مُوسَى ، كَتَبْتُ رَحْمَةً**

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٠.

(٢) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج: ٢ / ٢٤.

(٣) جعفر بن محمد بن قولويه، كامل الزيارات: ٢١٢.

(٤) الشيخ الصدوق، ثواب الاعمال: ٨٥.

لِتَابِعِيهِ مِن عِبَادِي ، وَ اعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ بَكَى عَلَيْهِ أَوْ أَبْكَى أَوْ تَبَاكَى حَرَّمْتُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ»[1] فهذه الصورة الثانية من صور الحزن والمواساة للإمام الحسين ﷺ ونكون معه من حيث هذه الصورة تتلألأ ما بين أعيننا وتأنّ منها قلوبنا وتذرف الدموع من أعيننا حزنًا ولوعة وألمًا على سيّد شباب أهل الجنة وعلى مصائبه. ثمَّ إنَّ دموع من أبكى على الإمام الحسين ﷺ لها خصوصية وشرفية كما في الأخبار، جاء في تفسير الإمام العسكري: **(إِنَّ اللهَ لَيَأْمُرُ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ أَنْ يَتَلَقَّوْا دُمُوعَهُمُ الْمُصْبُوبَةَ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ إِلَى الْخُزَّانِ فِي الْجِنَانِ فَيَمْزُجُوهَا بِمَاءِ الْحَيَوَانِ فَتَزِيدُ عُذُوبَتُهَا وَطِيبُهَا أَلْفَ ضِعْفِهَا وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَيَتَلَقَّوْنَ دُمُوعَ الْفَرِحِينَ الضَّاحِكِينَ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ يَتَلَقَّوْنَهَا فِي الْهَاوِيَةِ وَيَمْزُجُونَهَا بِحَمِيمِهَا وَصَدِيدِهَا وَغَسَّاقِهَا وَغِسْلِينِهَا فَيَزِيدُ فِي شِدَّةِ حَرَارَتِهَا وَعَظِيمِ عَذَابِهَا أَلْفَ ضِعْفِهَا يُشَدِّدُ بِهَا عَلَى الْمَنْقُولِينَ إِلَيْهَا مِنْ أَعْدَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ عَذَابَهُمْ»**[2].

٣ـ فتح باب المواساة للإمام الحسين ﷺ على مصراعيه، وعلى كلّ من يتمكّن على نصرته، وفي أيّ نوع من أنواع النصرة فليفعل ولا يقصّر في ذلك، وإلّا صار من مجموعة ممَّن خذلوه ﷺ، فليعرض الإنسان نفسه على هذه الحقيقة الناصعة؛ ليرى نفسه في أيّ موقع من مواساة الحسين ﷺ وهل هو ملتحق بالركب الحسيني؟ في كلامه في معلوماته في أخلاقه في ملبسه في تصرّفاته، بل في جميع حركاته وسكناته، فاللحوق بالرّكب الحسيني منهاج عمل لتقوية إرادة الإنسان والمسير على الصراط المستقيم والفوز في الدّارين.

٤ـ تمنّي الكون معهم: (يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا) متى ما ذكر الإمام الحسين ﷺ. وهذه الكلمة من خصوصياته ﷺ حيث إنَّ التمني لا يكون بالضرورة متحقّقًا، فعن الريان بن شبيب عن الإمام الرضا ﷺ **"يَا ابْنَ شَبِيبٍ: إِنْ سَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الثَّوَابِ مِثْلُ مَا لِمَنِ اسْتُشْهِدَ مَعَ الْحُسَيْنِ فَقُلْ مَتَى مَا ذَكَرْتَهُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً "**[3].

٥ـ نصرة الإمام الحسين ﷺ ينبغي أن تتحقق حتَّى في موارد الضّعف من منع السلطات الظالمة ونحوه من الأعذار بكيفية يبيّنها الإمام العسكري ﷺ، فينال الإنسان فيها الدرجات العالية والمقامات السامية كما تُبيّن الرواية، قال الإمام العسكري: ﷺ: حدثني أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ قال: **" مَنْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلَعَنَ فِي خَلَوَاتِهِ أَعْدَاءَنَا بَلَّغَ اللهُ صَوْتَهُ جَمِيعَ الْأَمْلَاكِ مِنَ الثَّرَى إِلَى الْعَرْشِ، فَكُلَّمَا لَعَنَ هَذَا الرَّجُلُ أَعْدَاءَنَا لَعْناً سَاعَدُوهُ وَلَعَنُوا مَنْ يَلْعَنُهُ ثُمَّ ثَنَّوْا، فَقَالُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ هَذَا الَّذِي قَدْ بَذَلَ مَا فِي وُسْعِهِ وَ لَوْ قَدَرَ عَلَى أَكْثَرَ مِنْهُ لَفَعَلَ، فَإِذَا النِّدَاءُ مِنْ قِبَلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ أَجَبْتُ دُعَاءَكُمْ وَ سَمِعْتُ نِدَاءَكُمْ، وَصَلَّيْتُ عَلَى**

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٠٨.

(٢) المصدر نفسه: ٨ / ٣١٢.

(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي: ١٩٣.

رُوحِهِ فِي الْأَرْوَاحِ، وَجَعَلْتُهُ عِنْدِي مِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ"[1].

البعد الثاني: خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة

عندما أراد الإمام الحسين عليه السلام الخروج من مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله كتب وصية إلى أخيه محمد بن الحنفية، وسنقف هنا عند بعض المحطّات:

المحطّة الأولى: وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية حيث جاء فيها: **" بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ الْحُسَينُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ إلى أَخِيهِ مُحَمَّد المَعرُوفِ بِابنِ الحَنفيَّةِ: أَنَّ الْحُسَينَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جاءَ، بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِ الحَقِّ، وَأَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ، وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِرَاً، وَلَا بَطِرَاً، وَلَا مُفْسِدَاً، وَلَا ظَالِمَاً، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلَاحَ فِي أُمَّةِ جَدِّي، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ، وَأَسِيْرَ بِسِيْرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الحَقِّ فَاللهُ أَوْلَى بِالحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِي اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ القَوْمِ بِالحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ، وَهَذِهِ وَصِيَّتِي يَا أَخِي إِلَيْكَ وَمَا تَوفِيْقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيهِ أُنِيْبُ "**[2].

وفي هذه الوصية أعلن الإمام الحسين عليه السلام أهدافه الّتي قام من أجلها وهي: الإصلاح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن يسير بسيرة جدّه وأبيه اللذَين كان دستورهما القرآن الكريم، فكان قولهما وفعلهما وإقرارهما حجّة.

وظيفتنا اتجاه هذه الوصيّة

وظيفتنا أن نُحقّق ما أراده الإمام الحسين عليه السلام وما قام لأجله، وذلك بتطبيق النّقاط التّالية:

أوّلًا: السعي في تحقيق الإصلاح، وهذا المطلب عالمي، ومن هنا كانتْ أهداف القيام الحسيني عالمية، ولذا ينال منه الجميع؛ المسلم وغير المسلم والرجل والمرأة والصغير والكبير، وهو قبل ذلك مبدأ قرآني، قال الله تعالى: **(الصُّلْحُ خَيْرٌ)**[3] وأعطى الشارع المقدَّس صفة عدم الكذب للمصلح، **عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ أَوْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ:" أَبْلِغْ عَنِّي كَذَا وَ كَذَا فِي أَشْيَاءَ أَمَرَ بِهَا قُلْتُ فَأُبَلِّغُهُمْ عَنْكَ وَ أَقُولُ عَنِّي مَا قُلْتَ لِي وَ غَيْرَ الَّذِي قُلْتَ قَالَ نَعَمْ إِنَّ الْمُصْلِحَ لَيْسَ بِكَذَّابٍ إِنَّمَا هُوَ الصُّلْحُ لَيْسَ بِكَذِبٍ"** [4]، وعدّ الصلح بين الناس من الموارد الّتي يجوز فيها الكذب، ولم يكتب صاحبه عند الله كذّابًا، بل له الأجر والثواب على ذلك

(١) الشيخ علي النمازي الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار: ٩ / ٢٦٥.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٠.

(٣) النساء: ١٢٨.

(٤) الشيخ الكليني، الكافي: ٢ / ٢١٠.

بالرغم من تشدّده على الكذب وعدّه من الكبائر وذمَّه أشد تذميم، قال النبي ﷺ: (أريا الرياء الكذب)[1]، وعن عبد الله بن حوراء، قال: قلت للنبي «ﷺ: (المؤمن يزني ؟ قال: قد يكون ذلك، قال: قلت: المؤمن يسرق ؟ قال قد يكون ذلك، قلت: يا رسول الله المؤمن يكذب ؟ قال: لا، قال الله تعالى: «إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون»)[2]، إذن إذا أردنا أن نكون مع الإمام الحسين عليه السلام نسعى لتحقيق هدفه الإصلاحي ونبذل قصارى جهودنا للإصلاح بين الناس وخاصة بين ذي رحم وذات البين، قال رسول الله ﷺ: "**صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاَةِ الصِّيَامِ**"[3] . وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول:، (**لَئِنْ أُصْلِحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِدِينَارَيْنِ**)[4]، وأيُّ دينارين؟ الدينارانِ في ذلك الزمان اللّذان كانا لهما قوة شرائية عالية.

ثانيًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الإمام الصادق عليه السلام : "جاء رجل من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرني ما أفضل الاسلام ؟ قال: الايمان بالله، قال: ثم ماذا ؟ قال صلة الرحم قال: ثم ماذا قال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، قال فقال الرجل: وأي الاعمال أبغض إلى الله عزَّ وجلَّ، قال: الشرك بالله قال: ثم ماذا ؟ قال: قطيعة الرحم قال: ثم ماذا ؟ قال الامر بالمنكر والنهي عن المعروف"[5] .

ولو تركناها سلط علينا شرار خلق الله ولعمَّ العذاب الجميع بسبب سكوتهم عن الأمر والنهي عن هذه الفريضة؛ لأنَّنا شركاء في العمل، ولو قمنا بوظيفتنا لما ذاع وانتشر المنكر، قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: " **قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَنْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ أَوْ أَشَارَ بِهِ فَهُوَ شَرِيكٌ، وَمَنْ أَمَرَ بِسُوءٍ أَوْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ أَشَارَ بِهِ فَهُوَ شَرِيكٌ** "[6]. إذن الكون مع الإمام الحسين عليه السلام لا يأتي من فراغ، فلا بدَّ من العمل وفي هذه النقطة علينا أن نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر وبذلك نحقق الهدف الّذي جاهد من أجله أبو الأحرار عليه السلام وبتحقق هدفه نكون معه، إضافة إلى الأثر الوضعي لهذه الفريضة، عن **رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي فِي الْمَنَامِ قَدْ أَخَذَتْهُ الزَّبَانِيَةُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَخَلَّصَاهُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَجَعَلاهُ مَعَ الْمَلائِكَةِ**"[7].

ثالثًا: السَّير بسيرة النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام؛ لأنَّهم حجج الله في أرضه وهم القادة والولاة الشرعيون،

---

(١) قطب الدين الراوندي، الدعوات(سلوة الحزين): ١١٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال: ١٤٨.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ٣٦٥.

(٦) الشيخ الصدوق، الخصال: ١٣٨.

(٧) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ٣٦٥.

وقولهم وفعلهم وإقرارهم حجة، جاء في الزيارة الّتي علّمها الإمام علي الهادي ﷺ لموسى بن عبد الله النخعي عندما طلب منه ذلك: " **السَّلامُ عَلَى الأئِمَّةِ الدُّعاةِ ، وَالْقادَةِ الْهُداةِ ، وَالسَّادَةِ الْوُلاةِ ، وَالذَّادَةِ الْحُماةِ ، وَأَهْلِ الذِّكْرِ وَأُولِي الأمْرِ**"[1]، ومن هنا ينبغي أن نطبق ما قاله الإمام الحسين ﷺ في سيرته الجهادية ولو بأقل درجاتها وحسب القدرة والإمكانية حتّى نكون من الراكبين في سفينة الإمام الحسين ﷺ الّتي هي سفينة نجاة.

المحطة الثانية: الحوار مع أم سلمة رضي الله عنها

" لَمَّا عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ أَتَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَتْ يَا بُنَيَّ لَا تَحْزَنِي بِخُرُوجِكَ إِلَى الْعِرَاقِ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكَ يَقُولُ يُقْتَلُ وَلَدِيَ الْحُسَيْنُ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا كَرْبَلَاءُ فَقَالَ لَهَا يَا أُمَّاهْ وَ أَنَا وَ اللهِ أَعْلَمُ ذَلِكَ وَ إِنِّي مَقْتُولٌ لَا مَحَالَةَ وَ لَيْسَ لِي مِنْ هَذَا بُدٌّ وَ إِنِّي وَ اللهِ لَأَعْرِفُ الْيَوْمَ الَّذِي أُقْتَلُ فِيهِ وَ أَعْرِفُ مَنْ يَقْتُلُنِي وَ أَعْرِفُ الْبُقْعَةَ الَّتِي أُدْفَنُ فِيهَا وَ إِنِّي أَعْرِفُ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَ قَرَابَتِي وَ شِيعَتِي وَ إِنْ أَرَدْتِ يَا أُمَّاهْ أُرِيكِ حُفْرَتِي وَ مَضْجَعِي" [2].

إنَّ علم أهل البيت من علم رسول الله ﷺ وعلمه من علم الله تعالى، وهذه حقيقة يجب أن نعرفها ونخضع إليها، قال الله تعالى: **{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}**[3]، وقال أمير المؤمنين ﷺ: **" فإنَّ رسول الله ﷺ علّمني ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب"**[4]، وبموجب هذه الحقيقة يكون امتثالنا لعقيدة الإمامة الّتي هي من أصول الدين وأنَّهم ﷺ واجب الطاعة؛ لأنَّهم الأعلم والأفقه، لحديث الثقلين المتواتر والمروي من الفريقين باعتبارهم عدل القرآن الكريم، وجاء في زيارة الجامعة التي يرويها موسى بن عبدالله النخعي عن الإمام علي الهادي ﷺ: (**...اَلسَّلامُ عَلى اَئِمَّةِ الهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَاَعْلامِ التُّقى، وَذَوِى النُّهى، وَاُولِى الْحِجى، وَكَهْفِ الْوَرى، وَوَرَثَةِ الاَنْبياءِ، وَالْمَثَلِ الاَعْلى، وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنى، وَحُجَجِ اللهِ عَلى اَهْلِ الدُّنْيا وَالاْخِرَةِ وَالاُولى وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ... فَالرّاغِبُ عَنْكُمْ مارِقٌ، وَاللاّزِمُ لَكُمْ لاحِقٌ، وَالْمُقَصِّرُ فى حَقِّكُمْ زاهِقٌ، وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفيكُمْ وَمِنْكُمْ وَاِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ اَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ، وَميراثُ النُّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ، وَاِيابُ الْخَلْقِ اِلَيْكُمْ، وَحِسابُهُمْ عَلَيْكُمْ، وَفَصْلُ الْخِطابِ عِنْدَكُمْ، وَآياتُ اللهِ لَدَيْكُمْ، وَعَزائِمُهُ فيكُمْ، وَنُورُهُ وَبُرْهانُهُ عِنْدَكُمْ، وَاَمْرُهُ اِلَيْكُمْ، مَنْ**

---

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٦١٠. (القادة جمع القائد والهداة جمع الهادي والمراد أنتم الذين قال الله سبحانه " وجعلناهم أئمة يهدون بأمره " والسادة جمع السيد وهو الأفضل الأكرم، والولاة جمع الوالي فإنهم "ﷺ» يقودون السالكين إلى الله والأولى بالتصريف في الخلق من أنفسهم كما في قوله تعالى " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم « وقوله « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا " وقول النبي ﷺ " من كنت مولاه فهذا على مولاه " . والذادة جمع الذائد من الذود بمعنى الدفع، والحاة جمع الحامي، فإنهم حماة الدين يدفعون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين أو يدفعون عن شيعتهم الآراء الفاسدة والمذاهب الباطلة، . أهل الذكر الذين قال الله سبحانه " فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون " والذكر أمَّا القرآن فهم أهله أو الرسول فهم عترته . " وأولي الأمر " الذين قال الله تعالى " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " .

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣١.

(٣) النجم: ٣و٤.

(٤) الشيخ الصدوق، الخصال: ٥٧٢.

والاكُمْ فَقَدْ والَى اللهَ، وَمَنْ عاداكُمْ فَقَدْ عادَ اللهَ، وَ مَنْ اَحَبَّكُمْ فَقَدْ اَحَبَّ اللهَ، وَمَنْ اَبْغَضَكُمْ فَقَدْ اَبْغَضَ اللهَ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللهِ، اَنْتُمُ الصِّراطُ الاَقْوَمُ، وَشُهَداءُ دارِ الْفَناءِ، وَشُفَعاءُ دارِ الْبَقاءِ، وَالرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ، وَالاٰيَةُ الْمَخْزُونَةُ، وَالاَمانَةُ الْمُحْفُوظَةُ، وَالْبابُ الْمُبْتَلى بِهِ النّاسُ، مَنْ اَتاكُمْ نَجا، وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ، اِلَى اللهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ، وَلَهُ تُسَلِّمُونَ، وَبِاَمْرِهِ تَعْمَلُونَ، وَاِلى سَبيلِهِ تُرْشِدُونَ، وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ، سَعِدَ مَنْ والاكُمْ، وَهَلَكَ مَنْ عاداكُمْ، وَخابَ مَنْ جَحَدَكُمْ، وَضَلَّ مَنْ فارَقَكُمْ، وَفازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ، وَاَمِنَ مَنْ لَجَاَ اِلَيْكُمْ، وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ، وَهُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ، مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأواهُ، وَمَنْ خالَفَكُمْ فَالنّارُ مَثْوايهُ، وَمَنْ جَحَدَكُمْ كافِرٌ، وَمَنْ حارَبَكُمْ مُشْرِكٌ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فى اَسْفَلِ دَرْك مِنَ الْجَحيمِ..."(١).

علينا أن نعرف الإمام الحسين عليه السلام بأنَّه إمام مفترض الطاعة وما يترتب على ذلك من أمور ينبغي أن نقوم بها ويرشدنا إليها الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: **"رحم الله من أحيا أمرنا "**(٢)، كلمة أحيا مطلقة تشمل كلّ احياء سواء كان عقد مجلس أو انشاد الشعر أو لطم أو تأليف كتاب أو غير ذلك، وكذلك دعائه عليه السلام: **" فارْحَم تِلْكَ الْوُجُوهَ الَّتي غَيْرتها الشَّمْسُ، وَارْحَم تِلكَ الخدُودَ الَّتي تَتَقَلّبُ علىُ حُفْرَةِ أبي عَبدِالله الحسينِ عليه السّلام، وَارْحَم تِلكَ الأعْيُنَ الَّتي جَرَتْ دُمُوعُها رَحمةً لَنا، وارْحَم تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتي جَزَعَتْ واحْتَرَقَتْ لَنا، وارْحَم تِلكَ الصَّرْخَةَ الَّتي كانَتْ لَنا، اللّهمَّ إني اسْتَودِعُكَ تلْكَ الأبْدانَ وَتِلكَ الأنفُس حتّى تَرْويهِمْ عَلى الحَوضِ يَومَ العَطَشِ الأكبر "**(٣).

كل فقرة من هذا الدعاء هو حث على فعل من الأفعال التي نحيي بها قضية الإمام الحسين عليه السلام، وبهذه الأفعال واقامة المراسيم وغيرها سنكون مع الإمام الحسين عليه السلام.

البعد الثالث: خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة المكرمة

الحج عبادة مهمة عند الإمام الحسين عليه السلام، وفريضة يريد أن يحييها ويضيفها إلى الحجج الّتي أدّاها ماشيًا، ونقل عنه عليه السلام: **"أَنَّهُ حَجَّ خَمْساً وَعِشْرينَ حَجَّةً إِلَى الْحَرَمِ، وَنَجائِبُهُ تُقادُ مَعَهُ، وَهُوَ ماش عَلَى الْقَدَمِ"**(٤)، ويعلم فضل هذه الفريضة وثوابها الكبير، عن أبي جعفر عليه السلام قال:**" مَا ندمتُ عَلى شَيءٍ نَدَمِي على أن لم أحجّ مَاشياً ؛ لأنّي سَمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَن حَجّ بَيت الله مَاشياً كَتب الله له سبعة ألف حَسنة مِن حَسنات الحرم، قِيل: يا رسول الله وما حَسنات الحرم؟ – قال: حَسنةٌ ألف ألف حَسنة، وقال: فَضل المشاة في الحج كفضل القمر ليلة**

(١) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان: الزيارة الجامعة/ الثانية.

(٢) قطب الدين الراوندي، الدعوات (سلوة الحزين): ١٠.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي: ٤ / ٥٨٣.

(٤) الإربلي، كشف الغمة: ٢ / ٢٣.

البدر على سائر النجوم، وكانَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ يَمْشِي إِلَى الْحَجِّ وَدابَّتُهُ تُقادُ وَراءَهُ)[1].

لكنَّ حجته في عام (٦٠هـ) قلبها إلى عمرة مفردة؛ حفظًا على قدسية الكعبة فجعله الله تعالى قبلة للزائرين، وجعل الشفاء في تربته، والدعاء مستجاب تحت قبته، وهذه خصائص تميّز بها الإمام الحسين ﷺ ولم تعطَ لغيره، فخرج إلى المدينة متوجهًا نحو العراق في يوم التروية الثامن من ذي الحجة في حين الحجاج يتوجهون إلى عرفات، عن ابن عباس قال: ... فقال ﷺ: **" والله لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحبّ إليّ من أن يستحل بي هذه الحرمة غدا"**[2]، وخروج الإمام ﷺ في هذا الوقت الثامن من ذي الحجة له معطيات منها:

١ـ ليعلم الحجاج بهذا الجمع الغفير أنَّ خروج الإمام الحسين ﷺ هو بمثابة إنكار ليزيد، وأنَّه وحكومته ليس لهما الشرعية؛ لأنَّ الإمام الحسين ﷺ يمثّل الشرع وإنكاره إنكار للباطل، قال النبي ﷺ: "الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا"[3].

٢ـ يعطي الخروج في هذا الوقت جنبة إعلامية مهمّة بحيث ينقل الحجاج هذا الموقف إلى بلدانهم فينتشر الخبر بين الناس بأنَّ يزيد حكومته غير شرعية؛ لأنَّ الإمام الحسين ﷺ أنكرها.

٣ـ قضية الإمام الحسين ﷺ في مكة المكرمة اختار فيها الخروج حيث كان مخيّرًا ما بين قتله في الكعبة وإباحة حرمتها من قبل شرطة يزيد، أو الخروج منها وترك الحج فاختار الثاني، وسيّد شباب أهل الجنة أعلم بالشرع وهو أهله ويعرف تكليفه وما يتخذ من موقف، وهكذا يعلمنا الحسين ﷺ في الحفاظ على مقدّساتنا واحترامها وتكريمها والدّفاع عنها.

٤ـ اختيار الموقف المناسب عند عروض عدّة اختيارات مع مثل هذه الظّروف، فينبغي أن نكون محافظين على العقل وترجيحاته وعدم التّأثير بالتأثيرات الخارجية والداخلية والأطماع والمناصب والضياع والأموال؛ لأنَّها تفقد اختيار العقل واتزانه في اتخاذ الموقف المناسب، قال أمير المؤمنين ﷺ: **" أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ"**[4].

قال الشيخ المفيد: فسار الحسين ﷺ إلى مكّة وهو يقرأ: **{فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}(٣)** ولزم الطّريق الأعظم، فقال له أهل بيته ﷺ: لو تنكَّبت عن الطريق كما فعل ابن الزبير؛ كيلا يلحقك الطلب، فقال: لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض، ولمَّا دخل الحسين ﷺ مكة، كان دخوله

---

(١) البرقي، المحاسن: ١ / ١٤٦ ح ٢٠٤.

(٢) أحمد بن يحيى بن جابر(البلاذري)، أنساب الأشراف: ٣ / ١٤٧.

(٣) ابن الصباغ، الفصول المهمة: ٢ / هامش ٧١٧.

(٤) نهج البلاغة: ٤ / ٤٩.

إياها يوم الجمعة، لثلاث مضين من شعبان دخلها "[1].

الإمام الحسين عليه السلام عزيزٌ ويعلمنا كيف نكون أعزاء، فكان عزيزًا في مشيته وفي مسيره وفي ثوبه الّذي طلبه من القوم قبل استشهاده، فرفضه عندما كان باليًا وعليه علامات الذل فبدلوه بغيره [2]، قال الإمام الحسين عليه السلام: **" ائْتُونِي بِثَوْبٍ لَا يُرْغَبُ فِيهِ أَلْبَسُهُ غَيْرِ ثِيَابِي لَا أُجَرَّدُ فَإِنِّي مَقْتُولٌ مَسْلُوبٌ فَأَتَوْهُ بِتُبَّانٍ فَأَبَى أَنْ يَلْبَسَهُ وَقَالَ هَذَا لِبَاسُ أَهْلِ الذِّمَّةِ ثُمَّ أَتَوْهُ بِشَيْءٍ أَوْسَعَ مِنْهُ دُونَ السَّرَاوِيلِ وَفَوْقَ التُّبَّانِ فَلَبِسَهُ ثُمَّ وَدَّعَ النِّسَاءَ وَكَانَتْ سُكَيْنَةُ تَصِيحُ فَضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ"** . فأخذ الإمام عليه السلام الطريق العام ولم يأخذ الطرق الملتوية والمخفية كما فعل عبد الله بن الزبير العدو اللدود لأهل البيت عليهم السلام الّذي يكشف عن جبنه وذلته وخسته، لكن الأمثال تضرب ولا تقاس وإلا أين الثرى وأين الثريا؟ أين عبدالله بن الزبير من أهل البيت وخاصة الإمام الحسين عليه السلام، ونفس هذا الموقف يكشف عن شجاعته، ولم يكن خائفًا من أحد أثناء مسيره، نعم كان خائفًا على دين الإسلام من التغيير والتبديل وعدم إكمال المسيرة وعدم حصول على الدرجة الّتي ينالها بالشهادة؛ لأنَّ القوم أجلاف ليس عندهم التزام بمواثيق أو أعراف أو تقاليد أو أي شيء آخر من هذا النوع، فالحسين عليه السلام يريد أن يصل إلى أهدافه والدرجة الّتي وعده بها رسول الله صلى الله عليه وآله، "وقد أعلن الحسين عليه السلام عن رغبتهم في أن يقتلوه هكذا (وحبذا لو كان قتل الحسين عليه السلام بصورة اغتيال، حتى يضيع دمه، وتهدر قضيته)، وأنّهم مصممون على ذلك حتى لو وجدوه في جحر هامة ! وأشار يزيد إلى جلاوزته أن يحاولوا قتل الحسين عليه السلام أينما وجدوه، ولو كان متعلقا بأستار الكعبة !"[3].

محطات مصيرية

المحطة الأولى: الكتب الّتي وصلت إلى الإمام الحسين عليه السلام من رؤساء العشائر والأقوام بلغت في يوم واحد ستمائة كتاب، وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده في نوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب[4] الّتي تنص على قدوم الإمام عليه السلام إليهم، فقد أيعنت الثمار، وأنَّه يقدم على جنود مجندة ومن هذه الكتب:

١: كتب جماعة إليه: **(بسمَ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ للحسينِ بنِ عليٍّ عليهما السلام من سُليمان بن صُرد، والمسَيَّبِ ابن نَجَبَةَ، ورِفاعة بن شدّادٍ، وحبيبِ بنِ مُظاهِر، وشيعتِه من المؤمنينَ والمسلمينَ من أهلِ الكوفةِ: سلامٌ عليك، فإنّا نحمدُ إليكَ اللهَ الّذي لا إلهَ إلا هو. أمّا بعدُ: فالحمدُ للهِّ الّذي قصمَ عدوَّكَ الجبّارَ العنيدَ، الّذي انتزى على هذهِ الأمّةِ فابتَزّها أمرَها، وغصبَها فيئَها، وتأمّرَ عليها بغيرِ رضىً منها، ثمّ قتلَ**

---

(١) الإرشاد: ٢ / ٣٥.

(٢) ابن شهر آشوب: ٣ / ٢٥٧.

(٣) مجلة تراثنا مؤسسة أهل البيت: ٣٧ / ٤٣.

(٤) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٣.

خيارَها واستبقى شِرارَها، وجعلَ مالَ اللهِ دُوْلةً بينَ (جبابرتِها وأغنيائها)، فبعُداً له كما بَعدَتْ ثمودُ. إنّه ليسَ علينا إمامٌ، فأقبِلْ لعلّ اللهَ أن يجمعَنا بكَ على الحقِّ ؛ والنُّعمانُ بنُ بشيرٍ في قصرِ الأمارة لسْنا نجَمِّعُ معَه في جمعةٍ ولا نخرجُ معَه إلى عيدٍ، ولوقد بَلَغَنا أنّكَ أَقبلتَ إلينا أخرَجْناه حتّى نُلحقَه بالشّامِ إن شاءَ اللهُ"[1] .

٢: كتب آخرون إليه: **"بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ، للحسينِ بنِ عليٍّ من شيعتِهِ منَ المؤمنينَ والمسلمينَ. أمّا بعدُ: فحيَّ هلا، فإنّ النّاسَ ينتظرونَكَ، لا رأيَ لهم غيركَ، فالعجلَ العجلَ، ثمّ العجلَ العجلَ، والسلامُ "**[2].

٣: كتب شبث بن ربعي وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث بن رويم، وعروة ابن قيس، وعمر بن حجاج الزبيدي ومحمد بن عمرو التيمي:**" أمّا بعدُ: فقد اخضرَّ الجَناب وأينعتِ الثِّمارُ، فإذا شئتَ فاقدمْ على جُندٍ لكَ مجنَّدٍ، والسّلامُ"**[3] .

إنَّ هذه الكتب لم تكن صادرة من قلوب مملوءة بالإيمان، إنَّما صدرت من أقوام لا يحترمون أنفسهم، ولا مواثيقهم ولاعهودهم، وإلَّا فما عدا مما بدا أن يتركوا سفير الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام وحيدًا في طرق وأزقّة الكوفة وتركوا الحسين عليه السلام وهو يستغيث (أما من مغيث يغيثنا)، فلم يغيثوه ولم ينصروه وهم يعرفون أنَّه ابن بنت رسول الله، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال حتَّى الّذي يدّعي أنَّه لم يعرفه فهو عليه السلام عرَّف نفسه في مواطن متعددة قبل بدء القتال وبعده:

أَنا اِبنُ عَلِيِّ الخير مِن آلِ هاشِم ... كَفاني بِهَذا مَفخَراً حينَ أَفخَرُ
وَجَدّي رَسولُ الله أَكرَمُ مَن مَشى ... وَنَحنُ سِراجُ الله في الأَرضِ يزهرُ
وَفاطِمَة أُمّي سُلالَةُ أَحمَدٍ ... وَعَمّي يُدعى ذا الجَناحَينِ جَعفَرُ
وَفينا كِتابُ الله يَنزِلُ صادِقاً ... وَفينا الهُدى وَالوَحيُ وَالخَيرُ يُذكَرُ
وَنَحنَ وُلاة الناسِ نَسقي وُلاتنا ... بِكَأسِ رَسولِ اللهما لَيسَ يُنكَرُ

ثمَّ حمل على الميسرة وقال:

أَنَا الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيْ ... آلَيْتُ أَنْ لَا أَنْثَنِي
أَحْمِيْ عِيَالَاتِ أَبِيْ ... أَمْضِيْ عَلَىٰ دِيْنِ النَّبِي[4].

نتعلّم من الإمام الحسين عليه السلام في هذه النقطة أن نكون أوفياء لمواثيقنا، أقوياء في إرادتنا وعقيدتنا، ونحترم

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٣.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٣٤ و ٢٥٨.

نفوسنا وكتاباتنا، وهذا يأتي من الإيمان العميق في القضية الّتي نناضل، ونقاتل من أجلها، لا أن نكون مثل الأقوام الّذين بايعوا الإمام الحسين ﷺ وسرعان ما خذلوه، وتجمعوا لقتاله، لكن نكون مصداقًا لقوله تعالى: **{وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ }**[1]، قال الشيخ الطبرسي: (وتثبيتا من أنفسهم) بقوة اليقين والبصيرة في الدين، وقيل: (معناه وتوطينا لنفوسهم على الثبوت على طاعة الله) [2]، أو نكون مثل أصحاب الإمام الحسين ﷺ ونتخذهم قدوة لنا الّذين قال عنهم الإمام ﷺ: (اللّهمَّ إنك تعلم أنّي لا أعلم أصحابًا خيرًا من أصحابي، ولا أهل بيت خيرًا من أهل بيتي فجزاكم الله خيرًا)[3].

المحطة الثانية: عن أبي حمزة بن عمران قال: ذكرت خروج الحسين وتخلف ابن الحنفية عنه فقال الصادق ﷺ: **"يا أبا حمزة أقول لك ما يغنيك سؤاله، أنَّ الحسين لما انصرف من مكة دعا بكاغد وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، مِنَ الحُسين بن علي إلى بني هاشم، أمّا بَعد، فإنّه مَنْ لَحِقَ بي مِنكم إستُشهِد، وَمَن تَخَلّفَ عَنّي لَمْ يَبلغ الفَتْح، والسّلام"**[4].

أعلن الإمام الحسين ﷺ عن مشروعه الاستشهادي وأنَّه سائر إليه؛ ليخلص الأمة من الزيف والأكاذيب الأموية ويكشف النقاب عن أقاويلهم الادعائية، ويمنعهم من تغيير وتبديل دين النبي المصطفى ﷺ وقد بيّن هذا الهدف بخطبه المتعددة منها:**" لَمَّا عَزَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ:"الْحَمْدُ للهِّ وَ ما شاءَ الله وَ لا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، وَ صَلَّى اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ، وَ مَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وَ خُيِّرَ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَاقِيهِ، كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ، بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَ كَرْبَلَاءَ فَيَمْلَأَنَّ مِنِّي أَكْرَاشاً جُوفاً، وَ أَجْرِبَةً سُغْباً لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضَى الله رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلَى بَلَائِهِ وَ يُوَفِّينَا أُجُورَ الصَّابِرِينَ، لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لُحمَتُهُ هِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ، وَ يُنَجِّزُ لَهُمْ وَعْدَهُ، مَنْ كَانَ بَاذِلًا فِينَا مُهْجَتَهُ وَ مُوَطِّناً عَلَى لِقَاءِ الله نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحاً، إِنْ شَاءَ الله"** [5]، وها هو أبو الأحرار ذكره الجميل يفوح عطرًا، ويزداد حرارة في قلوب المؤمنين، وقبته الصفراء التي تناطح السماء علوًا وشموخًا وتزداد تلألؤًا، ولمعانًا كلّما مرَّ الزمان شاهد صدق على ما نقول، لكن أين يزيد وزمرته وقتلة الإمام الحسين ﷺ في مزبلة التاريخ

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) تفسير مجمع البيان: ٢ / ١٨٧.

(٣) أبي الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٧٤.

(٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٣٠.

(٥) ابن نما الحلي، مثير الأحزان: ٢٩.

ومركز للنفايات والقاذورات ويلعنهم الله ورسوله والمؤمنون.

الّذين ساروا مع الإمام الحسين ﷺ على علم بمصيرهم وأنّهم مستشهدون في نهاية المطاف وبالرغم من ذلك بقوا ملازمين للإمام ﷺ، بل لمّا قال لهم الإمام ﷺ: **" وإنّي قد أذنت لكم فانطلقوا أنتم في حل ليس عليكم منى ذمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملًا"**[1]، فأبوا ذلك وكل واحد منهم ردَّ بردٍ يكشف عن العقيدة القوية الّتي يحملونها اتجاه إمامهم والنفس الشجاعة والأبية الّتي لا تعرف للذلّ معنى ولا تخضع له، تلك النفوس الّتي تعلمت من استاذها وإمامها وأميرها العزة والكرامة والبذل والعطاء والجهاد وكانوا حقًا مصداقًا للآية: **{ إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ}**[2].

فهذا مسلم بن عقيل ﷺ العالم الجليل الصابر المحتسب سفير الإمام الحسين ﷺ إلى أهل الكوفة الّذي يقول عنه الإمام الحسين ﷺ: **" وأنا باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل "**[3]، سطّر البطولات والملاحم في الشجاعة والأخلاق، أما موقفه في البطولة والشجاعة يذكره القندوزي: (فأرسل ابن زياد محمد بن الأشعث الكندي، وضم إليه ألف فارس وخمسمائة راجل إلى قتال مسلم، فقاتلهم قتالا شديدًا حتَّى قتل منهم خلقًا كثيرًا)، وهذه الشجاعة شهد بها العدو قبل الصديق ـ والفضل ما شهد به الأعداء ـ وذلك عندما أرسل ابن الأشعث إلى ابن زياد يستمده بالخيل والرجال .

فكتب إليه " إنَّ رجلًا واحدًا يقتل منكم خلقًا كثيرًا، فكيف لو أرسلتك إلى من هو أشد منه قوة وبأسا – يعني الحسين – فكتب في الجواب " إنَّما أرسلتني إلى سيف من أسياف آل محمد "، فأمدّه بالعسكر الكثير"[4].

والموقف الثاني: عندما طلب منه هاني بن عروة اغتيال عبيد الله بن زياد في بيته بعد الإشارة إليه بنزع عمامته ثلاث مرات فأبى مسلم ذلك وأنّه من أهل بيت ليس من أخلاقهم الغدر، جاء في ينابيع المودة: "...فقلع عمامته وتركها على الأرض ثلاث مرات، فلمّا رأى ابن زياد كثرة الإشارات خرج هاربا وانصرف، فلما خرج مسلم من المخدع قال له هانئ: ما منعك من قتله ؟

قال: منعني كلام سمعته من أمير المؤمنين أنّه قال: لا إيمان لمن قتل مسلما !"[5].

المحطّة الثالثة: لمّا أراد الإمام الحسين ﷺ الخروج إلى العراق خطب خطبة قال فيها: « **الْحَمْدُ لله وَ ما شاءَ**

---

(١) ابن نما الحلي، مثير الأحزان: ٣٨.

(٢) التوبة: ١١١.

(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

الله وَ لا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، وَ صَلَّى الله عَلَى رَسُولِهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ، وَمَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وَخُيِّرَ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَاقِيهِ، كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ، بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَ كَرْبَلَاءَ فَيَمْلَأَنَّ مِنِّي أَكْرَاشاً جُوفاً، وَ أَجْرِبَةً سُغْباً لَا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضَى الله رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلَى بَلَائِهِ وَ يُوَفِّينَا أُجُورَ الصَّابِرِينَ، لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لُحْمَةٌ هِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ، وَ يُنَجِّزُ لَهُمْ وَعْدُهُ، مَنْ كَانَ بَاذِلًا فِينَا مُهْجَتَهُ وَ مُوَطِّناً عَلَى لِقَاءِ الله نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحاً، إِنْ شَاءَ الله»[1].

وللشهادة معنيان:

الأول: بمعنى القتل في سبيل الله تعالى.

الثاني: الشهادة بمعنى الشهود والمشاهدة، فالإنسان يرتقي عند اللحوق بالإمام الحسين عليه السلام فيرى الأشياء بعينيه مثل المحتضر الّذي يرى النبي والأئمة عليهم السلام جميعًا، والملائكة فيما لا يراهم إلّا في هذا الموقف؛ لأنَّ الروح ملازمة للجسد والجسد منشغل بالهوى والماديات فيكون بعيد عن هذه الحالة، أمّا في حالة الاحتضار تكون الروح في حالة تهيء للانفكاك من الجسد، فيكون المحتضر في حالة روحانية فيرى ما يرى، فالّذي تعايش مع الإمام الحسين عليه السلام لحق به روحيًا ومعرفيًا وفي كلّ زمان وفي كلّ جيل، وبنصرته كان من الشهود الّذين هم أحياء عند ربّهم ويرون الأشياء بعينها، لإزالة الحجب الّتي تمنع من الرؤية الحقيقية للأشياء مثل التعلق بالدنيا والهوى والغموس في الماديات... فيكون مصداقًا للآية الكريمة: **{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}**[2].

لذلك على الإنسان أن يلتحق بالركب الحسيني وينصره روحًا ومنهجًا وعملًا، فإذا كمَّل هذه المرحلة سيحصل على النتيجة الحتمية الّتي لا تقبل الغلط وذكرتها الروايات وهي أن يرى الأشياء بعينها؛ لوجود المقتضي وعدم وجود المانع كما يقول أهل الأصول.

النصرة في لعن أعداء الإمام الحسين عليه السلام

عن علي بن عاصم الكوفي عن مولانا الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال: حدثني أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **" مَن ضعف عن نصرتنا أهل البيت ولعن في خلواته أعداءنا؛ بلّغ الله صوته إلى جميع الملائكة، فكلما لعن أحدكم أعداءنا صاعدته الملائكة ولعنوا من لا يلعنهم، فإذا بلغ صوته إلى الملائكة استغفروا له وأثنوا عليه وقالوا: اللهم صل على روح عبدك هذا الذي بذل في نصرة أوليائه جهده، ولو قدر على أكثر من ذلك لفعل،**

(١) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٣٨.

(٢) آل عمران: ١٦٩.

فإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: يا ملائكتي.. إني قد أجبت دعاءكم في عبدي هذا وسمعت نداءكم وصلّيت على روحه مع أرواح الأبرار وجعلته من المصطفين الأخيار"[1].

اللعن في الآيات والروايات

اللّعْن: الإبعاد والطرد من الخير[2].

" اللعن الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره، قال تعالى: **(فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)**[3] ، .... وقال تبارك وتعالى:(**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ**)[4] " [5].

اللعن كلمة وردت في القرآن الكريم وفي الروايات الواردة من أهل بيت العصمة والنبوة عليهم السلام. أما ما ورد في القرآن الكريم، قال الله تعالى: **{أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}**[6]، قال السيّد الطباطبائي: بيان لجزاء بغي الكاتمين لما أنزله الله من الآيات والهدى، وهو اللعن من الله، واللعن من كلّ لاعن، وقد كرّر اللعن لأنّه مختلف فإنّه من الله التبعيد من الرّحمة والسّعادة ومن اللاعنين سؤاله من الله، وقد أطلق اللعن منه ومن اللاعنين وأطلق اللاعنين، وهو يدل على توجيه كل اللعن من كل لاعن إليهم والاعتبار يساعد عليه، فإنَّ الذي يقصده لاعن بلعنه هو البعد عن السعادة، ولا سعادة بحسب الحقيقة، إلّا السعادة الحقيقية الدّينية وهذه السعادة لما كانت مبينة من جانب الله، مقبولة عند الفطرة، فلا يحرم عنها محروم إلّا بالرّدّ والجحود، وكل هذا الحرمان إنَّما هو لمن علم بها وجحدها عن علم دون من لا يعلم بها ولم تُبين له، وقد أخذ الميثاق على العلماء أن يبثّوا علمهم وينشروا ما عندهم من الآيات والهدى، فإذا كتموه وكفوا عن بثّه فقد جحدوه فأولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون"[7]، وأما ما ورد في الرّوايات: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن، في كلهن لا يستطيع إلا أن يلعنه.

أولهن: يوم لعنه الله ورسوله وهو خارج من مكة إلى المدينة مهاجرًا وأبو سفيان جاء من الشام، فوقع فيه أبو

---

(١) بحار الانوار، ٥٠: ٣١٦ـ٣١٧

(٢) ابن منظور، لسان العرب: ١٢ / ٢٨٢(لعن).

(٣) الأعراف: ٤٤.

(٤) المائدة: ٧٨.

(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: ٤٥١.

(٦) البقرة: ١٥٩.

(٧) تفسير الميزان: ١ / ٣٩٠.

سفيان يسبه ويوعده، وهم أن يبطش به فصرفه الله عن رسوله.

والثانية: يوم العير، إذا طردها ليحرزها عن رسول الله ﷺ فلعنه الله ورسوله.

والثالثة: يوم أحد قال أبو سفيان: أعل هبل، فقال رسول الله ﷺ: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: لنا عزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله: الله مولانا ولا مولى لكم.

والرابعة: يوم الخندق، يوم جاء أبو سفيان في جميع قريش فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرًا، وأنزل الله عز وجل في القرآن آيتين في سورة الأحزاب فسمّى أبا سفيان وأصحابه كفّارًا، ومعاوية مشرك عدو لله ولرسوله.

والخامسة: يوم الحديبية والهدي معكوفًا أن يبلغ محله، وصدّ مشركو قريش رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام، وصدوا بدنه أن تبلغ المنحر، فرجع رسول الله ﷺ لم يطف بالكعبة، ولم يقضِ نسكه، فلعنه الله ورسوله.

والسادسة: يوم الأحزاب، يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش وعامر بن الطفيل بجمع هوازن وعيينة بن حصن بغطفان، وواعد لهم قريظة والنضير أن يأتوهم، فلعن رسول الله ﷺ القادة والأتباع وقال: أمّا الأتباع فلا تصيب اللعنة مؤمنًا، وأمّا القادة فليس فيهم مؤمن ولا نجيب ولا ناج!

والسابعة: يوم حملوا على رسول الله ﷺ في العقبة، وهم اثنا عشر رجلا من بني أمية، وخمسة من سائر الناس، فلعن رسول الله ﷺ من على العقبة غير النبي ﷺ، وناقته، وسائقه، وقائده"[1].

وعن مولانا الإمام الرضا ﷺ قال: **" أَوْحَى اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلى نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: إِذَا أُطِعْتُ رَضِيتُ، وَإِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي نِهَايَةٌ، وَإِذَا عُصِيتُ غَضِبْتُ، وَإِذَا غَضِبْتُ لَعَنْتُ ؛ وَلَعْنَتِي تَبْلُغُ السَّابِعَ مِنَ الْوَرَاءِ"**[2].

"...كان علي ﷺ بعد الحكومة، إذا صلى الغداة والمغرب، وفرغ من الصلاة وسلم، قال: « اللّهمَّ العن معاوية، وعمرًا، وأبا موسى، وحبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد، والضحاك بن قيس، والوليد بن عقبة»[3]، فاللعن الوارد في الآيات والروايات هو اللعن المشروع النابع عن الحق، أما اللعن الّذي لا يكون عن حق فيكون باطلاً.

موعظة وعبرة

عَنْ جَرْدَاءَ بِنْتِ سَمِينٍ عَنْ زَوْجِهَا هَرْثَمَةَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ صِفِّينَ فَلَمَّا

---

(١) الشيخ الصدوق، الخصال: ٣٩٨.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي: ٢ / ٢٧٥.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٦٠.

انْصَرَفْنَا نَزَلَ بِكَرْبَلَاءَ فَصَلَّى بِهَا الْغَدَاةَ ثُمَّ رَفَعَ إِلَيْهِ مِنْ تُرْبَتِهَا فَشَمَّهَا ثُمَّ قَالَ وَاهاً لَكِ أَيَّتُهَا التُّرْبَةُ لَيُحْشَرَنَّ مِنْكِ أَقْوَامٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ... بِغَيْرِ حِسابٍ فَرَجَعَ هَرْثَمَةُ إِلَى زَوْجَتِهِ وَكَانَتْ شِيعَةً لِعَلِيٍّ ﷺ فَقَالَ أَلَا أُحَدِّثُكَ عَنْ وَلِيِّكَ أَبِي الْحَسَنِ نَزَلَ بِكَرْبَلَاءَ فَصَلَّى ثُمَّ رَفَعَ إِلَيْهِ مِنْ تُرْبَتِهَا فَقَالَ وَاهاً لَكِ أَيَّتُهَا التُّرْبَةُ لَيُحْشَرَنَّ مِنْكِ أَقْوَامٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ... بِغَيْرِ حِسابٍ قَالَتْ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ لَمْ يَقُلْ إِلَّا حَقّاً فَلَمَّا قَدِمَ الْحُسَيْنُ ﷺ قَالَ هَرْثَمَةُ كُنْتُ فِي الْبَعْثِ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ عُبَيْدُ الله بْنُ زِيَادٍ لَعَنَهُمُ اللهُ فَلَمَّا رَأَيْتُ الْمَنْزِلَ وَالشَّجَرَ ذَكَرْتُ الْحَدِيثَ فَجَلَسْتُ عَلَى بَعِيرِي ثُمَّ صِرْتُ إِلَى الْحُسَيْنِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَ أَخْبَرْتُهُ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ أَبِيهِ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْحُسَيْنُ ﷺ فَقَالَ مَعَنَا أَنْتَ أَمْ عَلَيْنَا فَقُلْتُ لَا مَعَكَ وَلَا عَلَيْكَ خَلَّفْتُ صِبْيَةً أَخَافُ عَلَيْهِمْ عُبَيْدَ الله بْنَ زِيَادٍ قَالَ فَامْضِ حَيْثُ لَا تَرَى لَنَا مَقْتَلًا وَلَا تَسْمَعُ لَنَا صَوْتاً فَوَ الَّذِي نَفْسُ حُسَيْنٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ الْيَوْمَ وَاعِيَتَنَا أَحَدٌ فَلَا يُعِينُنَا إِلَّا كَبَّهُ الله لِوَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ"[1]،

وترشدنا هذه الرّواية إلى بعض النقاط المهمة منها:

١ـ إنَّ أمير المؤمنين ﷺ يخبرنا عن حقيقة واقعة في أرض كربلاء، وهو العالم الخبير الّذي علّمه رسول الله ﷺ ألف باب من العلم، وكل باب يتفرع إلى ألف باب.

٢ـ يخبرنا ﷺ بأنَّ الجماعة الّذين يستشهدون على هذه الأرض هم أصحاب حق، ويدخلون الجنة بغير حساب.

٣ـ إنَّ الّذين يقاتلون هؤلاء الجماعة يكونون على باطل.

٤ـ إن الّذي رأى مقتلهم وسمع صوتهم، ولم ينصرهم أكبّه الله تعالى على وجهه في نار جهنّم، ونحن نكون معهم إذا لم ننصر الإمام الحسين ﷺ ونستغيثه؛ لأنَّ صوته ﷺ ملأ الخافقين وهذه الاستغاثة الحسينية تشمل كل جيل، وفي كلّ زمان ومكان وبأي نوع من الاستغاثة سواء كانتْ معنويةً أو ماديةً بموكب أو بدمعة أو بإقامة مجلس تعزية ... فإذا أردنا أن نكون مع الإمام الحسين ﷺ علينا أن نستجيب للاستغاثة الحسينية فنكون من الفائزين في الدارين.

ومن الّذين خذلوا الإمام الحسين ﷺ ولم ينصره الضحاك بن عبد الله المشرقي ومالك بن النضر الأرحبي فأصابتهما الحسرة والندامة وفاتهما الفوز والكون مع الحسين ﷺ، وخاصة المشرقي الّذي كان مع الإمام الحسين ﷺ حتَّى صار وحيدًا، فخذله وانهزم من المعركة وترك إمام زمانه، نقل الطبري عن أبي مخنف روي عن الضحّاك بن عبدالله المشرقيّ: **" قَدِمتُ ومالِكَ بنَ النَّضرِ الأَرحَبِيَّ عَلَى الحُسَينِ ﷺ،**

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي: ١١٧.

فَسَلَّمنا عَلَيهِ، ثُمَّ جَلَسنا إلَيهِ، فَرَدَّ عَلَينا، ورَحَّبَ بِنا، وسَأَلَنا عَمّا جِئنا لَهُ، فَقُلنا: جِئنا لِنُسَلِّمَ عَلَيكَ، ونَدعُوَ اللهَ لَكَ بِالعافِيَةِ، ونُحدِثَ بِكَ عَهداً، ونُخبِرَكَ خَبَرَ النّاسِ، وإنّا نُحَدِّثُكَ أنَّهُم قَد جَمَعوا عَلى حَربِكَ فَرَ رَأيَكَ فَقالَ الحُسَينُ ﷺ: حَسبِيَ اللهُ ونِعمَ الوَكيلُ ! قالَ: فَتَذَمَّمنا وسَلَّمنا عَلَيهِ، ودَعَونَا اللهَ لَهُ . قالَ: فَما يَمنَعُكُما مِن نُصرَتي ؟ فَقالَ مالِكُ بنُ النَّضرِ: عَلَيَّ دَينٌ، ولي عِيالٌ، فَقُلتُ لَهُ: إنَّ عَلَيَّ دَيناً، وإنَّ لي لَعِيالاً، ولكِنَّكَ إن جَعَلتَني في حِلٍّ مِنَ الإنصِرافِ إذا لَم أجِد مُقاتِلاً قاتَلتُ عَنكَ ما كانَ لَكَ نافِعاً، وعَنكَ دافِعاً! قالَ: قالَ: فَأَنتَ في حِلٍّ، فَأَقَمتُ مَعَهُ" (١).

لقد أصبح الإمام الحسين ﷺ ميزاناً بين الحق والباطل في كل زمان فمن أراد أن يكون في جبهة الحق فما عليه إلّا أن ينصره، وأن ينصر مبادئه وإلّا الخذلان والخسران في كل زمان.

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين.

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري: ٣/ ٣١٥.

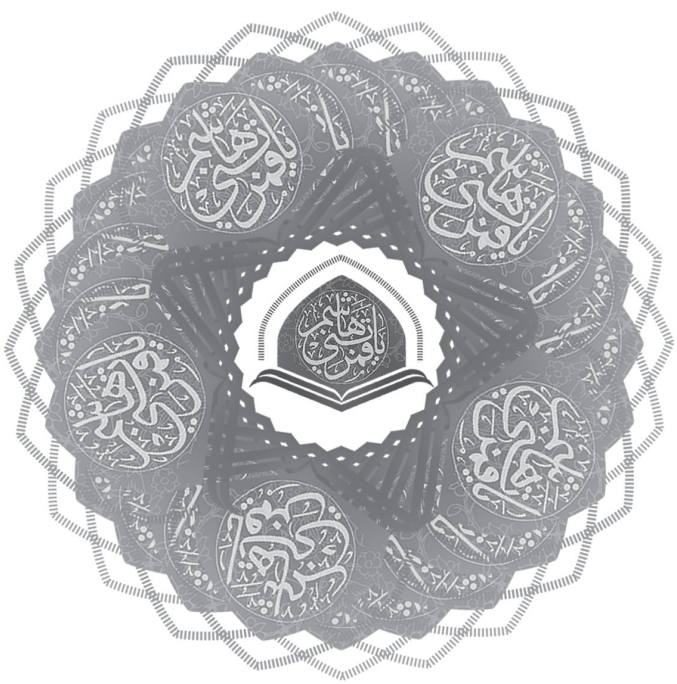

العباس عليه السلام بين الطاعة والتسليم

أ.م.د.رحيم مزهر جبر العتابي
أ.م.د.هناء كاظم خليفة

يبدو أنَّ سيدنا ومولانا الإمام العباس عليه السلام كان على بيّنة من توجيه مقاتليه في ساحة المعركة وتفانيه في استخدام أدواته، مع الإدراك التام لطبيعة المواقف التي أمّلتها ظروف المعركة، فعندما طلب الإمام الحسين عليه السلام من أصحابه وأهل بيته أن يذهبوا ويتركوه وحده في ليلة العاشر من المحرّم، كان أبو الفضل عليه السلام أوّل من هبّ؛ ليخبره بملازمته إيّاه وتفانيه من أجله عبر كلمات طافحة بالعشق والإيمان والإيثار[1]. وعندما رأى العباس عليه السلام كثرة القتلى في أهله قال لإخوته من أمه – وهم عبد الله وجعفر وعثمان – يا بني أمي، تقدموا؛ حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله[2]. وهنا أراد العباس دفع كل المأزق عن حسينه ومعالجة المواقف وخير من يقدمهم في هذه اللحظة هم أخوته قال تعالى: (**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**)[3].

العباس عليه السلام ظل الحسين عليه السلام ومحاولات اقتطاعه عنه:

لقد بقى العباس عليه السلام ظلاً لأخيه الحسين عليه السلام يميل معه حيث مال، إذ قال ابن قتيبة الدينوري: «وبقي العباس بن علي قائما أمام الحسين يقاتل دونه، ويميل معه حيث مال، حتى قتل، رحمة الله عليه . وبقي الحسين وحده»[4]. فلم يفكّر بالجزع من قلة الأعوان، أو عواقب الانفراد والبقاء مع معسكر النفاق، محدّدًا هدفه بأنّه يجب الحفاظ على الإسلام الذي جسّده الحسين خير تجسيد، قال تعالى: (**فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**)[5]. ولأن جيش ابن سعد قد أدرك تماماً أنَّه إذا أراد إنهاء المعركة فإنّها لا تنتهي بقتل الحسين، وإنَّما بقتل العباس عليه السلام

(١) الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، ج ١، ص ١٣١ – ١٣٤.
(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٠٩.
(٣) البقرة: الاية ١٥٥-١٥٦.
(٤) الأخبار الطوال، ص ٢٥٧ – ٢٥٨.
(٥) الانعام: الاية١٢٥.

الذي ما زال بين يدي أخيه ﷺ، لذا سعوا لاقتطاعه عنه.

فعندما حملت الجماعة على الحسين ﷺ وغلبوه على عسكره، واشتد به العطش، وركب المسناة يريد الفرات وبين يديه العباس أخوه، اعترضته خيل ابن سعد وفيهم رجل من بني دارم فقال لهم: ويلكم حولوا بينه وبين الفرات ولا تمكنوه من الماء، فقال الحسين ﷺ: اللهم أظمئه فغضب الدارمي ورماه بسهم فأثبته في حنكه، فانتزع الحسين ﷺ السهم وبسط يده تحت حنكه فامتلأت راحتاه بالدم، فرمى به ثم قال: اللهم إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك، ثم رجع إلى مكانه وقد اشتدّ به العطش . وأحاط القوم بالعباس ﷺ فاقتطعوه عنه، فجعل يقاتلهم وحده حتى قُتل[1] .

لقد امتزجت روح الحسين والعباس ﷺ معا ولا سبيل للقضاء عليهما طالما كانا معاً، وبما امتلكه معسكر النفاق من امكانيات الَّا انهم اعجز من ان يقضوا عليهما لذا استوجب منهم لعنة الله عليهم ان يستقطعوا الروح من الجسد بانفصال العباس عن الحسين ﷺ؛ ليتمكنوا من حسم المعركة.

رخصة القتال بداية النهاية:

نود الإشارة الى ضرورة تفحّص ما يلي من الأحداث وموقف الإمام الحسين ﷺ منها، بعدها سنقف عليها بشيء من التحليل المتفحص. إذ تتمحور هذه الفقرة بطلب سيدنا العباس رخصة القتال من أخيه ﷺ .

ولا بأس أن نبدأ بهذه الرواية، إذ كان كل من أراد الخروج لساحة المعركة ودّع الحسين ﷺ وقال: السلام عليك يا ابن رسول الله، فيجيبه: وعليك السلام ونحن خلفك [2]. ويقرأ قوله تعالى: **(فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)**[3].

فعلى سبيل المثال عندما برز ابنه علي بن الحسين وقاتل قتالاً شديداً وقتل جمعاً كثيراً ثم رجع إلى الحسين ﷺ وقال يا أبه العطش قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، أجابه قائلاً: قاتل قليلاً فما أسرع الملتقى بجدك محمد ﷺ ويسقيك بكأسه الأوفى فرجع إلى موقف نزالهم [4].

ولما برز أحمد بن الحسن المجتبى ﷺ، وهو ابن سبع عشرة سنة، ولم يزل يُقاتل، حتّى قتل منهم ثمانين رجلاً، ثمّ رجع إلى الإمام ﷺ، وقد غارت عيناه من العطش وينادي: يا عمّاه هل شربة من ماء، أتقوّى بها على أعداء

---

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٠٩ – ١١٠.

(٢) ابن شهر آشوب: محمد بن علي ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني(ت، ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، (النجف الاشرف -١٩٥٦)، ج ٣، ص ٢٥٠.

(٣) الأحزاب: الاية٢٣ .

(٤) ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص ٥١.

اللهّ وأعداء رسوله ؟ فقال له الإمام ﷺ: يا بُنَيَّ اصْبِرْ قَليلاً تَلْقى جَدَّكَ مُحَمَّداً المُصْطَفى ﷺ، فَيَسْقِيَكَ شَرْبَةً لا تَظْمَأُ بَعْدَها أَبَداً[1] .

وغيرها الكثير من مثل هذه المواقف، لكن يا ترى هل كان الأمر نفسه مع العباس ﷺ؟

فقد رأى العباس جميع عسكر الحسين ﷺ قد قتلوا وإخوانه وبني عمّه، بكى وأنّ إلى لقاء ربّه، إشتاق وحنّ، فحمل الراية وجاء نحو أخيه الحسين ﷺ، وقال: يا أخي هل رخصة ؟ فبكى الحسين ﷺ بكاءً شديداً حتّى ابتلّت لحيته المباركة بالدموع، ثمّ قال: يا أَخي كُنْتَ الْعَلامَةَ مِنْ عَسْكَري، وَمَجْمَعَ عَدَدِنا، فَإِذا أَنْتَ غَدَوْتَ يَؤُولُ جَمْعُنا إِلَى الشَّتاتِ، وَعِمارَتُنا تَنْبَعِثُ إِلَى الْخَرابِ . فقال العبّاس: فداك روح أخيك يا سيّدي قد ضاق صدري من الحياة الدنيا، وأريد أخذ الثأر من هؤلاء المنافقين . فقال الحسين ﷺ: إِذا غَدَوْتَ إِلَى الْجِهادِ فَاطْلُبْ لِهؤُلاءِ الأَطْفالِ قَليلاً مِنَ الْماءِ [2].

لا بأس أن نقف وقفة تأمّل لما سبق ذكره مسلطين الضوء على ما يلي من الأمور:

١- لقد وقفت عجلة الزمن وكأنَّ هدوءًا وصمتًا مطبقًا قد حلّ بساحة المعركة، فلا أصوات صهيل الخيل، ولا وقع الأقدام، ولا شدّة الحر، و لا مقدار العطش كان له أي معنى أمام لقاء الأخوين ﷺ.

فالاثنان واقفان يتبادلان الحديث وأيّ حديث، فكم تمنّى الحسين ﷺ أن يطول الوقت بأخيه ويؤجّل منيّته، وينعم بقربه الى جانبه، لكن هذا لم يدم طويلاً إذ قطعه العباس بكلمتين إحداهما مريحة جدًا للحسين ﷺ وهي بدأ العباس بكلمة (يا أخي) ولعلّه تمنّى أن يكررها مراراً ولا يأتي بالكلمة الأخرى وهي (هل رخصة ؟) كم كانت مؤذية لحسين العباس ﷺ.

٢- لم يجد العبّاس بُدًّا من قولها وقد شاهد وحدة أخيه، إذ أظهرت الرواية أنَّ العباس جاء لأخيه وهو على أتمّ ما يكون من مظهر الفارس المقاتل الحامل للّواء، ورايته ترفرف بيده مستعدًّا لمواجهة معسكر النفاق، وإن بقى وحيدًا مع الحسين ﷺ.

٣- بكاء الحسين ﷺ في هذه اللحظة مثيرة لكثير من التساؤلات، فأخوه العباس ﷺ مازال حيًّا بالقرب منه، ويبدو أنَّه أطال البكاء حتى ابتلّت لحيته الشريفة، فهل أراد إبقاء العباس لفترة أطول معه؟ أو ربما كان يُفكّر وهو يبكي ما السبيل لبقاء أخيه وثنيه عن الذهاب. أو ربما احتاجه أكثر من أيّ وقت مضى ليشكو إليه ضيق

---

(١) البياتي: جعفر، الأخلاق الحسينية، (قم المقدسة- ١٤١٨هـ)، ص٢٦٩؛ موسوعة كلمات الإمام الحسين ﷺ - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ﷺ، ص ٥٦٤ – ٥٦٥.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج٤٥، ص٤١؛ البحراني، العوالم، الإمام الحسين ﷺ، ص٢٨٤؛ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ﷺ، موسوعة كلمات الإمام الحسين ﷺ، ص ٥٦٦ - ٥٦٧ .

صدره الشّريف، أو لعلّه أدرك أنَّ ساعة فراق أخيه له قد حانت، وبدأت سلسلة البكاء من قبل الاستشهاد.

٤-الملفت إنَّ كل الذين سبقوا العباس ﷺ عندما كانوا ينزلون ساحة الوغى ويشكون شدّة الحر والعطش كان الحسين ﷺ يشجّعهم ويطمئنهم بأنّهم قريبًا سيشربون من ماء الجنة، وسيسقيهم الرسول ﷺ شربة ماء لا يظمأون بعدها أبداً، إلَّا العباس ﷺ فلم يقل له ما قاله لهم، هل لعدم شكوى العباس العطش؟ أم أنه رافض ذهابه نصاً ومضموناً؟

٥-المعروف إنَّ العباس كان آخر من استشهد قبل الحسين ﷺ، أي لم يبقَ من معسكر الحسين إلَّا علي السجاد ﷺ وهو عليل كان في الخيمة، فإذا كان الأمر كذلك فما هو قصد الحسين من قوله: **فَإِذا أَنْتَ غَدَوْتَ يَؤُولُ جَمْعُنا إِلَى الشَّتاتِ، وَعِمارَتُنا تَنْبَعِثُ إِلَى الْخَرابِ**؟ أليس في ذلك إشارة واضحة أنَّ العباس ﷺ وحده جيش بكامله للحسين ﷺ، وإنَّ بقاءه حيًّا إنَّما يعني بقاء عسكر الحسين بالرغم من كلّ الشهداء. أم أنَّها محاولة إقناع علّها تفلح مع العباس وتثنيه عن رأيه لملاقاة الأعداء؟ أو لعلّها ومضة خطرت عند الحسين ﷺ بأنَّ العباس ﷺ لو بقى حيًّا سيعوّض كلّ الخسارات التي لا تعوّض من استشهاد الأهل والأصحاب؛ لأنَّ العباس ﷺ خير من يمثلهم جميعًا.

٦- يبدو أنَّ العباس ﷺ قد أدرك عمق الحزن الذي دار بالحسين ﷺ، ولم يرغب في زيادة العبء عليه، ولا يكون جزء منه، وهو الذي كان يخفف عنه دائمًا. لذا سرعان ما حرّك تلك المشاعر الرّقيقة بقوله: فداك روح أخيك يا سيّدي، فهو مازال يؤكّد أنّ قائده وسيّده الحسين لهذا فهو مازال أيضًا ينتظر الإذن منه للنزول للمعركة.

٧- لم يبقَ أمام الحسين ﷺ إلَّا أن يطرق بابًا آخر وهو تكليف العباس ﷺ بمهمّة جلب الماء للأطفال العطاشى علّها تُبقيه حيًّا، أو ربما أنّه كان يدرك تماماً أنّ مسألة المجيئ بالمال لا يقوم بها إلّا شخص مثل العباس، فلا ننسى أنّ في المرات السابقة التي كان يأتي بالماء لم يكن العباس ﷺ وحده، بل كان مع أصحابه فيوكل كلّ منهم بمهمّة الدّفاع والآخر يملأ القِرب حتى يتم إيصال الماء، وكم من شهيد وشهيد قد قضى نحبه في هذه المهمة. والآن كلّ تلك العملية على العباس ﷺ القيام بها، وما كان منه إلّا أن استعد لذلك دون مناقشة الأمر والاستجابة له ومواجهة الجمع الكثير من معسكر النّفاق.

٨- لعل سائل يسأل يا ترى ما موقف معسكر الشّمر وهم على مرأى من لقاء الأخوين ﷺ هل كانوا ينظرون وينتظرون ما سيأتيهم، أم أنّهم لم يجرؤوا من التقدم نحوالحسين ﷺ وهو برفقة العباس ﷺ.

وعلى أيّة حال فقد ذهب العبّاس ﷺ ووعظهم وحذّرهم، فلم ينفعهم، فرجع إلى أخيه فأخبره، فسمع الأطفال ينادون: العطش العطش، فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة، وقصد نحو الفرات، فأحاط به أربعة آلاف ممّن

كانوا موكّلين بالفرات، ورموه بالنّبال فكشفهم، وقتل منهم على ما روي ثمانين رجُلاً حتّى دخل الماء، فلمّا أراد أن يشرب غرفةً من الماء، ذكر عطش الحسين وأهل بيتهعليهم السلام، فرمى الماء وملأ القربة وحملها على كتفه الأيمن، وتوجّه نحو الخيمة، فقطعوا عليه الطريق وأحاطوا به من كلّ جانب، فحاربهم حتّى ضربه نوفل الأزرق على يده اليمنى فقطعها، فحمل القربة على كتفه الأيسر، فضربه نوفل فقطع يده اليسرى من الزند، فحمل القربة بأسنانه، فجاءه سهم فأصاب القربة وأُريق ماؤها، ثمّ جاءه سهم آخر فأصاب صدره، فانقلب عن فرسه وصاح إلى أخيه الحسين: أدركني [1].

من المفيد التركيز على ما يأتي من أمور كشفتها هذه الرواية وهي:

١- كان العباس عليه السلام واثقاً من القيام بالمهمة التي أنيطت به من قبل أخيه وسيده الحسين عليه السلام بجلب الماء، لذا لم يتمكّن معسكر النّفاق من منعه وملء القربة، بل أتم ملء قربته وخرج من النّهر متوجّهًا نحو الخيمة، أي أنّه قد قطع مسافة عن النهر لم يبالِ بمن أحاط به من أربعة آلاف ممّن كانوا موكّلين بالفرات.

٢- لقد بقى العباس آخرمن يُقاتل بين يدي الحسين عليه السلام أي أطول من بقى في معسكر أخيه وهو حامل للّواء، ولم نجد رواية تذكر أو تُصرّح أنّه اشتكى لأخيه من العطش، كما رأينا الباقين من بيت النّبوة والأصحاب ممّن كان يقاتل ويأتي للحسين شاكيًا العطش فيأخذ منه عليه السلام تلك الكلمات من التّصبّر والتّحمّل والوعد بخير الجزاء. إلّا أنَّ ذلك لم يكن مع العباس عليه السلام أبداً، إلا أنّه لم يشكو العطش؟ بالتأكيد كلا فنِيرانُ قلبه أحرّ من الجمر إلا أنَّ خوفه على حسينه كان أعظم من الانشغال فيما كان يحتاجه بدنه، فتفكيره وطاقته كلّها للحسين عليه السلام لهذا ما كان منه أن يرتوي عند تمكّنه من لمس الماء بيديه الشريفتين إلّا أن رماه. لعله ارتسمت على يديه صورة أخيه الحسين وكبده الحرّى عطشا، و ربما مع ذلك سمع أصوات الأطفال وهم يلوذون في خيامهم وينادون العطش العطش، ولربما أيضًا أنّه كان مكلّفًا بمهمّة عليه أن يؤديها بعيدًا عن اهتمامه بنفسه ولو للحظة ليطفئ نار العطش قليلاً ويتقوّى بها لمواجهة أعداء الله.

٣- لقد عاش العباس عليه السلام حياته مع أخيه الحسين عليه السلام وكل لحظة كأنّها آخر لحظة من حياته فكان دومًا الحامي المدافع المطيع الى غير ذلك مما يطول قوله في هذا المقام، إلّا أنَّ آخر لحظة قد حانت وجاء ميعادها فما كان من العباس الّا ان نادى أخاه (ادركني) بالطبع أراد أن يتزوّد منه وينعم بحنانه الذي طالما عاش في كنفه، وقد حفظت ذاكرته كلّ تلك السنوات التي عاشها معه فلا بأس بدقائق يقربها عينه الأخرى التي بقت لترى بها سيّدها وتطوي سجلًّا طالما أحبّه وهو بالقرب من أخيه. وعلى أيّة حال وعلى ما يبدو أنهم قد قطعوا يديه

(١) العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج٤٥، ص٤٢ .

ورجليه حنقا عليه، لما أبلى فيهم وقتل منهم فلذلك سُمّي السّقاء [1].

ولمّا رآه الحسين ﷺ مصروعاً على شاطئ الفرات بكى، وأنشأ يقول:

تَعَدَّيتُمُ يا شَرَّ قَومٍ بِفِعلِكُم وخالَفتُمُ قَولَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

أما كانَ خَيرُ الرُّسُلِ وَصّاكُم بِنا أما نَحنُ مِن نَسلِ النَّبِيِّ المُسَدَّدِ

أما كانَتِ الزَّهراءُ أُمّيَ دونَكُمُ أما كانَ مِن خَيرِ البَرِيَّةِ أحمَدِ

لُعِنتُم وأُخزيتُم بِما قَد جَنَيتُمُ فَسَوفَ تُلاقوا حَرَّ نارٍ تَوَقَّدِ .[2]

وفي الخبر أنّه عندما جاءه سهم وأصاب صدره الشريف، وانصرع عفيرًا على الأرض يخور في دمه، نادى: وا أخاه واحسيناه وا أبتاه وا عليّاه ونادى: يا أبا عبد الله عليك منّي السلام.

فلمّا سمع الإمام ﷺ نداءه قال: وا أخاهْ وا عَبّاساهْ وا مُهْجَةَ قَلْباهْ، فأتاه كالصقر إذا انحدر على فريسته، ففرّقهم يميناً وشمالاً بعد أن قتل سبعين رجلاً منهم، ونزل إليه. وقال بحقه ﷺ: جَزاكَ اللهُ مِنْ أَخ خَيْراً، لَقَدْ جاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ . وبكى الحسين ﷺ، وأنشأ يقول:

أَخي يا نُورَ عَيْني يا شَقيقي فَلي قَدْ كُنْتَ كَالرُّكْنِ الْوَثيقِ

أَيا ابْنَ أَبي نَصَحْتَ أَخاكَ حَتّى سَقاكَ اللهُ كَأْساً مِنْ رَحيق

أَيا قَمَراً مُنيراً كُنْتَ عَوْني عَلى كُلِّ النَّوائِبِ فِي الْمُضيقِ

فَبَعْدَكَ لا تَطيبُ لَنا حَياةٌ سَنُجْمَعُ فِي الْغَداةِ عَلَى الْحُقيقِ

أَلا للهِّ شَكْوائي وَصَبْري وَما أَلْقاهُ مِنْ ظَمأ وَ ضيق

ثمّ صاح الحسين ﷺ: وا قِلَّةَ ناصِراهْ، يَعِزُّ وَاللهِ عَلَيَّ فِراقُكَ ثمّ بكى بكاءً شديداً .

في رواية: أنّه لمّا جاء الحسين ﷺ إلى أخيه العبّاس انتحى عليه ليحتمله ففتح العبّاس ﷺ عينيه فرأى أخاه الحسين يريد أن يحمله، فقال له: إلى أين تريد بي يا أخي؟ فقال ﷺ: إِلَى الْخَيْمَةِ. فقال: أخي، بحقّ جدّك رسول الله ﷺعليك أنْ لا تحملني، دعني في مكاني هذا. فقال الحسين ﷺ: لِماذا؟ قال: إنّي مستح من ابنتك سكينة، وقد وعدتها بالماء ولم آتِها به، والثاني: أنا كبش كتيبتك ومجمع عددك، فإذا رآني أصحابك وأنا مقتول فلربّما يقلّ عزمهم، ويذلّ صبرهم . فقال ﷺ: جُزِيْتَ عَنْ أَخيكَ خَيْراً حَيْثُ نَصَرْتَني حَيّاً وَمَيِّتاً .

فوضعه في مكانه ورجع إلى الخيمة، وهو يكفكف دموعه بكمّه، فلمّا رأوه مقبلاً أتت إليه سكينة ولزمت عنان

---

(١) القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار، ج٣، ص١٩٣.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج٤٥، ص٤١ .

جواده وقالت: يا أبتاه هل لك علم بعمّي العبّاس ﷺ، فعندها بكى الحسين ﷺ وقال: **يا بِنْتاهُ إِنَّ عَمَّكَ الْعَبّاسَ قُتِلَ وَبَلَغَتْ رُوحُهُ الْجِنانَ . وولده، ولم يبق غيره وغير النساء والأطفال وغير ولده المريض، نادى: هَلْ مِنْ ذابٍّ يَذُبُّ عَنْ حُرَمِ رَسُولِ الله ؟ هَلْ مِنْ مُوَحِّد يَخافُ اللهَ فينا ؟ هَلْ مِنْ مُغيث يَرْجُو اللهَ في إِغاثَتِنا، هَلْ مِنْ مُعين يَرْجُو ما عِنْدَ الله في إِعانَتِنا ؟**[1]

وفي بعض الكتب المعتبرة أنّ من كثرة الجراحات الواردة على العبّاس ﷺ لم يقدر الحسين ﷺ أن يحمله إلى محلّ الشّهداء، فترك جسده في محل قتله ورجع باكياً حزيناً إلى الخيام.

وتركه في مكانه لسرّ مكنون أظهرته الأيّام، وهو أن يدفن في موضعه منحازاً عن الشّهداء؛ ليكون له مشهد يقصد بالحوائج والزّيارات، وبقعة يزدلف إليها النّاس، وتتزلّف إلى المولى سبحانه تحت قبّته الّتي ضاهت السّماء رفعة وسناء، فتنظر هنالك الكرامات الباهرة، وتعرف الأُمّة مكانته السّامية ومنزلته عند الله تعالى، فتؤدّي ما وجب عليهم من الحبّ المتأكّد والزّيارات المتواصلة، ويكون ﷺ حلقة الوصل فيما بينهم وبين الله تعالى، فشاء حجّة الوقت أبو عبد الله ﷺ كما شاء المهيمن سبحانه أن تكون منزلة أبي الفضل الظّاهرية شبيهة بالمنزلة المعنويّة الأُخرويّة فكان كما شاءا وأحبّا [2].

ولابأس من لفت الأذهان الى ما يلي من نقاط:

١- لم يودّع العباس أخاه الحسين إلَّا عند إدراكه بقرب منيته وانقضاء أجله فنادى:يا أبا عبد الله عليك منّي السلام .

٢- ما أقسى نسمات الهواء الحارة تلك التي حملت وداع العباس لأخيه الحسين ﷺ، ذلك النداء الذي هز الحسين ﷺ فما كان منه الَّا ان يأتيه مسرعاً، و بأية حال كان مجيئه ؟ جاء كالصقر لا يرى الا أخاه و مُهْجَةَ قَلْبِهْ، رغم الألوف المحيطة بيه فقد انتزعه منهم انتزاعاً، اذ عز عليه فراقه.

٣- ولو وقفنا عند رواية لقاء الاخوين ومحاولة الحسين ﷺ ان يحمل أخاه كعادته عند استشهاد الآخرين ماذا نرى؟ نرى عينا قد فتحت اجفانها كي تقر برؤية معشوقها الحسين وهو بهذا القرب منه . وبعد التأكد منه جاء سؤاله الذي افطر قلبا للحسين ﷺ كان العباس ﷺ يحيه إلى أين تريد بي يا أخي ؟ فأجابه مقتضبا بكلمة واحد لا سواها إِلَى الْخَيْمَةِ . وكأن الحسين قد غارت كل قواه ولم يكن لديه من القوة ليقول الكثير من الكلام، وقد خنقته العبرة وهذا المنظر الذي طالما حاول ان لا يعيشه ولا يراه.

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٠ – ٤٣؛لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ﷺ، موسوعة كلمات الإمام الحسين ﷺ، ص ٥٦٨ – ٥٧٢ .

(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ﷺ، موسوعة شهادة المعصومين (ع)، (قم المقدسة-١٣٨٠)، ج ٢، ص ٢٦٠ – ٢٦٢.

٤- إنَّ العباس عليه السلام كان يعلم من أخيه نفسه الزكية الأبية التي تأبى تركه بمكانه وانه سيحمله للخيام لا محالة، لذا أقسم عليه بأحبّ الخلق لديه بجده الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله الا أن يتركه بمكانه.

٥- أردف العباس عليه السلام بعد القسم بعدد من مبرراته التي حاول بها إقناع الحسين عليه السلام بعدم حمله، ولا سيما وانه قد استفهم منه طلبه هذا بقوله: لِماذا ؟ عندها برّر انه بعدم تمكنه من ايصال الماء لسكينة وآل بيته عليهم السلام فإنه لا يريد حمله للخيمة.

والذي اثارنا هو المبرر الآخر الذي دار حول أنه عليه السلام كبش كتيبته ومجمع عدده، فإذا رآني أصحابك وأنا مقتول فلربّما يقلّ عزمهم، ويذلّ صبرهم .

فعن أي عدد يتكلم عليه السلام، وأي كتيبة وعن أي جمع و هو آخر من بقى من المعسكر؟ لا سيما وان الحسين عليه السلام قد أكّد بقوله: **جُزِيْتَ عَنْ أَخيكَ خَيْراً حَيْثُ نَصَرْتَني حَيّاً وَمَيِّتاً** . إذ لم يبقَ الا الحسين .فهل قصد العباس بقوله هذا ان الحسين هو الجيش كله ؟ فأراد أن يدرأ عن أخيه النظر إليه اذا ما كان في الخيمة مع الشهداء وما يسببه ذلك من قلّة العزم لشدة ألم الفراق، في وقت كان الحسين عليه السلام بأمس الحاجة الى كلّ ما بقى من قوته .

أو لعله تمنّى أن يكون هناك من فتح الله قلبه للإسلام فيلبّي نداء الحسين عندما نادى:**هَلْ مِنْ ذابّ يَذُبُّ عَنْ حُرَمِ رَسُولِ الله ؟ هَلْ مِنْ مُوَحِّد يَخافُ اللهَ فينا ؟ هَلْ مِنْ مُغيث يَرْجُو اللهَ في إِغاثَتِنا، هَلْ مِنْ مُعين يَرْجُو ما عِنْدَ اللهِ في إِعانَتِنا؟**[1]

هذا مع التنويه إلى أنَّ الحسين عليه السلام لم يطلب الغوث إلَّا بعد استشهاد العباس عليه السلام، بالرغم من استشهاد أهل بيته وأصحابه وانفراده بأخيه الذي كان يُمثّل الجيش وحده ولم ينكسر ظهره إلا بعد استشهاد العباس عليه السلام.

٦- استجاب الحسين عليه السلام لطلب أخيه وعاد للخيام وهي المرة الأولى التي يعود فيها وحيداً، وقد أدرك تمامًا أنّه الآن وحده، لا أحد يشد ظهره.

موقف الإمام الحسين عليه السلام عند مصرع أخيه العباس عليه السلام:

لقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام بعد بكائه على أخيه عليه السلام ونادى: الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتي [2] .

وَهَوَى عليه مَا هُنَالِكَ قائلا اليومَ بَانَ عن اليمينِ حُسَامُها

اليومَ سَارَ عن الكتائبِ كَبْشُها اليومَ غَابَ عن الهُدَاةِ إمامُها

اليومَ نامت أعينٌ بك لَمْ تَنَمْ وتسهَّدَتْ أخرى فَعَزَّ مَنَامُها [3].

---

(١) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٥، ص١٠١.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج٤٥، ص٤٢.

(٣) آل درويش، المجالس العاشورية في المآتم الحسينية، ص ٢٤٥ – ٢٥١.

فبكى الحسين ﷺ لقتله بكاء شديداً، ولنعم ما قال القائل:

أحق الناس أن يبكى عليه فتى أبكى الحسين بكربلاء

أخوه وابن والده علي أبو الفضل المضرج بالدماء

ومن واساه لا يثنيه شئ وجاد له على عطش بماء[1]

لقد ميّز الحسين ﷺ أخاه العباس ﷺ حتى عند البكاء، وشدة الحزن عليه.

فعلى سبيل المثال عندما استشهد ولده علي الأكبر ﷺ وقف الحسين ﷺ عليه ووضع خده على خده وقال قتل الله قومًا قتلوك ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول على الدنيا بعدك العفا [2].

وعندما حمل الحسين ﷺ القاسم ﷺ إلى الخيمة فوضعه فيها، ففتح القاسم عينه، فرأى الحسين ﷺ قد احتضنه وهو يبكي ويقول: **يا وَلَدي لَعَنَ الله قاتِليكَ، يَعِزُّ وَاللهِ عَلى عَمِّكَ أَنْ تَدْعُوهُ وَأَنْتَ مَقْتُولٌ، يا بُنَيَّ قَتَلُوكَ الْكُفّارُ كَأَنَّهُمْ ما عَرَفُوكَ مَنْ جَدُّكَ وَأَبُوكَ** [3].

ولما رآى أهله وأصحابه وقد تناوشتهم السيوف وقف ﷺ قائلاً لهم: صبراً يا بني عمومتي صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هوانًا بعد هذا اليوم أبداً . وكذا يوصي غلامًا له وقد قطعت يده، فضمه إليه قائلاً له: يا بن أخي اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير. [4]

لكن مع العباس الأمر مختلف تماماً إذ بكى بكاء شديداً، حتّى بكى جميع من كان حاضرًا، وقال ﷺ: **جَزاكَ اللهُ مِنْ أَخ خَيْراً، لَقَدْ جاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ . وصرخت زينب وقالت: وا أخاه وا عبّاساه وا قلّة ناصراه وا ضيعتاه من بعدك فقال الحسين ﷺ: إي، وَاللهِ مِنْ بَعْدِهِ وا ضَيْعَتاهْ وا انْقِطاعَ ظَهْراهْ فجعل النساء يبكين ويندبن عليه، وبكى الحسين ﷺ، وأنشأ يقول:**

أَخي يا نُورَ عَيْني يا شَقيقي فَلي قَدْ كُنْتَ كَالرُّكْنِ الْوَثيقِ

أَيا ابْنَ أَبي نَصَحْتَ أَخاكَ حَتّى سَقاكَ اللهُ كَأْساً مِنْ رَحيق

أَيا قَمَراً مُنيراً كُنْتَ عَوْني عَلى كُلِّ النَّوائِبِ فِي الْمُضيقِ

فَبَعْدَكَ لا تَطيبُ لَنا حَياةٌ سَنُجْمَعُ فِي الْغَداةِ عَلَى الْحُقيقِ

---

(١) السيد محسن الأمين، لواعج الأشجان، ص ١٨٠ – ١٨٢.

(٢) السيد ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٦٧ – ٦٨.

(٣) البحراني: السيد هاشم، مدينة المعاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، (قم المقدسة – ١٤١٣هـ)، ج٣، ص٣٧١؛ موسوعة كلمات الإمام الحسين ﷺ – لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ﷺ – ص ٥٦٣.

(٤) الحسن، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب، ص ١٥٣ – ١٥٤.

أَلا لله شَكْوائي وَصَبْري وَما أَلْقاهُ مِنْ ظَمأ وَضيق[1]

كما أنشأ عليه السلام يقول عندما رآه صريعًا على شاطئ الفرات وبكى:

تعديتم يا شر قوم ببغيكم و خالفتم دين النبي محمد

أما كان خير الرسل أوصاكم بنا أما نحن من نجل النبي المسدد

أما كانت الزهراء أمي دونكم أما كان من خير البرية أحمد

لعنتم وأخزيتم بما قد جنيتم فسوف تلاقوا حر نار توقد[2].

فالسلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقي الساعي إليه بمائه المقطوعة يداه – لعن الله قاتله يزيد بن الرقاد الجهني، وحكيم بن الطفيل الطائي[3] .

رفع الرؤوس الشريفة وحملها:

لله درك يا عباس أبيت إلَّا أن تكون أمام أخيك حامياً مدافعًا حتى بعد استشهادكما وقطع رأسيكما الشريفين.

فعندما كانت الرّؤوس الشريفة على الرماح، كان يقدمهم رأس العباس بن علي عليهما السلام ورأس الإمام عليه السلام كان وراء الرؤوس أمام المخدّرات [4].

وكأن لسان حال إمامنا العباس عليه السلام يؤكِّد أن خطته التعبوية الدّفاعية لم تنته بعد وإن قتل وقطع، ويكفيه أن يكون بالقرب من معشوقه عند ذلك المسير الطويل. وهذا ماكان يصبوا إليه عليه السلام أن تستمر رفقته للحسين عليه السلام أيًّا كانت الكيفية والوضع.

---

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص ٥٦٧ – ٥٧٢.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٠ – ٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ج ٤٥، ص ٦٦ – ٦٧.

(٤) الأبطحي:السيد علي الأصفهاني، الإمام الحسين عليه السلام في أحاديث الفريقين من قبل الولادة إلى بعد الشهادة، (قم المقدسة- ١٤١٨)، ج ٢، ص ٢٦١.

الخاتمة

لقد نشر قمر العشيرة ﷺ شعاع الوفاء والتّضحية والإباء في كلّ أعماله وتصرّفاته، لذا فقد سعينا ما أمكننا أن نبحث عن طريقة لقراءة الأحداث بأسلوب نعتقد أنّه ملائم من خلال تحليل الوقائع واستنباط النتائج، وعليه فمن أبرز النتائج التي توصلنا إليها ما يلي:

- يبدو أنَّ العباس ﷺ في لحظة ما شعر أنّ حياته يجب أن تنتهي إلى معشوقه السّرمدي ألا وهو الحسين ﷺ لذا فقد هيّأ كلّ السّبل لتحقيق غايته، فقد سيطر على كثير من المواقف التي وكّلت مهام السيطرة عليها إليه، ولاسيما عند إرساله لإنجاز أعمال لا يتوقّع مردودها أو الحصول على نتائج إيجابية، ومنها على سبيل المثال إرساله لتأجيل القتال وتوفير الوقت الذي يريده الحسين ﷺ؛ لينعم بالانقطاع لله تعالى، وكذلك إرساله لتهدئة النساء وإسكات بكائهن، وأيضًا إرساله لإحضار الماء غير مرة. ولم يعتذر عن أيّ مهمّة وجّهت له ﷺ لأنّه اعتاد على الصّعاب.
- أكَّد العباس ﷺ في كلّ مواقفه أن لا حياة له إلّا بالحسين ﷺ لهذا كان طوق حماية له يسرع ملبّيا نداء أخيه ويركض للعودة إليه عند تركه ولو لفترة جدًّا وجيزة وهو على مرأى من تلك العيون الطاهرة التي ترنو إليه وهو يحدّث معسكر النّفاق عندما جاءوا لمعسكر الحسين ﷺ، أو عند جلب الماء.

لهذا فقد أدرك قادة النّفاق وعسكرهم أن لا مناص من إنهاء المعركة، وعدم إطالتها إلّا بقطع العباس ﷺ عن الحسين ﷺ، وبذلك انتهت المعركة باستشهاد أبي الفضل المغوار.

- باتت كل دعوات الأمان إلى الفشل الذريع الذي أربك مانحيه وزاد من خذلانهم، كما وأكّد التفاف العباس وإخوته حول قائدهم وسيّدهم الحسين فسلام الله عليهم.

ولو غصنا في أعماق نفس الحسين نرى العباس فيها، كان نعم الأخ الذي واجه معه دوّامة التّحدّيات بما فيها من صعوبات ومعوّقات.

- لقد تعامل العباس طوال حياته مع معشوقه الحسين ﷺ على انه سيده واخيه وروحه التي بين جنبيه، ووفقا للمواقف كان يعلن اللفظة المناسبة لهذا الموقف او ذاك .
- حاول الحسين ﷺ إبقاء العباس ﷺ معه لأطول ما يمكنه ﷺ، والوقت يمضي مسرعاً وهو يحاول ان ينتزع منه للتزود من أخيه وحامل لوائه . لكن مشروع رخصة القتال الأخير قد حانت، وكل المحاولات لم تجدي نفعاً مع اصرار وعزيمة ابن الكرار .
- اعتاد العباس ﷺ أن يخفف العبء عن أخيه الحسين ﷺ حتى عند مصرعه الشريف، إذ يأبى حمله للخيام

معتذرًا عن ذلك بعدد من المبررات التي وجدت صداها لتحقيق مراده.

- لمعرفة حقيقة الحزن نجده في قلب الحسين ﷺ الذي أضحى فارغا بعد استشهاد العباس ﷺ، وما كان منه ﷺ الَّا ان ابكاه بكاءً شديدًا، وعلى الرغم من قلة الوقت الذي عاشه الحسين ﷺ بعد استشهاد العباس ﷺ، إلا أنّه مثّل دهرًا بالنسبة لأبي عبدالله، ولعله كان يصبر نفسه بقول الله تعالى:

(إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [1].

(١) التوبة: ١١١.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر الأصيلة

١-ابن اعثم الكوفي: أبي محمد أحمد(ت، ٣١٤هـ)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، (بيروت- ١٤١١هـ).

٢-البحراني: الشيخ عبد الله (ت، ١١٣٠هـ)، العوالم، العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال الإمام الحسين ﷺ، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي ﷺ، ج١٧، (قم المقدسة- ١٤٠٧هـ).

٣-ابن شهر آشوب: محمد بن علي ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني(ت، ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، (النجف الاشرف -١٩٥٦).

الشيخ الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت، ٣٨١ هـ).

٤-ثواب الأعمال، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ط٢، (قم المقدسة- ١٣٦٨).

٥-الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (قم المقدسة- ١٤٠٣هـ).

٦-الامالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، (قم المقدسة- ١٤١٧هـ).

٧-ابن طاووس: السيد علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت، ٦٤٤هـ)، مقتل الحسين ﷺ المسمى اللهوف في قتلى الطفوف، (قم المقدسة- ١٤١٧هـ).

٨-الطبري: محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، ط٤، (بيروت- ١٩٨٣).

٩-ابي الفرج الاصفهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن (ت، ٣٦٥هـ)، مقاتل الطالبيين، تقديم وإشراف: كاظم المظفر، ط٢، (النجف الشرف- ١٩٦٥).

١٠-القاضي النعمان المغربي: ابي حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ت، ٣٦٣هـ)، شرح الأخبار، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، ط٢، (قم المقدسة -١٤١٤هـ).

١١-ابن قتيبة الدينوري: حمد بن داوود (ت، ٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، (القاهرة- ١٩٦٠).

١٢-المجلسي: العلامة محمد باقر(ت، ١١١١هـ)، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، (بيروت- ١٩٨٣).

١٣-أبو مخنف الأزدي:لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي (ت، ١٥٧هـ)، مقتل

الحسين ﷺ، تعليق: حسين الغفاري، (قم المقدسة-١٣٩٨هـ).
١٤-الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي(ت، ٤١٣هـ)، الارشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لتحقيق التراث، ط٢، (بيروت- ١٩٩٣).
١٥-ابن نما الحلي: محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله، (ت، ٦٤٥هـ)، مثير الأحزان، (النجف الأشرف- ١٩٥٠).
١٦-النويري: ا حمد بن عبد الوهاب(ت، ٧٣٣هـ)، نهاية الارب في فنون العرب، (القاهرة-بدون تا).
ثانيا:المراجع الحديثة
١٧-الأبطحي:السيد علي الأصفهاني، الإمام الحسين ﷺ في أحاديث الفريقين من قبل الولادة إلى بعد الشهادة، (قم المقدسة- ١٤١٨).
١٨-الأمين:السيد محسن، لواعج الأشجان، (صيدا- ١٣٣١هـ).
١٩-أيوب:سعيد، معالم الفتن، (قم المقدسة- ١٤١٦هـ).
٢٠- البحراني:عبد العظيم المهتدي، من أخلاق الإمام الحسين ﷺ دروس في السلوك والتربية وقيم الحياة الطيبة(قم المقدسة- ٢٠٠٠).
٢١-البحراني:السيد هاشم، مدينة المعاجزالأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، (قم المقدسة – ١٤١٣هـ).
٢٢-البياتي: جعفر، الأخلاق الحسينية، (قم المقدسة- ١٤١٨هـ).
٢٣-الحسن:الشيخ عبد الله، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب، (مطبعة بهمن - ١٤١٨هـ).
٢٤- الحائري:الشيخ محمد مهدي، شجرة طوبى، ط٥، (النجف الاشرف- ١٣٨٥هـ).
٢٥-الخطيب:السيد عبد الزهراء الحسيني، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ط٤، (بيروت-١٩٨٨).
٢٦-السيد الخوئي: السيد أبو القاسم الموسوي، صراط النجاة، تعليق: الميرزا التبريزي، (قم المقدسة -١٤١٦هـ).
٢٧-الخوئي:حبيب الله الهاشمي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: سيد إبراهيم الميانجي، ط٤، (طهران- ١٣٦٠هـ).
٢٨-آل درويش:الشيخ عبد الله ابن الحاج حسن، المجالس العاشورية في المآتم الحسينية، (قم المقدسة- ١٤٢٨هـ).

٢٩-السماوي: الشيخ محمد، أبصار العين في أنصار الحسين ﷺ، تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبسي، (قم المقدسة -١٤١٩هـ).

٣٠-الشاكري:الحاج حسين، شهداء أهل البيت ﷺ قمر بني هاشم، (قم المقدسة- ١٤٢٠هـ).

٣١-السيد شرف الدين: عبد الحسين الموسوي، المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة، مراجعة وتحقيق: محمود بدري، (قم المقدسة-١٤٢١هـ).

٣٢-شمس الدين:الشيخ محمد مهدي، أنصار الحسين ﷺ، ط٢، (بدون مكان- ١٩٨١).

٣٣-العاملي:السيد جعفر مرتضى، كربلاء فوق الشبهات، ط٢، (بيروت-٢٠٠٣).

٣٤-القندوزي: سليمان بن إبراهيم الحنفي، ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، (قم المقدسة- ١٤١٦هـ).

ثانياً:الموسوعات

٣٥-الريشهري: محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في الكتاب والسنة والتاريخ، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نزاد، ط٢، (قم المقدسة-١٤٢٥هـ).

٣٦-لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ﷺ، موسوعة كلمات الإمام الحسين ﷺ، ط٣، (قم المقدسة- ١٩٩٥).

٣٧-لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ﷺ، موسوعة شهادة المعصومين ﷺ، (قم المقدسة-١٣٨٠هـ).

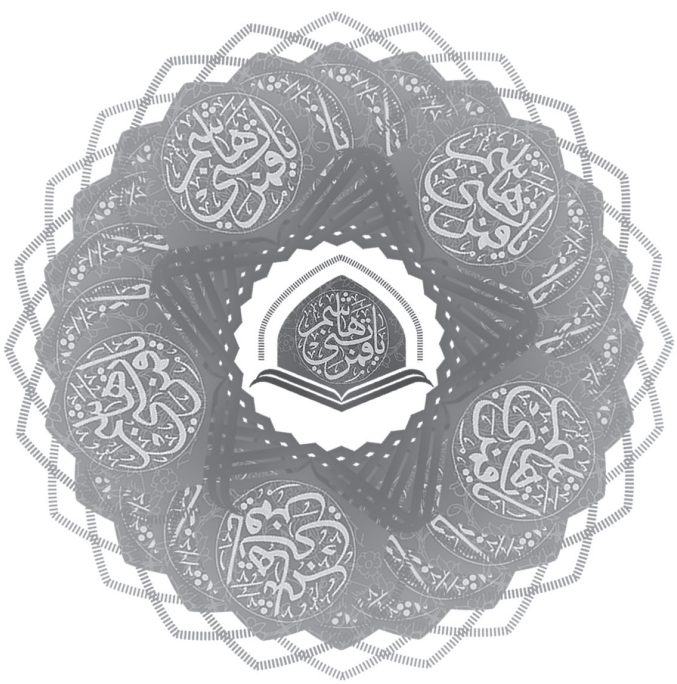

أوفى وخير الأصحاب بين القصدية والمقبولية
دراسة تداولية

السيد يوسف شفيق الرضوي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين.. أما بعد..

المقدمة:

في الآونة الأخيرة صار هناك أخذ ورد بين المفكّرين والمثقّفين وأصحاب علم الكلام، وطرحت إشكالية فيما بين هؤلاء ومحور القضية حول مقولة للإمام الحسين عليه السلام في يوم واقعة الطّف، وهذه المقولة هي قوله: «لا أعلم أصحاباً أوفى، ولا خيراً من أصحابي»[1].

وطرحت هذه المقولة في دائرة التّداول أو بالأحرى ما هو المقصود من قول الإمام الحسين عليه السلام؟!

وهل المقصود منه المعنى الظاهر للجملة أي أنّه حصر الوفاء والخير في أصحابه دون غيرهم من الأصحاب الذين عاصروا باقي الأئمة عليهم السلام؟!

أم أنّه من الممكن أن يوجد أشخاص لربما يحملون نفس صفات هؤلاء الأشخاص، وبالتالي يمكن أن نطلق على آخرين في أزمنة أخرى أنّهم مثل أصحاب الحسين عليه السلام، وبعبارة أخرى: ممكن أن يُسمى آخرون أنّهم من صحب الإمام الحسين عليه السلام لأنَّ هناك سمات وصفات تجمعهم بهؤلاء الصحبة وبالتالي صاروا أصحاباً للإمام الحسين عليه السلام ولو لم يكونوا معه في معركة الطف التي أطلق فيها هذه المقولة؟

وهل من الممكن قبول إطلاق مثل هذه المقولة على أفراد لم يعاصروه ولم يلتقوه ولم يقاتلوا تحت رايته؟!

كل هذه الأسئلة وغيرها صارت مطروحة بين أهل العلم ومتداولة في الأوساط العلمية، وثارت حولها الإشكاليات، مما يدفعنا إلى تقصّي المعاني المقصودة من هذه المقولة والهدف من إطلاقها؛ لكي نحاول ومن

---

(١) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٩١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩٢ و ٣٩٣ وروضة الواعظين ص١٨٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٣ ولواعج الأشجان ص١١٨ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص١٨٣ وراجع: مقاتل الطالبيين ص٧٤ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٧ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٧ والملهوف في قتلى الطفوف ص٥٥ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٥ وينابيع المودة ج٣ ص٦٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٠٧ ونهاية الأرب للنويري ج٢٠ ص٤٣٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦١١ و ٦١٢ وج٢٧ ص١٤٥ وراجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٥.

خلال طرحنا في هذا البحث للوصول إلى أرض مشتركة تقرّب المعنى المطلوب إلى ذهن القارئ الكريم، وبالتالي لإيضاح الفكرة وبلورتها بشكلٍ أفضل.

وفي هذا البحث لن يقتصر على النّظر في المعاني الظّاهرة من هذه المقولة، بل لا بُدّ من مراعاة أمور عدّة في التّقصي عن المطلوب والهدف، وذلك يتطلب النظر في العناصر المكونة للخطاب:

أوّلاً: العنصر الذّاتي، ويتمثّل في التّعبير عن معتقدات المتكلّم ومقاصده واهتماماته ورغباته.

ثانيًا: العنصر الموضوعي، الذي يتمثّل في الوقائع الخارجية ومن ضمنها الظّروف الزّمانية والمكانية.

ثالثًا: العنصر المعرفي، ومنه نتبين المعرفة المشتركة بين المتكلّم والمخاطب.

وهذه العناصر مجتمعة تفسّر لنا:

أ: الأقوال المستعملة.

ب: معرفة المحيط الخارجي الذي تم فيه الخطاب الصادر من المتكلم.

ج: يكون للغة الخطاب أثرها بين المتحدّث والسّامع من خلال تراكيب الجمل.

وفي معرض البحث لا بُدّ من استقصاء مسألة مهمّة وهي هل أنّ الخطاب محصور في زمان ومكان محدّدين أم يتخطّاهما إلى أزمنة وأمكنة أخرى.

وعليه، فإنَّ دراسة التداولية حول هذه المقولة ستركّز حول تلك الاشكاليات المطروحة للوصول لفهم أوسع وأشمل من المقصود من هذه المقولة، ولن تغفل الدراسة الجانب العقائدي الكلامي؛ وذلك لأنّ مُطلق هذه المقولة وقائلها هو إمام معصوم، وليس شخصاً اعتيادياً، فإنَّ دراسة أقوال المعصومين ﷺ تختلف عن مقولات الأفراد والأشخاص الآخرين وذلك لأنّ كلام المعصوم وفي اعتقادنا كلام دقيق، ولا يصدر عن عبث، أو لهو، بل هو كلام موجّه للناس أجمعين في كل زمان ومكان، وليس مجرد إخبار عن شيء حصل، بل يمكن أن يكون كلاماً ملهماً للأجيال القادمة. وهذا انطلاقاً مما جاء على لسان الإمام الصادق ﷺ:

«حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله ﷺ قول الله عز وجل»[1].

وعليه، فإنّ الدخول في غمار هذا البحث يحتاج إلى دقّة عالية، ويتوخى الأمانة العلمية، والوقوف على مفاصل

---

(١) الكافي ج١ ص٥٣ وروضة الواعظين ص٢١١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٧ ص٨٣ و (ط دار الإسلامية) ج١٨ ص٥٨ والإرشاد للمفيد ج٢ ص١٨٦ والخرائج والجرائح ج٢ ص٨٩٥ ومنية المريد للشهيد الثاني ص٣٧٣ و وصول الأخيار إلى أصول الأخبار ص١٥٣ وبحار الأنوار ج٢ ص١٧٨ و ١٧٩ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص١٤٨ وتفسير الميزان ج١٩ ص٣٣ وإعلام الورى ج١ ص٥٣٦ وج٢ ص٣٨٤.

مهمة، حتى نصل إلى المبتغى، سيكون البحث مقسماً على مبحثين:

المبحث الأول: قصدية المقولة، انطلاقاً من العنصرين: الذاتي والموضوعي.

المبحث الثاني: مقبولية المقولة، انطلاقاً من العنصر المعرفي؛ عند المتكلم والمخاطب.

المبحث الأول: قصدية المقولة:

نقلت المصادر التاريخية قول الإمام الحسين ﷺ عن أصحابه بعبارتين:

الأولى: «لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي»[1].

الثانية: «اللهم إنّي لا أعلم أهل بيت أبر، ولا أزكى، ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي»[2].

ولا بد من الإشارة إلى مسألة، ومن خلال مراجعة المصادر فقد وردت كلمة «أولى» بدل كلمة «أوفى»، ويبدو ذلك أنّه من التصحيف: لتشابه الرسم بين الكلمتين.

ومما يؤكّد أنّ الأصح هي كلمة «أوفى»؛ أنّ كلمة «أولى» لا تعطي معنى واضحاً في موردها، ولم يذكر «المفضل عليه» فيها، فأصحابه أولى بأي شيء؟! ومن هم الذين يكون أصحابه ﷺ أولى منهم؟! وبماذا هم أولى من غيرهم؟!

ولا بُدّ أن نُبين للقارئ الكريم المقصود من الصحبة وما هي مقتضياتها، وإلا فإنَّ للصحبة مدلولات مختلفة وتفسيرات متباينة، ونقول:

الصّحبة ومقتضياتها:

إنَّ مفهوم الصّحبة يختلف في معناه اللغوي والاصطلاحي، وكلامنا هنا مقتصر على صحبة المعصومين ﷺ، كالنبي محمد ﷺ والأئمة ﷺ حيث إنَّ الصّحبة تتحقّق لمن طالت مجالسته مع أحدهم على طريق التتبع له، والأخذ عنه، بخلاف من وفد إليه وانصرف بلا مصاحبة ولا متابعة.

وقالوا إنَّ: « الصاحب الملازم إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن

---

(١) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٩١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩٢ و ٣٩٣ وروضة الواعظين ص١٨٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٣ ولواعج الأشجان ص١١٨ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص١٨٣ وراجع: مقاتل الطالبيين ص٧٤ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٧ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٧ والملهوف في قتلى الطفوف ص٥٥ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٥ وينابيع المودة ج٣ ص٦٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٠٧ ونهاية الأرب للنويري ج٢٠ ص٤٣٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦١١ و ٦١٢ وج٢٧ ص١٤٥ وراجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٥.

(٢) الأمالي للصدوق ص٢٢٠ المجلس رقم ٣٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٦ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٦٥ وتجارب الأمم ج٢ ص٧٥.

وهو الأصل والأكثر أو بالعناية والهمّة... الخ»[1].

فالمصاحبة والأصطحاب أبلغ من الاجتماع، لأجل أنَّ المصاحبة تقتضي طول لبثه، فكلّ أصطحاب اجتماع وليس كل اجتماع اصطحاباً.

على أنّ البعض عدَّ كل من عاين النبي ﷺ والتقى به ولو للحظات معدودات أصبح صحابياً عادلاً ويجب الأخذ عنه، وهذا خلاف المنطق، فإن توسعة معنى الصحابي وتعديته إلى هذا الرأي هو ضرب من ضروب المغالة في الأصحاب، وهذا الاختلاف بين المعنيين لا يغير شيئاً من عدالة جميع الصحابة لأنَّ مراد النبي ﷺ بكلامه هو المعنى اللغوي لا المعنى الاصطلاحي الذي هم أحدثه هذا البعض، وأشار النبي نفسه عن بعض هؤلاء الأصحاب الذين طالت مجالسته معهم فوصفهم بالارتداد، وإذا كان حال من طالت مصاحبته كذلك فكيف هو حال من لقيه لمرة أو مرتين الذي عدّوه أيضاً صحابيًّا.

وإنَّ الاعتقاد بعدالة جميع الصحابة لا يتلاءم مع الحديث المذكور عن النبي ﷺ أيًّا كان المعنى لكلمة (أصحابي) المعنى اللغوي أو الاصطلاحي عند هؤلاء البعض، لأنَّه سوف يخرج بعضهم وهذا ما يخالف اعتقادهم إلا أن يتنازلوا عن عدالة بعضهم دون البعض، وهذا ما يُقال من أنّ بعض الأصحاب لم يغيروا بعد رسول الله ﷺ.

والاجتماع المكاني والزّماني ليس دليلاً على عدالة الجميع لأنَّ المكان والزمان قد يجمع المؤمن والكافر ومكة المكرمة والمدينة المنورة هما من أشرف بقاع الأرض وقد جمعتا المؤمنين والمنافقين والكافرين.

وبالعودة إلى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام فإنَّ صحبتهم ما هي إلا «ارتباط يستند إلى اختياراتهم، وقراراتهم، وإلى تعهدات يأخذونها على أنفسهم، ما دام الأنس والانسجام بين الصاحب وصاحبه قائماً، فإن الإلتزامات بمبادئ وقيم، وأخلاق الصحبة تبقى قائمة ..

والتخلي عن ذلك يعد إخلالاً بالصحبة، وينتهي الأمر عند هذا الحد. وهو أسهل وأيسر من تخلّي القريب عن قريبه، فإنَّ ذلك إذا حصل لا يؤثر على القرابة ولا يخل بها، بل إنَّ تبعات التخلي عن الأقارب تبقى تلاحق فاعله إلى أن يتراجع.

والمطلوب منهم في مثل هذه الحالات: هو الوفاء بما التزموا به، أو بما يتوقّع من أمثالهم في مجالات التّعامل الاجتماعي، وما تفرضه الأعراف والأخلاق والقيم، والأحكام»[2].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٢٧٥، ط٢، منشورات: (دفتر نشر الكتاب)، قم المقدسة، إيران، ١٤٠٤ هـ. ق.

(٢) سيرة الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والسيرة، السيد جعفر مرتضى العاملي، ج١٥ ص٢٧٧، ط١، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، لبنان، ٢٠١٤م، ١٤٣٥ هـ. ق.

صيغة أفعل التفضيل:

غالباً فإنَّ صيغة أفعل التّفضيل تعني: أفعل الذي في الغالب للتفضيل، وهذا من باب إضافة الشيء إلى نوعه، وذلك لأنَّ أفضل تارة تكون صفة مثل: أعرج، وأبيض، وأحمر وما أشبهها، وتارة تكون فعلاً، مثل: أقدم، وأحكم، وأكرم، وما أشبهها. وأفعل التفضيل: هو كل اسم دال على التفاضل بين شيئين، إما في محمود وإما في مذموم.. ولا تظن أن معنى أفعل التفضيل أبلغ الإحسان والخير، بل هي من التفضيل الذي هو الزيادة في قبح أو حسن. فإذا قلت: هذا أبيض من هذا، فهذا تفضيل في ممدوح.

ومن الواضح أنَّ الإمام الحسين ﷺ استفاد من صيغة أفعل التفضيل بكلمة «أوفى» لكي يظهر خاصّيّة معيّنة في أصحابه هؤلاء، وهي الوفاء في مقابل الخيانة، أو في مقابل النكث بالعهود، أو الخلف بالوعود، ويثبت ذلك أنَّ الإمام الحسين ﷺ وَصَلته الكتب والمراسيل التي تنم عن الوفاء له بالعهد وأنَّهم معه في شأن نهضته في مقابل الظلم الواقع عليهم من الطغمة الحاكمة والمتمثلة آنذاك بحكومة الأمويين وحكومة يزيد بن معاوية عليهم، فإنَّهم راسلوه وكتبوا له، والإمام ﷺ قد احتج على هؤلاء في اليوم العاشر من المحرم حين خطب في معسكر الأعداء منادياً فيهم: «**يا شَبَثَ بنَ رِبعِيٍّ، ويا حَجّارَ بنَ أبجَرَ، ويا قَيسَ بنَ الأَشعَثِ، ويا يَزيدَ بنَ الحارِثِ، ألَمَ تَكتُبوا إلَيَّ: أن قَد أينَعَتِ الثِّمارُ، وَاخضَرَّ الجَنابُ، وطَمَّتِ الجِمامُ، وإنَّما تَقدَمُ عَلى جُندٍ لَكَ مُجَنَّدٍ، فَأَقبِل؟**

قالوا لَهُ: لَم نَفعَل.

فَقالَ: سُبحانَ الله! بَلى وَالله، لَقَد فَعَلتُم»[1].

وقوله ﷺ: «**اللّهُمّ احكُم بَينَنا وبَينَ قَومٍ غَرّونا، وكَذَّبونا، وخَذَلونا**»[2].

والإمام الحسين ﷺ يؤكِّد صفة الوفاء التي اتصف بها هؤلاء الصحب القلة في مقابل الذين وعدوا ونكثوا بعهدهم، وخانوا، وانقلبوا على الإمام الحسين ﷺ بما وعدوه به وقاتلوه واشتركوا في سفك دمه هو وأهل بيته وأصحابه الأوفياء.

فإنَّ الزمان والمكان ومناسبة إطلاق مثل هذه المقولة، كان لها ظروف محيطة بها، ولا بد من الالتفات إليها، وهي على الشكل الآتي:

---

(١) راجع: أنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٩٦ و (ط دار التعارف) ج ٣ ص ١٨٨ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٣٩ وتذكرة الخواص ص ٢٥١. وراجع: مقتل الحسين لأبي مخنف ص ١١٦ ونهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٣٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦٠٣ وج ١١ ص ٦١٥ و ٦٢١ وج ٢٧ ص ١٤٢ وجمهرة خطب العرب ج ٢ ص ٥٢.

(٢) الإرشاد ج٢ ص٦٢ وإعلام الورى ج١ ص٤٤٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٥٦ وموسوعة الإمام الحسين ﷺ ج٣ ص١٨٩ عنهم، وراجع: روضة الواعظين ص١٩٦ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧٧ والأمالي الشجرية ج١ ص١٩١ والحدائق الوردية ج١ ص١١٦ وراجع: مقاتل الطالبيين (ط المكتبة الحيدرية) ص ٦٧ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٠٦ وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج٢ ص٨٢ ولواعج الأشجان ص٦٥.

أولاً: إنَّ البيئة المحيطة بالإمام الحسين ﷺ كانت بيئة معادية له ولأهل بيت النبي «عليهم صلوات الله أجمعين»، فإنَّ القوم يعرفون من يكون، وما هو نسبه، ويعلمون علم اليقين أنّه ليس هناك على وجه الأرض من هو أقدس، وأطهر منه، ويعلمون مكانته من رسول الله ﷺ، وما قال في حقه ﷺ، فقد قال لهم في يوم الطّف: «**فَإِن كُنتُم في شَكٍّ مِن هذَا القَولِ أفَتَشُكّونَ أثَراً ما أنِّي [في الكامل في التاريخ: أفتشكون في أني] ابنُ بِنتِ نَبِيِّكُم! فَوَالله، ما بَينَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ ابنُ بِنتِ نَبِيٍّ غَيري مِنكُم ولا مِن غَيرِكُم، أنَا ابنُ بِنتِ نَبِيِّكُم خاصَّةً**»[1].

ثم تبلورت وبانت عدواتهم أكثر فأكثر حين طالبهم ﷺ بقوله لهم: «**وَيْلَكُمْ! أتَقاتِلُوني، عَلى سُنَّة غَيَّرْتُها، أَمْ عَلى شَريعَة بَدَّلْتُها؟!**

فقالوا: بل نقاتلك بغضاً منّا لأبيك! »[2].

فهذا مما يؤكِّد معاداة البيئة التي كانت حاضرة في زمانه، في مقابل القلة الذين وفوا بعهودهم له، وبذلوا الغالي والنّفيس لمرضاته، بل أغلى ما يمكن أن يعطى وهي الأوراح والأنفس.

ثانياً: إنَّ المكان الذي أطلق فيها هذه المقولة كانت في أرض المعركة والقوم يأتمرون به يريدون أن يقتلوه شرّ قتلة، بينما أصحابه كانوا حوله يريدون افتداءه بأرواحهم وأنفسهم، ويشهد لذلك ما صدر عنهم من أقوال قبيل نزولهم إلى ساحة الوغى فإنَّهم يعيشون السعادة والنّعمة الحقيقية حتى وهم يتألّمون ويواجهون المحن، والبلايا، ويستشهدون. وتأكل السيوف أجسادهم.

وهذا ما يُفسّر لنا: قول مسلم بن عوسجة، أو سعيد بن عبد الله الحنفي للإمام الحسين ﷺ في كربلاء: لو علمت أنّي أُقتل فيك ثم أحيا، ثم أُحرق حياً، ثم أذرى، يفعل بي ذلك سبعين مرة، ما فارقتك، حتى ألقى حمامي دونك[3].

ثالثاً: والزمان الذي أطلق فيها الإمام الحسين ﷺ في الليلة السابقة لواقعة كربلاء حيث روي عن الإمام زين العابدين ﷺ: «لَمّا وَصَلَ الكِتابُ [مِن عُبَيدِ الله بنِ زِيادٍ] إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ، أمَرَ مُنادِيَهُ، فَنادى: إنّا قَد أجَّلنا حُسَيناً وأصحابَهُ يَومَهُم ولَيلَتَهُم. فَشَقَّ ذلِكَ عَلَى الحُسَينِ ﷺ وعَلى أصحابِهِ. فَقامَ الحُسَينُ ﷺ في أصحابِهِ

---

(١) الإرشاد ج٢ ص٦٢ وإعلام الورى ج١ ص٤٤٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٥٦ وموسوعة الإمام الحسين ﷺ ج٣ ص١٨٩ عنهم، وراجع: روضة الواعظين ص١٩٦ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧٧ والأمالي الشجرية ج١ ص١٩١ والحدائق الوردية ج١ ص١١٦ وراجع: مقاتل الطالبيين (ط المكتبة الحيدرية) ص ٦٧ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٠٦ وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج٢ ص٨٢ ولواعج الأشجان ص٦٥.

(٢) ينابيع المودّة ص٤١٦ و (ط دار الأسوة سنة ١٤١٦هـ) ج٣ ص٨٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦٤٧ وعن مقتل الحسين ﷺ ومصرع أهل بيته ص١٣٢ وعن معالي السبطين ج٢ ص١٢.

(٣) نفس المهموم (ط سنة ١٤١٢ هـ دار المحجة البيضاء) ص٢٠٦، واللهوف ص٣٩، ومقتل الحسين للمقرم ص٢٥٦ عن الإرشاد للمفيد وعن تاريخ الطبري ج٦ ص٢٣٩.

خَطيباً...الخ»[1].

وقام بهم خطيباً لكي يهدئ من روعهم، ويتكلم عن خصوصيتهم، ويُبين صفاتهم الحسنة، في مقابل ما فعله الآخرون معه.

فإنّ تلك العناصر المحيطة بظروف إطلاقه ﷺ لهذه المقولة والاستفادة من صيغة أفعل التفضيل بكلمة «أوفى» لإظهار عظمة هؤلاء الصحبة، رفعة شأنهم، وعظمة مكانتهم، ومن المعروف: «أنَّ هناك أموراً تفضل على غيرها لأجل قوة حضورها في نفسها، ولما هو كامن في ذاتها، فيقال: فلان أقوى، وهذا القلم أثمن، أو هذا الشكل أجمل، أو فلان أفضل أو أعلم، أو أشد ذكاءً، أو أشدّ سواداً، أو بياضاً، أو أشدّ مرارة أو حلاوة، وما إلى ذلك. لأنَّ ما استُنِدَ إليه في التفضيل مفهوم مشكك متفاوت الحضور في تجلياته في أفراده.

وهناك أمور لا مجال للتفضيل بينها في أنفسها، بل هي إما أن توجد أو لا توجد، وإن وجدت، فإنَّها تكون على نحو واحد، فإن تكثر وجوده، فإنّ تكثره لا يعني سوى التكرار للأفراد وزيادة عددها ..

فمثلاً الخبر إما صادق أو كاذب، والإنسان إما وفيّ أو غير وفِيّ، فلا مجال للتفاضل بين الأفراد المتكثرة، لأنّ حضور الخصوصية في الأفراد في مستوى واحد، وعلى نسق واحد.

نعم، يمكن التفضيل بين أفراد هذه العناوين من حيث القلة والكثرة، فيقال لمن جاء بمئة خبر مقابل آخر جاء بمئة خبر أيضاً: فلان أصدق من فلان، إذا كان أحدهما قد صدق في تسعين خبراً. وصدق الآخر في خمس وتسعين مثلاً، والتفاضل في عدد الأفراد إنَّما هو تفاضل في أمر خارج عن حقيقة ذات الخبر وخصوصية الصدق فيها، أو بالنسبة للوفاء المقابل للخيانة، أو المقابل لنكث العهد، أو لخلف الوعد»[2].

خاطبوا الناس على قدر عقولهم:

إنَّ الأئمة ﷺ قد خاطبوا الناس على قدر ما يحتملونه، وعلى القدر الذي تحتمله عقولهم، وبلغتهم، ويستعملون الكنايات والمجازات، وسائر التعابير التي يستعملها الناس عادة.

كما أن أفعالهم وحركاتهم إنَّما يفهمها الناس، ويفسرونها وفق مرتكزاتهم، وبحسب أفهامهم، وانطلاقاً من عاداتهم، ويتبيّن أنَّ لكل طبقة من الناس أساليب خاصة بها تناسبها، لا بُدّ من تلمّسها، والتعرّف عليها ككل صاحب قضية، يريد دعوة الناس إليها..

---

(١) الأمالي للصدوق ص٢٢٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٥ و ٣١٦ وراجع: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٤ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٦٤ و ٦٥ عنهم، والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٦٥ وتجارب الأمم ج٢ ص٧٥.

(٢) سيرة الإمام الحسين ﷺ في الحديث والسيرة، السيد جعفر مرتضى العاملي، ج١٥ ص٣٠٠، ط١، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، لبنان، ٢٠١٤م، ١٤٣٥ هـ. ق.

وجاء في الأثر عن النبي ﷺ: «**ما من أحد يحدّث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلاّ كان فتنة على بعضهم**»[1].

وقوله ﷺ: « **نحن معاشر الأنبياء نكلّم الناس على قدر عقولهم**»[2].

والسبب في ذلك هو: أنّه ﷺ كان يكلم الناس، ويكتب لهم على قدر عقولهم، وحسبما ألفوه من لغاتهم، ويصوغ لهم العبارات، ويورد التّراكيب وفق ما هو متداول فيما بينهم، فأوجب ذلك اختلاف كلماته معهم، ورسائله لهم، من حيث وعورة الألفاظ وعذوبتها، وسهولة التراكيب وتعقيدها «**اتساعاً في الفصاحة، واستحداثاً للإلفة والمحبة، فكان يخاطب أهل الحضر بكلام ألين من الدهن، وأرق من المزن، ويخاطب أهل البدو بكلام أرسى من الهضب، وأرهف من القضب**»[3].

ونلاحظ: أنَّ الإمام الحسين ﷺ قال: «لا أعلم أصحاباً أوفى من أصحابي». ولم يقل: إنّني أعلم أنّهم أوفى من كل أحد. حيث إنّه ﷺ إنَّما يتحدّث مع الناس وفق الدلائل الظاهرية التي تتوفر له ولغيره وانطلاقاً من نفس قاعدة مخاطبة الناس على قدر عقولهم، حيث لم يكن فيها ما يدل على وجود من هو أوفى منهم. مما يعني: أنَّهم قد بلغوا في وفائهم درجة الكمال التام.

علم الإمام بوفاء أصحابه:

لقد استخدم الإمام الحسين ﷺ في قوله صيغة النفي، فهل يا ترى أن الإمام ﷺ لا يريد أن يعلم عن غيرهم إذا كانوا أوفى منهم أم لا؟!

ونقول إنَّنا نعلم ونستيقن: أنَّ الإمام الحسين ﷺ لو أراد أن يعلم لعلم، لأنَّه إمام، والله يُعْلِمُ الإمام بما يريد.. ولا يريد الإمام أن يعلم إلا ما يكون مفيداً لتأييد الدين، ونشر الحق.. أو يفيده هو في نيل منازل الكرامة، أو ما كان من شؤون الإمامة.

ولكن قوله: لا أعلم أصحاباً أوفى، أو خيراً من أصحابي يبين لنا: أنَّه ﷺ يريد أن يبقي هذا الأمر على درجة من الغموض في بعض نواحيه. أي أنّه يريد أن يفهم الناس أنَّ أصحابه هؤلاء قد بلغوا في الوفاء أقصى الدرجات. وهم على قدر من المساواة مع جميع من بلغ هذه الدرجة، فلا يوجد أوفى منهم.. وفي حال لم يكن هناك من استطاع بلوغ هذه الدرجة، فذلك يعني: أنّ أصحابه هم الأوفى. فهو ﷺ لم يبين للناس هذا الأمر، لأنَّ مطلوبه حاصل على كلّ حال. أي سواء وصلوا إلى درجة لم يصل إليها غيرهم، أو وصلوا إلى درجة ساووا فيها كلّ من وصل.

---

(١) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني، ج٢ ص١٢٠، ط١، تحقيق: (الميرزا أبو الحسن الشعراني والسيد علي عاشور)، منشورات: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، ١٤٢١ هـ. ق.

(٢) بحار الأنوار ج٧٤ ص١٤٠ وج١٦ ص٢٨٠ و ٢٨١ وج١ ص١٠٦ و ٨٥ وتحف العقول ص٣٥ والكافي ج٨ ص٢٦٨.

(٣) مكاتيب الرسول ج١ ص٨٠ وكنز العمال ج١٠ ص٦١٧.

والسؤال الذي يطرح هنا: لماذا استخدم الإمام الحسين ﷺ هذه الصيغة؟!

هل ليخبر بأنَّ أصحابه وصلوا إلى مرتبة الكمال التام التي قد يبلغها غيرهم أيضاً؟! أمثال خيار الصحابة كأبي ذر، وسلمان، وعمار، والمقداد، والأشتر وغيرهم فيكون جميع هؤلاء متساوين في درجة الوفاء مع أصحابه ﷺ؟!

ويمكن الإجابة عن هذا التساؤل بأنَّه ﷺ إنَّما عمد إلى تلك الصيغة لكي يبقي «الأمر في دائرة الغموض والإبهام. ربما لكي تبقى علاقة الناس بهم، وبسائر صلحاء الأمة وخيارها _ كسلمان ونظرائه_ في دائرة السلامة، والاعتدال، فلا يضيّع الناس حق أحد منهم.. ولا ينتهي الأمر بالاستهانة بأقوال النبي ﷺ في حقهم، لاسيما وأن الناس لا يقتصرون في أمثال هذه الأمور على دلالات النصوص بحرفيتها»[1].

وهذا إنَّما يدل على حكمة الإمام الحسين ﷺ المتناهية في حفظ مكانة الآخرين، والرعاية لعظيم شؤونهم، وبالتالي حتى لا يتجرّأ أيًّا كان ويشبه نفسه بالخلص من أصحاب الأئمة ﷺ وغيرهم. وتلك الصيغة تدل على علم الإمام ﷺ بمقامات الناس، وشؤونهم، وما لهم من درجات في إخلاصهم ووفائهم، لا العكس كما قد يظن البعض أنّه ليس عالماً، بل هو عالمٌ، مطّلعٌ، خبيرٌ بأحوالهم التي يصعب على كثيرين أن يصلوا لتلك الدرجة..

أوفى وخيراً من أصحابي:

ويمكن أن نلاحظ أنَّ الإمام ﷺ قد نسب الأصحاب إلى نفسه، واعتبرهم أنَّهم أوفى وخير الأصحاب، ويمكن أن نستدل من خلال هذه النسبة بأنَّ الإمام ﷺ يشير إلى أنَّهم أوفى وخير الصحبة من وقت نصرته، فإنَّه لم يقل على سبيل المثال: لا يوجد أصحاب أوفى من هؤلاء الناس، أو غير ذلك من العبارات، لأنَّ هذه الكلمة لو جاءت بصيغة الإطلاق لكان قد أثبت لهم صفة الوفاء وصفة كونهم أوفى وخير أصحاب في جميع حالاتهم، وشؤونهم، وفي سائر مراحل حياتهم، فهم لم يكونوا خير وأوفى الأصحاب حين كانوا في خدمة الطغمة الظالمة والمستبدّة، ومن مؤيدي نهج وسياسات أهل الباطل كما هو الحال بالنسبة للبعض منهم: كالحر الذي جعجع بالإمام الحسين ﷺ، وزهير بن القين الذي كان عثماني الهوى كما يقال عنه، وغيرهم. وهذا من المؤكَّد ما لا يريده الإمام ﷺ، واستحالة أن يكون من مقاصده.

منطلقات المقولة:

وللقارئ الكريم أن يعرف بأنَّه ﷺ كان قد أطلق هذه العبارة في ليلة العاشر من المحرم أي في الليلة التي سبقت المعركة، وكان لم يظهر من أحدهم أي عمل يثبت أنَّهم أوفياء أو غيره ولكنه ﷺ خطب فيهم وأكَّد هذه الصفة فيهم، ولكن أسلوبه الخطابي هذا إنَّما ينم على أنّه عالم بكوامن الأمور والنفوس وهو انطلق في أخباره هذا عن

---

(١) سيرة الإمام الحسين ﷺ في الحديث والسيرة، السيد جعفر مرتضى العاملي، ج١٥ ص٣٠١، ط١، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، لبنان، ٢٠١٤م، ١٤٣٥ هـ. ق.

أمر عيني كامن فيهم، وقد علم به الإمام الحسين ﷺ، ومطّلع عليه بما له من خصوصية الإمامة، وما اختصه الله به من العلوم.

وهذا دأب أهل بيت العصمة ﷺ باستخدام علومهم لنصرة الدين والحق، وقد ذكرنا للقارئ العزيز فيما سبق أعلاه أنَّ المعصومين ﷺ لا يتركون فرصة سانحة لهم للاستفادة من تلك العلوم إلا وفعلوها من دون المساس بالاختيار واتخاذ القرار الذي منحه الله للناس، وعلى سبيل المثال: كان رسول الله ﷺ يلجأ لمثل هذه الأمور كإطعام الجيش بأكمله من كفّ من تمر، أو من كتف شاة، أو نحو ذلك .. ليرسخ الإيمان في القلوب، ولكنه يكلفهم بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، ويأمرهم بقتالهم، ومنازلة الأعداء بالسيوف والسواعد، ولا يعطل إرادة الأعداء، أو يعمد إلى شلّ حركتهم.

وانطلاقاً من هنا: فإنَّ الإمام الحسين ﷺ مطّلع على «مقامات أصحابه في الفضل والخيرية، وفي الوفاء، و .. و .. الخ .. من طرق غير عادية، ثم يخبرهم عن هذه المقامات، لكي يزيد من يقينهم، ويضاعف من صبرهم وثباتهم .. ويخبرنا أيضاً بهذا المقام لهم ليكون ارتباطنا بهم مستنداً إلى علم الإمامة، الذي لا يخطئ، فإنَّنا سنكون بأمسّ الحاجة إلى هذا الارتباط اليقيني والواعي، بالاستناد إلى هذه الأخبار، ليكون ارتباطنا وعلاقتنا بهم في غاية السلامة والصّحة»[1].

هذا ولقد تبيّن للقارئ الكريم المقاصد من مقولة الإمام الحسين ﷺ في حقّ أصحابه، وما هو الهدف من وراء إطلاق مثل هذه المقولة، وبإيجاز بسيط نلخص تلك المقاصد من خلال العنصرين الذّاتي والموضوعي، في هذه النّقاط التالية:

١: الإمام الحسين ﷺ أظهر ومن خلال علمه الخاص موقفه ورأيه في هؤلاء الأصحاب.

٢: إنَّ الظروف المحيطة الزّمانية والمكانية جعلت الإمام ﷺ يشدّ عصب هؤلاء العصبة المؤمنة ليثبتوا في مقابل أهل الباطل، وذلك بحكمته البالغة وتصرفه الدقيق وفق رؤيته للأمور.

٣: إنَّ هؤلاء الأصحاب هم خيرة الخيرة، والصّفوة الصّفوة، وذلك لما أثبتوه من اخلاص ووفاء في مقابل الذي خانوا ونكثوا، وقد عمد الإمام ﷺ إلى صفاته الذاتية للتعبير عن معتقداته، ومقاصده، واهتماماته، ورغباته من خلال إطلاق هذه المقولة التي خُلدت مع الأجيال، وخلّدت ذكر هؤلاء الأصحاب.

٤: لم يترك الإمام الحسين ﷺ أي فرصة لإثبات أحقّيّته وأحقّيّة مسيرته وخير دليل على ذلك هي تلك المقولة التي أظهرت للكل أن الحقّ لا يكون بالكثرة، والعدد، والعدّة، بل يكون في أكثر الأحيان مع القلّة القليلة،

---

(١) سيرة الإمام الحسين ﷺ في الحديث والسيرة، السيد جعفر مرتضى العاملي، ج١٥، ص٣٠٢.

والثلة الوفية والمخلصة التي تتصدّى لأهل الباطل، ومن خلال إخلاصها ووفائها فإنَّها تظلّ حيّة في أذهان الناس على مرّ العصور، وتلهج بأحقّيّة تلك الثّلّة وأفضالهم، مع كلّ الظروف الموضوعيّة المحيطة بها.

هذا وتم بحمده تعالى الانتهاء من المبحث الأول الذي يُبيّن قصدية المقولة وننتقل إلى المبحث الثاني الذي يبحث في مقبولية المقولة.

المبحث الثاني: مقبولية المقولة:

من الواضح والجلي أنّه من بعد إطلاق الإمام الحسين ﷺ لهذه المقولة، سيكون لها ارتدادات عند المتلقين لها، ومن البديهي أن نستقرء تفاعلهم الظّاهر معها إمّا من خلال ردود أفعالهم، أو من خلال ما عقبوا به في أقوالهم، لأنَّ أحداث الخطاب لم تكن مجرد كلمات، بل تجسّدت على أرض الواقع، وتناقلتها الألسن، وصرّحت عنها السير، وكَتَبَ فيها أرباب التاريخ.

وسيظهر هذا المبحث العنصر المعرفي فيما بين المتكلم والمخاطب المتلقّي، وبالتالي سنكتشف مع القارئ الكريم أثر الخطاب ونعلم مدى تأثيره على المخاطبين ومنه نستشف أمورًا أخرى من خلال المحاور التي سوف نبحثها..

وصول الرسالة ورسوخها:

إنَّ الإمام الحسين ﷺ هو القائد الملهم، الفذ، الأريب، العالم، الخبير، فلا ينتظر من مثل هكذا شخصية أن لا يصدر عنها كلام موجّه، ومختار، وواضح جلي، يريد من خلاله أن يوصل رسالة للمتلقي حتى يرى ردّة فعلهم، وكيف يتعاملون مع هذه المقولة، هل تقبلها أنفسهم، وترسخ في أذهانهم ويعرفون ما هو المراد به في مثل هذه المواقف، ولا ريب أنّهم «رضوان الله عليهم» وصلتهم رسالة الإمام الحسين ﷺ وما يريده من وراء وصفهم بأنَّهم أوفى وخير الأصحاب. ولأنَّ الإمام ﷺ يحتاج منهم أن يظهروا هذا الإخلاص الكامن في نفوسهم ليس فقط لمن هم حوله من أهل بيته ﷺ بل لجميع من سيأتي في قابل الأيّام، ويثبت أنّ التّضحية والوفاء صار لها مقاييس ومعايير وهم هؤلاء الأصحاب الذين ثبتوا معه للحظة الأخيرة.

وإمعاناً منّا في توضيح الفكرة وتبيانها أكثر وتقريبها إلى ذهن القارئ الكريم لا بُدّ أن نستشهد بما حدث قبل إطلاق هذه المقولة من الإمام الحسين ﷺ حين خطب فيهم ليلة العاشر من المحرم، وقال عنهم: «**لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي**».

السيدة زينب ﷺ واستعلام النوايا:

في نفس ليلة العاشر وقبل أن يخطب الإمام الحسين ﷺ في أصحابه وأهل بيته ويقول مقولته هذه، قام و«دَخلَ الحسين ﷺ خَيمةَ زينب، وَوقفَ نافعٌ بإزاءِ الخيمةِ ينتَظرُه، فَسمعَ زينبَ تقولُ لَهُ: هَل استعلمتَ مِنْ أصحابِكَ

نياتِهم؟ فإنِّي أخشى أن يُسلموك عند الوثَبة.

فقال لها: واللهِ لقد بلوتُهم، فما وجدتُ فيهم إلا الأشوسَ الأقعسَ، يَستأنسونَ بالمنيةِ دوني استيناسَ الطِفْلِ إلى محَالِبَ أُمِّهِ.

قال نافعُ: فلّما سمعتُ هذا منه بَكيتُ، وأتيتُ حبيبَ بنَ مظاهر، وَحكيتُ ما سمعتُ منه وَمن أُختهِ زينب.

قال حبيب: واللهِ لولا انتظارُ أمرهِ لعاجلتُهم بسيفي هذه الليلة.

قلت: إني خَلّفتُه عندَ أُختهِ وأظنُ النساءَ أفقنَ، وَشاركنها في الحسرةِ، فهل لكَ أن تجمعَ أصحابَك وَتواجهُوهُنَّ بِكلامٍ يُطيّبُ قلوبَهُنَّ.

فقام حبيبٌ ونادى: يا أصحابَ الحميةِ، وليوث الكريهةِ.

فتطالَعوا من مضاربهم كَالأسود الضاريةِ.

فقالَ لبني هاشم: ارجعوا إلى مقركم، لا سهرتْ عُيونُكُمْ.

ثُّم التفتَ إلى أصحابه، وحَكى لهم ما شَاهدَهُ وسمعَهُ نافعٌ.

فقالوا بأجمعِهِم: واللهِ الذي مَنَّ عَلينا بهذا الموقفِ، لولا انتظارُ أمره لعاجلناهم بسيوفِنا الساعة! فَطبْ نَفساً، وَقرَّ عَيناً، فجزاهُمْ خيراً وَقال: هَلمّوا معي لنواجه النسوةَ، ونُطيبَ خَاطرَهُنَّ.

فجاءَ حبيبُ، وَمعُه أصحابه وَصاحَ: يا معشرَ حرائرِ رسولِ اللهِ، هذه صوارمُ فتيانِكُمْ، آلوا ألا يغمدوها إلا في رقابِ مَنْ يُريدُ السوء فيكُمْ، وَهذهِ أسنة غلمانِكُمْ أقسَموا ألا يَركزوها إلا في صُدورِ مَنْ يُفرّق نَاديكم.

فَخرجن النساء إليهم ببكاءٍ وعويلٍ، وَقلن: أيها الطيبون، حاموا عن بناتِ رسولِ اللهِ ﷺ، وحرائرِ أمير المؤمنين عليه السلام.

فضجّ القومُ بالبكاءِ، حتى كأنَّ الأرض تَميد بهم»[1].

وما يمكن أن نستفيده هنا:

أوّلاً: إنّ الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يثبت ليس فقط للسيدة زينب عليها السلام ثقته بهذه الثلة من الأصحاب، بل يريد أن يظهر مواقفهم الولائية والوفائية لتبقى نبراساً مشعًّا لباقي الأجيال.

ثانياً: إنَّ سؤال السيدة زينب عليها السلام عن استعلام النوايا والاستوثاق من الأصحاب أمر بديهي، لأنَّنا كما ذكرنا سابقاً أنَّ البيئة كانت معادية بشكل فاضح لأهل البيت عليهم السلام، وكثرة الأعداء المحيطة بهم، وخذلان أصحاب الوعود عن الإيفاء بما وعدوا ظاهر وجلي، فكان لا بد لمولاتنا زينب عليها السلام أن تطالب الإمام الحسين عليه السلام بأن يستوثق من أصحابه وأن يستعلم نواياهم. وكان ما كان من ردة فعل الأصحاب إزاء ما وصل إلى آذانهم عن

---

(١) مقتل الحسين للمقرم ص٢١٨ ـ ٢١٩ ومعالي السبطين ج١ ص٣٤٤ ـ ٣٤٦ والدمعة الساكبة ج٤ ص٢٧٣ ـ ٢٧٤ بتفاوت.

لسان السيدة زينب عليها السلام.

ثالثاً: إنَّ حكمة الإمام الحسين عليه السلام وعلمه، وبُعد نظره، دفعه إلى أن يزيد في اختبار أصحابه وأن يستعلم مقبوليتهم لِما قاله في حقهم، فبعد طلب السيدة زينب عليها السلام من أخيها، وخروج الأصحاب ليثبتوا أنّهم على العهد والميثاق، قال الإمام عليه السلام في خطابه: «لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي»، وذلك ليرى هل أنَّ مثل هذا المديح يجعلهم يغترون أو يتبدلون أو أنَّ الشيطان لربما يوسوس لهم بما أنَّهم وصلوا إلى تلك المرتبة، والمعركة لم تبدأ بعد، فلا إشكال بترك الإمام الحسين عليه السلام، فكانت هذه المقولة لا للمدح فقط، بل للاختبار ليستعلم منهم قبولهم ووصول ما يريده منهم. فبعد أن وصلوا إلى ما يريدون من مديح في حقّهم وحصلوا على هذا الوسام من الإمام الحسين عليه السلام فيمكن أن يرى بعضهم أنّه في حلّ من أمره، وخاصّة أنَّ الإمام عليه السلام زاد من اختبارهم، مستخدماً نوعاً آخر ومختلفًا عن الاختبارات ليؤكّد ثباتهم وإخلاصهم ليس فقط للسيدة زينب وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله بل لجميع الناس في عصره وزمانه وفي الأيام القادمة مستقبلاً.

ثبات بعد اختبار:

وفي المحور السابق قدّمنا للقارئ الكريم حادثة سابقة على مقولة الإمام الحسين عليه السلام عن أصحابه وخطابه لهم وما كان منهم إلا أن أظهروا التّمسّك بالعهد، والثبات عليه.

وقلنا إنَّ مقولة: «لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي» لم تكن عبثية – والعياذ بالله – بل كانت من رجل حكيم وعالم كالإمام الحسين عليه السلام، وأظهرنا كيف أنَّه أراد اختبارهم حين مدحهم ليرى ردود أفعالهم، وزيادة منه في الحرص وإظهار شأنهم واختبارهم، ليُبيّن أنَّ هؤلاء هم مثال يحتذى بالوفاء، فعمد الإمام لاختبار آخر ليرى مدى مقبوليتهم لمقولته في مدحهم، وهل أنَّ الرسالة التي بين الكلمات قد وصلت إليهم، وذكرنا بأنَّ الأئمة عليهم السلام يخاطبون الناس على قدر عقولهم، فكان الاختبار التالي ليستشف منه مقبوليتهم لقوله فيهم: «لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي».

وهذا هو العنصر المعرفي عند المخاطبين، وليكون شاهدًا على أنَّ حلقة التواصل بين المتكلم وهو الإمام الحسين عليه السلام والأصحاب «رضوان الله عليهم» المعنيون بالخطاب في أوج حالاتها، وأظهر تجلياتها، وأنَّهم تلقّوا الرسالة وفهموا القصد من مقولته فيهم أنّهم أوفى وخير صحبة.

هذا الليل، فاتخذوه جملاً:

لا يمكن لأحد أن يحكم على قول ما منفصلاً عما جاء قبله وبعده، وما هي الظروف المحيطة التي جعلت المتكلم يخطب بتلك الكلمات، وأن يركب تلك الجمل، ولقد عرضنا في سياق البحث ما حدث سابقاً وقبل لحظات من

إطلاق الإمام الحسين ﷺ لهذه المقولة في حقّ أصحابه، ولكن في أصل بحثنا هو التّعرّف على مدى تأثير هذه الكلمات عند المتلقي لها.

وإنَّ مقولة الإمام ﷺ جاءت ضمن خطبة ألقاها في أصحابه وأهل بيته، ولكي نصل للمراد علينا أن نستعرض أيضاً ما قاله الإمام ﷺ بعد هذه العبارة، والهدف من ذلك إيضاح أهداف الإمام ﷺ وقصده وكذلك للوصول إلى المراد في هذا المبحث ونرى مدى مقبولية هذه العبارة والخطبة بشكل عام عند المتلقين وهم الأصحاب «رضوان الله عليهم»، ولذلك سنعرض للخطبة كاملة لإيصال الفكرة بشكلٍ أوضح وأتم، فنقل أصحاب السّير أنَّ من جملة ما خطب به الإمام الحسين ﷺ أصحابه قائلاً: «أمّا بَعدُ، فَإنّي لا أعلَمُ أصحاباً أولى [أوفى] ولا خَيراً مِن أصحابي، ولا أهلَ بَيتٍ أبَرَّ ولا أوصَلَ مِن أهلِ بَيتي [في الفتوح: لا أعلم أصحاباً أصح (لعلها: أنصح) منكم، ولا أعدل ولا أفضل أهل بيت]، فَجَزاكُمُ اللهُ عَنّي جَميعاً خَيراً.

ألا وإنّي أظُنُّ يَومَنا مِن هؤُلاءِ الأَعداءِ غَداً، ألا وإنّي قَد رَأَيتُ لَكُم، فَانطَلِقوا جَميعاً في حِلٍّ، لَيسَ عَلَيكُم مِنّي ذِمامٌ، هذا لَيلٌ [الليل] قَد غَشِيَكُم، فَاتَّخِذوهُ جَمَلاً»[1].

زاد ابن أعثم قوله: «وليأخذ كلّ رجل منكم بيد صاحبه، أو رجل من إخوتي، وتفرقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم، فإنَّهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم»[2].

ويمكن الاستفادة هنا من أمور عديدة في غاية الأهمّيّة، فنقول:

أولاً: من جملة ما مر معنا في البحث هو الوقوف على مقبولية الأصحاب لمقولة الإمام الحسين ﷺ، وعن استيضاح الجانب المعرفي عندهم، واستقراء وصول المطلوب منهم، وإثبات أحقية هؤلاء الأصحاب بالوسام الذي نالوه من الإمام ﷺ بأنّهم أوفى وخير الأصحاب، واستكمالاً منه ﷺ لهذا الأمر لم يقتصر كلامه على وصفهم بل أكمل ليحلهم من وعودهم اتجاهه والطلب منهم أن يتركوه لأنَّ القوم يريدونه هو لا غيره، وهذا لا يخرج عن الاختبار لهم وإظهار فضلهم.

ثانياً: هذا النّهج الذي اتبعه الإمام الحسين ﷺ ما هو إلا نهج تصفية أصحابه من الشوائب إلى ليلة عاشوراء، حيث جمع أصحابه، وقال لهم: «هذا الليل قد غشيكم، فاتخذوه جملاً...الخ».

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٦٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٧ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٧ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٩١ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٥ وفيها: «أوفى» بدل أولى، وروضة الواعظين ص٢٠٢ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٨٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٣ ولواعج الأشجان ص١١٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٠٠ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٠٧ كلها نحوه. وتجارب الأمم ج٢ ص٧٤ والبداية والنهاية ج٨ ص١٧٦ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٩١ وراجع: مثير الأحزان ص٥٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٨ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٨ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٥ والملهوف (نشر أنوار الهدى) ص٥٥ وتجارب الأمم ج٢ ص٧٤ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٤٩ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٧.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦١٢ عنه.

وهذا هو نفس ما فعله طالوت مع بني إسرائيل، حين صفّى أصحابه من أهل الأطماع، وطلّاب الدنيا، من خلال الإبتلاء بالنهر، وشربهم منه، فقد قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[1].

ثالثاً: هناك ترابط وثيق بين سيرة النبي الأعظم ﷺ وسيرة ومسيرة الإمام الحسين عليه السلام، وذلك يعود لما أثبته رسول الله ﷺ في حق الإمام عليه السلام فقال في حقه: «**حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً**»[2].

فتجد أن واقعة الطف «قد أعادت مساعي حركة النفاق – منذ وفاة النبيّ ﷺ حتّى سنة ستّين للهجرة – إلى نقطة الصفر!

فلو لم تكن عاشوراء لتمكّنت حركة النفاق المتمثّلة بالحزب الأمويّ آنئذ من القضاء على الإسلام المحمّديّ الخالص تماماً، ولما بقي منه إلاّ عنوانه!

وبهذا تتجلّى لنا الأهميّة الكبرى لدور الإمام الحسين عليه السلام في الحفاظ على الإسلام، بل إنّ عاشوراء قد كشفت عن وحدة وجوديّة لا انفكاك لها بين الإسلام المحمّديّ الخالص وبين الحسين عليه السلام، فصارت الدعوة إلى هذا الإسلام هي عين الدعوة إلى الحسين عليه السلام وبالعكس، وصارت مواجهة هذا الإسلام ومعاداته هي عين مواجهة الحسين عليه السلام ومعاداته وبالعكس، وصار بقاء هذا الإسلام بعد كربلاء ببقاء عاشوراء الحسين عليه السلام، حتّى لقد قيل وما أصدقه من قول: الإسلام محمّديّ الوجود حسينيّ البقاء»[3].

وهذا الترابط في سيرة هذين العظميين تظهر في أنَّ النبي الأكرم ﷺ عمد إلى اختبار أصحابه أيضاً في مثل هذه الأوقات العصيبة وهو على وشك الدخول في معركة بدر الكبرى، ولمقاربة الصورة أكثر إلى ذهن القارئ الكريم فإنَّ الرجال الذين كانوا حول النبي ﷺ في معركة بدر، والذين ساروا خلفه دون نقاش، أو جدال، ولم

---

(١) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

(٢) راجع: كامل الزيارات ص٥٢ و ٥٣ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ١١٦ و ١١٧ وشرح الأخبار ج٣ ص١١٢ وأوائل المقالات ص١٧٨ والإرشاد للمفيد ج٢ ص١٢٧ والعمدة لابن البطريق ص٤٠٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤٨٠ ومدينة المعاجز ج٤ ص١٥٤ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦١ و ٢٧١ و ٣١٦ وج٤٥ ص٣١٤ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٣٧١ ومسند أحمد ج٤ ص١٧٢ وسنن ابن ماجة ج١ ص٥١ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٢٤ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٧٧ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص١٩٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥١٥ والأدب المفرد للبخاري ص٨٥ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٢٨ والمعجم الكبير ج٣ ص٣٣ وج٢٢ ص٢٧٤ ونظم درر السمطين ص٢٠٨ وموارد الظمآن ج٧ ص١٩٦ وكشف الخفاء ج١ ص٣٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٤٩ وأسد الغابة ج٢ ص١٩ وفرائد السمطين ج٢ ص١٣٠ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٠٢ وج١٠ ص٤٢٦ وميزان الاعتدال ج٢ ص١٣٥.

(٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، ص٧، ط٣، منشورات: دار المعروف للطباعة والنشر، قم المقدسة، إيران، ١٤١٦ هـ. ق، ١٩٩٥م.

يروا لأنفسهم من وجود في وجود المعصوم.

وروي أنَّه لما كان المسلمون قرب بدر، وعرفوا بجمع قريش، ومجيئها، خافوا وجزعوا من ذلك؛ فاستشار النبي ﷺ أصحابه في الحرب، أو طلب العير.

فقام أبو بكر، فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، وما ذلت منذ عزت. ولم تخرج على هيئة الحرب.

فقال له رسول الله ﷺ: إجلس؛ فجلس؛ فقال ﷺ: أشيروا عليَّ.

فقام عمر، فقال مثل مقالة أبي بكر.

فأمره النبي ﷺ بالجلوس، فجلس.

ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله، إنّها قريش وخيلاؤها، وقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا: أن ما جئت به حق من عند الله، والله لو أمرتنا: أن نخوض جمر الغضا[1]، وشوك الهراس لخضناه معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿**قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾[2].

ولكنا نقول: إذهب أنت وربك؛ فقاتلا، إنا معكم مقاتلون. والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك، ومن بين يديك، ولو خضت بحراً لخضناه معك، ولو ذهبت بنا برك الغماد لتبعناك[3].

فأشرق وجه النبي ﷺ، ودعا له، وسر لذلك، وضحك كما يذكره المؤرخون[4].

وهذا نفس ما فعله الإمام الحسين عليه السلام حيث أراد أن يظهر للجميع أنَّ هؤلاء الأصحاب هم قمّة في الوفاء، وخير صحبة تدفع عن قائدهم بأعز، وأجل صور المدافعة ولو بإزهاق النفس في سبيله لأنّه هو الممثل الشرعي لدين الله وخليفته في أرضه وسيمر في النقاط الآتية ثبات هؤلاء الصحبة وردود أفعالهم. ونؤكِّد: أنَّ هذا كله يثبت تكامل مسيرة الإمام الحسين عليه السلام مع مسيرة جده المصطفى ﷺ.

رابعاً: والسؤال الذي يطرح نفسه وهو عين الاختبار للصحبة التي كانت مع الإمام عليه السلام وللوصول إلى كنه معرفتهم بالمطلوب منهم: فإذا كان الدفاع عن النبي والإمام واجباً، فهل يرتفع عنهم هذا الواجب بعد

---

(١) جمر الغضا: نوع من شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب وجمره يبقى زمنا طويلا لا ينطفي. كما في غاية المرام وحجة الخصام، للسيد هاشم البحراني، (تحقيق: السيد علي عاشور)، ج١ هامش ص١٩٩.

(٢) الآية: ٢٤ من سورة المائدة.

(٣) برك الغماد: يعني مدينة الحبشة كما في تاريخ الخميس ج١ ص٣٧٣، وموضع من وراء مكة بخمس ليالٍ من وراء الساحل مما يلي البحر وهو على ثمان ليالٍ من مكة إلى اليمن. راجع: مغازي الواقدي: ج١ ص٤٨.

(٤) تاريخ الخميس: ج١ ص٣٧٣، والسيرة الحلبية: ج٢ ص١٥٠، الكشاف ومغازي الواقدي: ج١ ص٤٨.

حصولهم على أمثال هذا الإذن؟! فهل يصبحون في نصرته وعدمها؟!

وهل يجعل إذن الإمام منهم معذورين في ترك نصرته والدفع عنه؟ وكيف يجوز لهم أن يسلموه للقتل، فيقتل وهم ينظرون إليه؟!

وإذا كان لا يحل لهم ذلك، فهل يصبح أمرهم بالإنصراف عنه أمراً فيه معصية لله تعالى؟!

وفي سياق الإجابة عن هذه التساؤلات، نقول:

أ - بأنَّ الإلزام بالنصرة والدفع عن الإمام له مناشئ ومسوّغات عديدة، وقد تجتمع هذه المسوغات في مورد بعينه، كما هو الحال هنا، فإذا اقتضت المصلحة رفع بعضها، وهو قابل للرفع والوضع، فلا يعني ذلك ارتفاع ما عداه .. ولاسيما إذا كان ليس مما يقبل الرفع والوضع ..

وهذا ما حصل بالفعل، فإنَّ الدفاع عن النبي والإمام واجب عقلي، لأنَّه ينتهي إلى كون ذلك دفاعاً عن الدين ورموزه، فيجب نصر النبي والإمام على كل مسلم، سواء بايعه، أو لم يبايعه.

ب – ومن المعلوم «أنّ نصر النبي والإمام، والدفاع عنه واجب شرعي وإنساني، وعاطفي، وأخلاقي، واجتماعي، وغيره .. ولا يعذر الناس من يتخلف عنه، كما لا يعذرون من لا يدافع عن عرضه، وعن أخيه وأبيه، وولده، وما إلى ذلك. وهو أيضاً واجب شرعي، ويجب، أو فقل: ربما يتأكد وجوبه بالنذر، والقسم، وبالعهد. ويجب أيضاً بالبيعة التي هي عقد بين المبايع والمبايع له، ويلتزم فيه معطي البيعة بالنصر، والمعونة، والمؤازرة، وما إلى ذلك.

ويمكن التحلل من عقد البيعة بإحلاله منه من قبل من أعطيت له. كما قد يمكن التحلل من النذر وغيره.

ولكن هذا الإحلال، وإن أسقط مفاعيل البيعة وآثارها، ولكن وجوب الدفاع والنصر قد يبقى ثابتاً، ولكن بمسوغ ومثبت آخر، كالوجوب العقلي، أو الأخلاقي، أو الشرعي المجعول من قبل الله تعالى، أو بأي موجب آخر»[1].

ج – والجلي هنا: أنَّ سيّد الشهداء عليه السلام لم يكن في وارد أنّه يريد القتل لأصحابه معه، فقط من باب الانصياع لمبدأ البيعة، أو من خلالها، بل لربما يرى عليه السلام أنَّ الدفاع عنه لمجرد الوفاء بالبيعة والعهد قد لا يستحق مقام الاستشهاد معه في واقعة الطف، فالذين لديهم هذا الامتياز عن جميع الشهداء من الأولين والآخرين: بأنَّهم سيكونون شركاء في أعمال أهل الإيمان إلى يوم القيامة ..

ولا يفوز بهذه الشراكة إلا المشتاق المتلهف إلى هذه الشهادة، والشديد الصفاء والإخلاص، والاندفاع لها.

---

(١) سيرة الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والسيرة، السيد جعفر مرتضى العاملي، ج١٥ ص٢٨٥.

بل «مطلوب الإمام ﷺ هو: أن لا تكون البيعة بمجردها سبباً وداعياً للنصرة، وذلك:

أولاً: لأنَّ ذلك لا يمنح هذا الناصر درجة الشهيد، بل يكون مجرد قتيل.

ثانياً: إنَّه ﷺ كان يعرف درجة الوعي لدى أصحابه، وأنَّهم مدركون لحقيقة مراميه وأهدافه من إحلالهم من بيعته، وأنَّهم كانوا على دراية تامة بالملزمات الأخرى، غير البيعة له بالنصر ..

ولذا أجمعوا على نصرته، بالرغم من أنه أحلهم من بيعته، والشواهد التالية تشهد على ما نقول ..

ثالثاً: إنَّ هذا الاختبار منه ﷺ لا يريد به أن يعرف حقيقة موقفهم، بل كان لأجل أن تعرف الأجيال هذا الأمر فيهم.

أما من يقاتل لمجرد وعد قطعه على نفسه يرى أنّه مكره على الوفاء به، لكي لا يلحق به عار نقضه مثلاً، فلعله لا يكون شهيداً إذا قتل»[1].

مواقف الأصحاب دليل على المقبولية:

للباحث المنصف إظهار ما كان عليه هؤلاء الأصحاب من مقام المعرفة بإمام زمانهم، والتواصل والترابط الوثيق فيما بين المتكلم والمخاطب، والالتزام بما هو مطلوب منه بمجرد استماعهم إلى مقولته فيهم، وفي هذا المحور سوف نردف القارئ الكريم بالأدلة التي تثبت مقبولية الأصحاب لما ورد على لسان الإمام الحسين ﷺ فيهم. وفي كلمات صحابة الإمام الحسين ﷺ التي صرّحوا بها في محضره، وإشارات إلى هذه الملزمات المتنوعة والمختلفة التي خضعوا لها، وألزموا أنفسهم بها، ولم نجد أي أحد منهم أشار إلى بيعة، أو عهد، أو وعد، ولو بكلمة واحدة، بل دلّت كلماتهم على أنّ القبول بالإحلال من موجبات الإخلال بالواجب العقلي، والشرعي، والأخلاقي، والإنساني، والعرفي، والإجتماعي، والعاطفي، وغير ذلك.

ومن جملة هذه الأقوال للبعض منهم نعرضها على سبيل المثال وباختصار لضيق المقام في هذه البحث المتواضع، ونقول:

موقف مسلم بن عوسجة:

قال مسلم بن عوسجة: «أنخليك، ولم نعذر إلى الله فيك»؟!

أي: إنّه يريد أن يقاتلهم قتالاً يمنحه العذر بين يدي الله تعالى.

وقوله: أَنحنُ نُخَلّي عَنكَ ولَمّا نُعذِر إلَى الله في أداءِ حَقِّكَ؟!

فالذي يلزمه بالقتال معه هو: أنّه يرى أنَّ للحسين ﷺ حقاً لا بد له من الوفاء به.

---

(١) سيرة الإمام الحسين ﷺ في الحديث والسيرة، السيد جعفر مرتضى العاملي، ج١٥ ص٢٨٧ و٢٨٨.

وقوله أيضاً: وَالله، لا نُخَلّيكَ حَتّى يَعلَمَ اللهُ أنا حَفِظنا غَيبَةَ رَسولِ الله ﷺ فيكَ، وَالله، لَو عَلِمتُ أنّي أُقتَلُ، ثُمَّ أُحيا، ثُمَّ أُحرَقُ حَيّاً، ثُمَّ أُذَرُّ، يُفعَلُ ذلِكَ بي سَبعينَ مَرَّةً ما فارَقتُكَ، حَتّى ألقى حِمامي دونَكَ، فَكَيفَ لا أفعَلُ ذلِكَ! وإنَّما هِيَ قَتلَةٌ واحِدَةٌ، ثُمَّ هِيَ الكَرامَةُ الَّتي لَا انقِضاءَ لَها أبَداً؟!

وفي نص آخر عنه «رضي الله عنه»: والله لأكسرن في صدورهم رمحي، ولأضربنَّ أعناقهم بسيفي حتى ألقى الله عز وجل، ليعلم الله أنَّا قد حفظنا عترة رسوله.

فتجد أنّه أوضح: أن ما يدفعه وبإصرار على نيل الشهادة كونه مع الإمام ﷺ، وأضاف إلى أنّه يريد أن يقدم المعذرية إلى الله سبحانه في الدفاع عنه، وذكر أموراً أخرى، منها:

أ – أن يعذر إلى الله في أداء تكليفه وحق الإمام الحسين ﷺ.

ب – المحافظة على غيبة رسول الله ﷺ في حفيده وابنه الإمام الحسين ﷺ.

أو حفظ عترة آل النبي ﷺ.

ج – أن يبلغ منازل الكرامة التي وعد الله بها والتي لا انقضاء لها أبداً.

موقف سعيد بن عبد الله الحنفي:

وقالَ سَعيدُ بنُ عَبدِ الله الحَنَفِيُّ: لا وَالله يَا ابنَ رَسولِ الله، لا نُخَلّيكَ أبداً، حَتّى يَعلَمَ اللهُ أنا قَدْ حَفِظنا فيكَ وَصِيَّةَ رَسولِ الله مُحَمَّدٍ ﷺ .. إلى أن قال: وَكَيفَ لا أفعَلُ ذلِكَ! وإنَّما هِيَ قَتلَةٌ واحِدَةٌ، ثُمَّ نَنَالُ الكَرامَةُ الَّتي لَا انقِضاءَ لَها أبَداً؟!

وقد ركز سعيد على أمور:

١: وصية رسول الله ﷺ في الإمام الحسين ﷺ التي تلزمه بالبقاء معه.

٢: ابدى استعداده لتحمل عظيم المشقات من أجل الإمام ﷺ، وهذا يدل على شدّة التعلق بشخص الإمام، وأظهر شديد حرصه على البقاء معه، فإنَّ هذا العامل النفسي القوي ملزم له باتخاذ هذا الموقف والإصرار عليه.

٣: إنَّه يريد من تضحيته هذه نيل الكرامة التي لا تنقضي أبداً.

٤: تحقيق الواجب اتجاه الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته.

وخلاصة القول في هذا المبحث:

أولاً: لقد ظهر من خلال العنصر المعرفي أنَّ رسالة الإمام الحسين ﷺ قد وصلت إليهم وفهموا المطلوب منهم وأدّوه على أتم وجه.

ثانياً: إنَّ هذه الثلة كانوا أصحاب معرفة عالية بإمام زمانهم، واتبعوه إلى آخر رمق من حياتهم، اقتداء به وتسليماً له.

ثالثاً: إنَّ التزامهم مع الإمام الحسين ﷺ لم يكن بسبب الالتزام بالعهد والوعد، بل بسبب موجبات عقلية، وشرعية، وأخلاقية، وإنسانية، وعرفية، واجتماعية، وعاطفية، وغير ذلك من أمور.

رابعاً: إنَّ موقف الإمام الحسين ﷺ مع تلك الثلة من الأصحاب لهو موقف تربوي، يهدف إلى زيادة يقينهم ووعيهم، ورفع مستوى الإيمان والإخلاص، والخلوص لديهم، ويجعلهم أكثر صلابة وقوة، وحزماً، وشجاعة وإقداماً.

خامساً: إنَّ مقولة الإمام الحسين ﷺ هي اختبار لثباتهم والتزامهم بقضيته، فلو أنَّ البعض منهم انسحب من مقابلة الأعداء في ساحة المعركة، فإنَّ الإمام الحسين ﷺ وقضية كربلاء ليست بحاجته وهي في غنى عنه، فهذا يدل على أنّه ليس مؤهّلاً لنيل هذا الوسام والشرف العظيم، في معركة شهداؤها هم أفضل الشهداء وقائدها إمام معصوم، وهو أقدس من على البسيطة، وعلى فرض بقائه وقتل في غير سبيل المدافعة عن دين الله وعن الإمام المفترض الطاعة، فإنَّه سيكون قتيلاً لا شهيداً.

فاختبار الإمام الحسين ﷺ وتصفيته ممن هم ليسوا ذو أهلية للبقاء معه، ولا هم من مستوى عظيم ما أوكل إليهم، بوعيهم وإخلاصهم ويقينهم، وما إلى ذلك، كان ضرورة لا بد منها.

الخاتمة:

لا يسعني إلا أن أعترف وفي ختام هذا البحث أنَّني أعجز من معرفة المقاصد التي أرادها الإمام الحسين ﷺ ولكنني حاولت جهدي لأن أتبين القصدية وأبحث في مقبولية هذه المقولة فيما قدمته وفق «دراسة تداولية»، وحاولت تحليل المعطيات بما توفر لي من مصادر ومراجع محاولاً تقريب القصد والمقبولية هذه بالقدر المستطاع وما توفر لي من إمكانات، جعلتني متأكّداً من أن البحث في سيرة الإمام الحسين ﷺ وكلماته من قلة علمي، ومحدوديته في كلّ مرّة حاولت البحث في سيرته الطاهرة والمشرفة.

ولا بد أن أؤكِّد للقارئ الكريم على أنَّني جاهز لتلقي أي اعتراض أو استفسار بخصوص ما قدّمت في هذا البحث المتواضع، وأضيف أنَّ الدراسة التداولية هي داخلة ضمن علم اللسانيات، والمبادرة لتطبيق هذا النوع من الدراسات على أقوال المعصومينﷺ يختلف عن محاكمة أقوال غيرهم من الشخصيات، إلا أنّ الأئمّة الأطهار ﷺ خاطبوا الناس على قدر ما تحتمله عقولهم، وبالتالي فإنَّ تطبيق الدراسة التداولية هو من ضمن علم الدّلالات والإمارات التي يطبّقها علماء الفقه والأصول؛ ليصلوا إلى المطلوب والمراد من أقوالهم وأحاديثهم، وهناك بعض الاختلافات البسيطة.

أسأل الله عز وجل أن يوفّقنا إلى مراضيه وأن يجنّبنا معاصيه، وأن يجعلنا من الذين يستعملون القلم في إظهار فضائل أهل البيت ﷺ، والدفاع عن أهل الحق، في مقابل أهل الباطل وما يطرحوه من شبهات. وأرجو من الله الذي وفقني لكتابة هذا البحث أن يكون نقطة أضعها في صفحتي في هذا المجال وللدفاع عن هذا المذهب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآل محمد الطاهرين.

شهر صفر

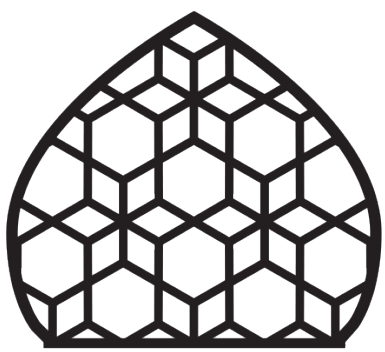

- انحراف وخذلان الأمة وأثره في خلافة الإمام الحسن عليه السلام
- زيارة الأربعين في كلمات الأوصياء والعلماء
- شذرات اجتماعية من الحياة الرضوية

انحراف وخذلان الأمة وأثره في خلافة الإمام الحسن عليه السلام (دراسة تحليلية)

م. د علي طالب عبيد السلطاني
م. م ازر عبد الكاظم اسماعيل السلطاني

المقدمة:

لقد تولى الإمام الحسن عليه السلام الخلافة في وقت كانت فيه الأمة الإسلامية تعاني الكثير من المشاكل والاضطرابات بسبب الحروب الثلاثة(الجمل وصفين والنهروان) التي فرضت على أمير المؤمنين عليه السلام حيث خلفت هذه المعارك حالة من التّذمر والملل في صفوف المقاتلين إضافة الى أنَّها أوجدت في نفوس الناس الضغائن والأحقاد بسبب ما خلفته من القتلى بين الطرفين ومن ثم ظهرت طبقة من المنحرفين والخوارج والشكّاكين في خلافة الإمام علي عليه السلام والتي كانت فيما بعد سببًا في خذلان الأمة وانحرافها عن الإمام الحسن عليه السلام مضافًا الى ذلك فإنَّ وجود معاوية وشيعته في الشام وما كان يتمتع به من أساليب المكر والخديعة كان يشكّل خطرًا آخر يهدّد الأمة الإسلامية في ظل خلافة الإمام الحسن عليه السلام، ولأجل ذلك كله ارتأينا أن نكتب بحثنا هذا والذي يحمل عنوان (انحراف وخذلان الأمة وأثره في خلافة الإمام الحسن عليه السلام دراسة تحليلية)، ولقد قسّمنا بحثنا هذا الى مقدمة ومبحثين ونتائج تناولنا في المبحث الأول بوادر انحراف الأمة في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه أولاً إجراءات الإمام الحسن عليه السلام في استنهاض وتوعية الأمة ثم تناولنا فيه أيضًا خذلان الأمة للإمام الحسن عليه السلام ومن ثم ختمنا بحثنا بما توصلنا إليه من نتائج وكذلك أشرنا في نهاية البحث إلى أهم المصادر التي اعتمدت في كتابة بحثنا هذا ومن الله التوفيق .

المبحث الأول:

بوادر انحراف الأمة في زمن أمير المؤمنين عليه السلام:

لم يكن توجه عامة الناس في العراق شيعة لعلي عليه السلام بل كان أكثرهم شيعة لعثمان وبعضهم شكاكين وعلى حد تعبير الشيخ المفيد[1]: هم أخلاط من الناس بعضهم شيعة لعلي وبعضهم محكمة اي خوارج يؤثرون قتال

(١) المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، (ت٤١٣هـ) الإرشاد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، دار المفيد للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م ،ج٢، ص١١ .

معاوية بكل حيله وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم وبعضهم شكاك وأصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين، ففي البصرة مثلا حيث إنَّها كانت قادرة في حياة أمير المؤمنين ﷺ أن تجنّد عشرات الألوف وقد تزيد على ستين ألف مقاتل، ولكن رغم ذلك لم ينفر منهم إلى علي ﷺ في حرب صفين سوى ألف وخمسمائة، وبعد التهديد والوعيد ينضم إليهم مثلهم[١]، وذلك لأنَّ أهل البصرة كما يقول عمرو بن العاص: "أهل البصرة مخالفون لعلي، قد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صناديدهم، وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل" [٢] ووصفهم الأصمعي بقوله: "البصرة عثمانية من يوم الجمل"[٣]

أما الكوفة كما يقول البراقي[٤]: فلم يسجل التاريخ لرجالاتها مآثر جديرة بالتقدير وكأنَّ من انتحى نحوها يوم مصّرت إنَّما تبوّأها ليبث روح الشقاق، أو يزرع بأرجائها بذور النفاق، ويخبئ بين فجاجها جراثيم الفساد، لذلك لمّا أينعت وبسقت أغصانها لم يشهد فيها غير الانثيال عن الحق وأهله، والميل إلى الجور، والإصاخة إلى داعية ضلال، هذه نفسية القوم عرفوا بها منذ العهد العلوي، فيوم كان يستنصرهم علي ﷺ في وقعة الجمل ويخذلهم عنه أبو موسى الأشعري، وما كان نفيرهم إليه إلاّ بعد هن وهن، وقدوم الأشتر واستنفارهم بقوة بأسه، ولا تنسَ يوم رفع المصاحف بصفين، يوم جاؤوا بالفاجعة الكبرى شوهاء شنعاء، التقت بها حلقتا البطان، ثم ندموا على ما فرّطوا في جنب ولي الله، فأثاروا فتنة النهروان غير متأثّمين، وألقوا المسؤولية فيها على عاتق علي ﷺ بحجّة داحضة، وبعد أن مسحهم السيف الإلهي وتطامنت النفوس على حرب معاوية، لم يبرح الإمام ﷺ يستشيرهم الآونة بعد الآونة، وهو لا يجد إلاّ متترساً بالأعذار أو متستراً بالفشل أو مضمراً غدراً، أو متحيزاً إلى فئة، فجرّعوه الغصص حتى مجهم وتمنى أنَّ معاوية عوّضه واحداً من الشام بعشرة منهم صرف الدينار بالدرهم، وقال فيهم: "قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً".

فالكوفة في عهد أمير المؤمنين ﷺ وعلى حدّ تعبير الشيخ المفيد [٥] "أهلها أخلاط من الناس"، كما أنَّ حيّ الناعطيين وهم من همدان وممن سكن الكوفة كان جلُّهم من العثمانية[٦]، ولمّا ذهب أمير المؤمنين ﷺ إلى قتال

---

(١) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)الإمامة والسياسة، تح:علي شيري، ط١، مطبعة أمير ، قم ، ١٤١٣هـ، ج١، ص٤١ ٠

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ، ١٩٦٥م، ج٣، ص٢٧٩

(٣) ابن عبد ربة الاندلسي، احمد بن محمد، (ت٣٣٨هـ)، العقد الفريد، تح: عبد الحميد الترحيني، ط٣، داراحياء التراث بيروت، ١٩٩٩م ٠ج٦، ص٢٤٨٠

(٤) البراقي، حسين بن احمد، (ت١٣٣٢ه)، تاريخ الكوفة، المكتبة الحيدرية، ط١، النجفالاشرف، ١٤٢٤هـ، ص٢١٩ ٠

(٥) المفيد، الارشاد، ج٢، ص١١ ٠

(٦) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٢٥ ٠

أهل النهروان كانت قبيلتا غني وباهلة في الكوفة تدعوان الله أن يظفر به عدوه [١] .

كما أنَّ أغلب أهل الكوفة وقرّائها كانوا مخالفين لعليؑ، ومن كان يعتقد بإمامته من أهل الكوفة كانوا لا يبلغون خمسين رجلاً، فعن المفضل بن قيس عن أبي عبد الله ؑ، قال: كم شيعتنا بالكوفة قال قلت خمسون ألفا قال: فما زال يقول حتى قال: ترجو أن يكونوا عشرين ثم قال ؑ والله لوددت أن يكون بالكوفة خمسة وعشرون رجلا يعرفون أمرنا الذي نحن عليه ولا يقولون علينا إلا بالحق[٢]، فقد روي ان عبد الله بن وديعة الأنصاري لقي علياً ؑ على مشارف الكوفة فسايره، فقال له ؑ: «ما سمعت الناس يقولون ؟ قال: يقولون: إنَّ علياً كان له جمع عظيم ففرقه، وكان له حصن حصين فهدمه فحتى متى يبنى ما هدم وحتى متى يجمع ما فرق فلو أنه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك إذا كان ذلك الحزم»[٣] .

ويقول ابن الاثير في الكامل[٤]: كان الناس بعد حرب صفين فيهم المعجب بنتائجها، وفيهم الكاره، والغاش والناصح، وإنَّ محاربة العراقيين لمعاوية كانت عن خوف ووجل، ولقد قال عمرو بن العاص لمعاوية في صفين، حين مرت ليلة الهرير: أرى أنَّ رجالك لا يقومون لرجاله، ولست مثله فهو يقاتلك على أمر، وأنت تقاتله على أمر آخر إنَّ أهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون من علي إن ظفر بهم»[٥].

وكذلك فقد روى أحد المؤرخين حيث قال: "فقد خرج الناس إلى صفين وهم أحباء متوادون، ورجعوا وهم أعداء متباغضون، يضطربون بأسياط"، وكذلك قول علي ؑ لابن الحر: "إني آخذ بأنفاس هؤلاء، فإن تركتهم وغبت عنهم كانت الفتنة في هذا المصر أعظم من الحرب بينهم وبين أهل الشام"، وقال صالح بن كيسان: "إنَّ علياً لما كتب كتاب القضية نفروا من ذلك؛ فحكم من حكم منهم، ثم افترقوا ثلاث فرق، فرجعت فرقة منهم إلى أمصارهم ومنازلهم، فأقاموا بها، فكان ممن رجع: الأحنف وشبث بن ربعي، وأبو بلال مرداس بن أدية، وابن الكواء، بعد أن ناشدهم علي، وقال:"فاصبروا على هذه القضية فإن رأيتموني قابلا الدنية فعند ذلك ففارقوني"، فرجعوا إلى العراق إلى منازلهم وأقامت الفرقة الثانية وقالوا: لا نعجل حتى ننظر إلى ما يصير شأنه، ومضت الفرقة التي شهدت على علي وأصحابه بالشرك، وهم أهل النهروان الذين قاتلوه" [٦].

ثم تأتي حروب النهروان، حيث فرض فيها على العراقيين، الذين يفضلون رابطة الدم، على كل ما سواها، أن

---

(١) الثقفي، ابراهيم بن محمد، (ت ٢٨٣هـ)، الغارات، تح: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي، (د٠م)، ج١، ص١٧

(٢) الصدوق، أبي محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (ت٣٨١هـ)، صفات الشيعة، مطبعة عابدي، طهران، (د٠ت)، ص١٥ ٠

(٣) الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، تاريخ الطبري، تح: محمد ابوالفضل إبراهيم ، ط٢، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٩م، ج٤، ص٤٤ ٠

(٤) ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٣٢٣

(٥) سليم بن قيس الهلالي، (ت ق١هـ)، كتاب سليم بن قيس، تح:محمد باقر الانصاري، قم، ١٤٢٢هـ، ص٣٣٦ ٠

(٦) البلاذري، احمد بن يحيى، (ت ٢٧٩هـ) انساب الاشراف، تح:محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م ٠، ج٢، ص٣٤٢ ٠

يحاربوا إخوانهم بالعصبية حيث كان في صفوف هؤلاء الخوارج: من هم إخوانهم، وأبناؤهم، وآباؤهم، وأبناء العشيرة، حتى إن عدي بن حاتم، وهو من القواد المعروفين في جيش أمير المؤمنين عليه السلام كان ولده طرفة في جملة من قتل من الخوارج، فوجده فدفنه ثم قال الحمد لله الذي ابتلاني بيومك على حاجتي إليك، ودفن رجال من الناس قتلاهم بإذن أمير المؤمنين عليه السلام [1] .

ويقول ابن الإسكافي في ذلك [2]: "فلم يؤت علي رضي الله عنه في أموره لسوء تدبير كان منه، أو لغلط في رأي، غير أنه كان يؤثر الصواب عند الله في مخالفة الرأي، ولا يؤثر الرأي في مخالفة رضا ربه وقد كانت له عليه السلام خاصة من أهل البصائر واليقين، من المهاجرين، والأنصار، مثل: ابن عباس، وعمار، والمقداد، وأبي أيوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت، وأبي الهيثم بن التيهان، وقيس بن سعد، ومن أشبه هؤلاء من أهل البصيرة، واخترمهم الموت وحمل معه من العامة قوم لم يتمكن العلم من قلوبهم، تبعوه مع ضعف البصيرة واليقين، ليس لهم صبر المهاجرين، ولا يقين الأنصار، فطالت بهم تلك الحروب، واتصلت بعضها ببعض، وفني أهل البصيرة واليقين، وبقي من أهل الضعف في النية، وقصر المعرفة، من قد سئموا الحرب، وضجروا من القتل ؛ فدخلهم الفشل، وطلبوا الراحة، وتعلقوا بالأعاليل فعندها قام فيهم خطيبًا فقال: أيّها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حياد ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل، وسألتموني التطويل دفاع ذي الدين المطول وقال: ليتني لم أعرفكم معرفة جرت ندما وأعقبت سدما ولقد ملأتم قلبي غيظا وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب وقد كانت هذه الأحوال مع النبي صلى الله عليه وآله وقد ظهرت أسباب العزة وقد جاءهم من الله اليقين من ارتياب قوم وشك آخرين، وضعف قوم، وتخلف قوم وانهزام قوم خلوا مراكزهم وولوا العدو أدبارهم، وفيهم يقول الله تبارك وتعالى:(إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم)[3]، وفي المتخلفين يقول الله: (فاقعدوا مع الخالفين) [4]، وقال: (وإن منكم لمن ليبطأن فإن أصابتكم مصيبة قال: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً) [5].

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٤٤ ٠

(٢) الاسكافي، أبي جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي، (ت٢٢٠هـ)، المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) تح: الشيخ محمد باقر المحمودي الطبعة: الأولى، ١٩٨١ م، ص٩٨ ٠

(٣) ال عمران: اية:١٥٣

(٤) التوبة: آية: ٤٦ ٠

(٥) النساء: آية:٧٢ ٠

وجاء في رسالة لعبد الله بن وهب الراسبي أرسلها إلى أمير المؤمنين ﷺ قوله: « فلما حميت الحرب، وذهب الصالحون: عمار بن ياسر، وأبو الهيثم ابن التيهان، وأشباههم، اشتمل عليك من لا فقه له في الدين، ولا رغبة له في الجهاد، مثل: الأشعث بن قيس وأصحابه واستنزلوك حتى ركنت إلى الدنيا حين رفعت لك المصاحف مكيدة فتسارع إليهم الذين استنزلوك وكانت منا في ذلك هفوة"[1]

ولذلك فقد كان أمير المؤمنين ﷺ: «ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم، وهم بصفين، أن لا يكونوا اليوم أحياءً، يسيغون الغصص، ويشربون الرنق ؟ فقد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم. أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق ؟ أين عمار ؟ وأين ابن التيهان ؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم، من إخوانهم الذين تعاقدوا على النية، وأبردوا برؤوسهم إلى الفجرة، قالوا: ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة ؛ فأطال البكاء، ثم قال ﷺ:أوّه على إخواني الذين قرؤوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد، فأجابوا، وثقوا بالقائد فاتبعوه»[2].

ولذلك كان علي ﷺ يستذكر وينعى في خطبه الواعين من أصحابه ويصفهم بأنَّهم المتقون، والذين عرفوا الحق، ووثقوا بالقائد وأحكموا القرآن، وأقاموا الفرض، وأحيوا السنة، وضحوا بأنفسهم في سبيل دينهم وعقيدتهم، وكانوا الحريصين على مستقبل الإسلام والإيمان والذين كان لهم دور كبير في ربط الناس بالإمام، وتعريفهم على صواب موقفه، وتحريضهم على طاعته ونصرته، وكانوا أول من لبى نداءه، ويوبخ المتخاذلين ويصفهم فيقول ﷺ في حين بقي الأراذل، ضعفاء البصيرة واليقين من أمثال الأشعث وغيره ممن لم يتمكن العلم من قلوبهم، والذين ظهر فيهم مصداق قوله ﷺ: "ما تتعلقون من الإسلام إلا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلَّا رسمه"[3] .

وكذلك وبعد انتصاره ﷺ في النهروان وأمره الناس بالرحيل فقال لهم مخاطبًا: إنَّ الله قد أعزّكم وأذهب ما كنتم تخافون عنكم فامضوا من وجهكم هذا إلى الشام، فقال الأشعث بن قيس: يا أمير المؤمنين نفدت سهامنا وكلَّت سيوفنا ونصلت رماحنا، فلو أتينا مصرنا حتى نريح ونستعدّ ثم نسير إلى عدونا فركن الناس إلى ذلك وسار علي حتى أتى المدائن وجعل أصحابه يدخلون الكوفة حتى بقي في أقل من ثلاثمائة، فلما رأى ذلك دخل الكوفة وقد بطل عليه ما دبّر من اتيان الشام قاصدا إليها من النهروان، فخطب الناس فقال: أيها الناس استعدوا للمسير

---

(١) البلاذري، الانساب، ج٢، ص٣٧٠ .

(٢) الراوندي، سعيد هبة الدين، (ت٥٧٣هـ)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، ج٢، الخيام، قم، ١٤٠٦هـ، ج١ص١٧٩.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح التهج، ج١٣، ص١٧٩ .

إلى عدوكم ففي جهاده القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا وكفى بالله نصيرًا فتركهم أيامًا حتى إذا يئس منهم خطبهم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: « يا عباد الله ما بالكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلاً وبالذّلّ والهوان من العزّ والكرامة خلفًا، أكلّما دعوتكم إلى الجهاد دارت أعينكم في رؤوسكم كأنّكم من الموت في سكرة، وكأنّ قلوبكم قاسية فأنتم أسود الشرى عند الدعة، وحين تنادون للبأس ثعالب رواغة، تنتقص أطرافكم فلا تتحاشون ولا ينام عدوكم عنكم وأنتم في غفلة ساهون . إنَّ لكم عليّ حقًّا، وإنَّ لي عليكم حقًّا، فأمّا حقّكم فالنَّصيحة لكم ما نصحتم، وتوفير فيئكم عليكم، وأن أعلمكم كيلا تجهلوا، وأؤدبكم كيما تعلموا وأمّا حقي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصح في المغيب والمشهد، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم قالوا وخطبهم بعد ذلك خطبا كثيرة، وناجاهم وناداهم فلم يربعوا إلى دعوته ولا التفتوا إلى شيء من قوله وكان يقول لهم كثيرا: إنه ما غزي قوم في عقر دارهم إلَّا ذلوا[1].

وقال لهم ﷺ في خطبة أخرى: أيّها القوم الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أنَّ معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ منّي عشرة منكم وأعطاني واحداً منهم [2].

وبعد ذلك بدأ الضعف يدب إلى جميع القوات العسكرية في جيش الإمام ﷺ، وشاعت الفرقة والاختلاف فيما بينها، خصوصًا بعد واقعة النهروان، حتى إنّ معاوية أرسل أحد رجاله وهو عمارة بن عقبة إلى الكوفة ليتجسس له عن حالة جيش الإمام، فكتب له خرج على علي أصحابه، ونسّاكهم فسار إليهم فقتلهم، فقد فسد عليه جنده وأهل مصره، ووقعت بينهم العداوة، وتفرّقوا أشدّ الفرقة، فقال معاوية للوليد بن عقبة: أترضى أخوك بأن يكون لنا عينا [3]، ولذلك ورد عنه قوله: « لقد حاربت عليا بعد صفّين بغير جيش ولا عناء أو لا عتادًا [4].

ولقد كانت الأكثرية الساحقة في معسكر الإمام لهم رغباتهم الخاصة التي تتنافى مع مصلحة الدولة، وأهداف الإمام في حين أن أهل الشام كانوا على العكس من ذلك حيث يقول الحجاج بن خزيمة لمعاوية: "إنّك تقوى

---

(١) البلاذري، انساب الاشراف، ج٢، ص٣٧٩ .

(٢) المفيد، الارشاد، ج١، ص٢٨٠ .

(٣) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج٢، ص١١٥ .

(٤) الذهبي، ابوعبدالله شمس الدين محمد بن احمد، (ت ٧٤٨هـ) سيراعلام النبلاء، تح:شعيب الارنؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ج٣، ص١٤٤ .

بدون ما يقوى به علي لأنّ معك قوما لا يقولون إذا سكت، ويسكنون إذا نطقت، ولا يسألون إذا أمرت ومع علي قوم يقولون إذا قال: ويسألون إذا سكت" [1]، وكان أبو بردة وكان من جند أمير المؤمنين عليه السلام في صفين وأنه كان عثمانيا وينافق أمير المؤمنين عليه السلام ويُكاتب معاوية سرًّا، فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالفلوجة وكان عليه كريمًا[2].

ومن مظاهر الفساد في معسكر علي عليه السلام كثرة تدخّل الجنود في شؤون قائدهم فكانوا يلاحقون كلّ رسول يروح ويجيء ويظنون بأميرهم الظّنون. بينما كانت رسل معاوية تروح وتجيء فلا يسأل أصحابه عن سبب ذهابهم، وأخبار عودتهم [3].

المبحث الثاني:

إجراءات الإمام الحسن عليه السلام في توعية الأمّة واستنهاضها:

بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام أفاقت الأمة على خسارتها التي لا تعوَّض، فبادرت إلى بيعة الإمام الحسن عليه السلام، وخطب عليه السلام بعد ذلك خطبة في الأمّة بيَّن فيها مكانة أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، وكشف جانباً من مؤامرة قبائل قريش عليهم، وحذَّر من الفتنة الأموية على الإسلام، ودعا المسلمين مجدداً إلى جهادهم، مؤكداً خط أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وجهوده لإعادة العهد النبوي حيث قال: « قد قبض في هذه الليلة رجل لم يَسبقه الأولون ولا يُدركه الآخرون بعمل . لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته فيكنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه . ولقد توفي في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم والتي توفي فيها يوشع بن نون، وما خلَّف صفراء ولا بيضاء إلَّا سبعمائة درهم من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله . ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه . ثم قال: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت . فلما انتهى إلى هذا الموضع من الخطبة قام عبد الله بن العباس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا وقالوا: ما أحبه

---

(١) الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود، (ت ٢٨٢هـ)، الاخبار الطوال، تح:عبد المنعم ابراهيم، ط١، دار إحياء الكتاب.العربي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١٥٥ ٠

(٢) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري، (ت المتوفى ٤١٣هـ)، الامالي، تح: الحسين أستاد ولي – علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٢٩ ٠

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٣٥ ٠

إلينا وأحقه بالخلافة ! فبايعوه، ثم نزل من المنبر»[1]. قال: ودس معاوية رجلًا من بني حمير إلى الكوفة، ورجلا من بني القين إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار، فدل على الحميري عند لحام جرير ودل على القيني بالبصرة في بني سليم فأخذا وقتلا[2].

وقيل إنَّ أول من بايعه قيس بن سعد قال له: أبسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل وسنّة نبيّه وقتال المحلين فقال له الحسن: على كتاب الله وسنة نبيه فإنَّ ذلك يأتي من وراء كلّ شرط، فبايعه وسكت، وبايعه الناس[3].

وأرسل عليه السلام رسالة إلى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدي يُثبت فيها حقّه، ويؤكِّد عليه الحجة ويدعوه إلى البيعة والطاعة جاء فيها: من الحسن بن علي (أمير المؤمنين) إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك، فإنِّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإنَّ الله جل جلاله بعث محمداً رحمة للعالمين ومنّة للمؤمنين وكافة للناس أجمعين لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ، فبلغ رسالات الله، وقام بأمر الله حتى توفاه الله غير مقصر ولا وانٍ، وبعد أن أظهر الله به الحق ومحق به الشرك، وخص به قريشاً خاصة فقال له: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ، فلما توفي تنازعت سلطانه العرب فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه، فرأت العرب أن القول ما قالت قريش وأن الحجة في ذلك لهم على من نازعهم أمر محمد، فأنعمت لهم وسلمت إليهم . ثم حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاججت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج، فلما صرنا أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وأولياءه إلى محاجتهم، وطلب النصَف منهم باعدونا واستولوا بالإجماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو الولي النصير ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان نبينا وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده ! فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله ولكتابه والله حسيبك فسترد فتعلم لمن عقبى الدار وبالله لتلقين عن قليل ربك ثم ليجزينك بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد، إنّ علياً لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض ويوم مَنَّ الله عليه بالإسلام ويوم يبعث حياً ولّاني المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله ألا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامة، وإنّما حملني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك،

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٦، ص ٣٠

(٢) ابو فرج الاصفهاني، علي بن الحسين، (ت ٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبيين، تح:احمد صقر، ط ١، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٤٢٣هـ، ص٣٣

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٤، ص ١٢١٠

ولك في ذلك إن فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين، فدع التمادي في الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنَّك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أوّاب حفيظ ومن له قلب منيب . واتق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين فوالله ما لك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به وادخل في السلم والطاعة ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحق به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين، وإن أنت أبيتَ إلا التمادي في غيك سرت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين[1] .

فكتب إليه معاوية: بسم الله الرحمن الرحيم من عَبْد الله أمير المؤمنين إلى الحسن بن علي، سلام عليك فاني احمد إليك الله الذي لا إله إلا هو اما بعد: فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت به رسول الله ﷺ من الفضل وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله قديمه وحديثه وصغيره وكبيره فقد والله بلغ فأدى ونصح وهدى حتى انقذ الله به من التهلكة وأنار به من العمى وهدى به من الضلالة فجزاه الله أفضل ما جزى نبيا عن أمته وصلوات الله عليه يوم ولد ويوم قبض ويوم يبعث حيا . وذكرت وفاة النبي ﷺ وتنازع المسلمين من بعده فرأيتك صرحت بتهمة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وأبي عبيدة الأمين وحواري الرسول ﷺ وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك فإنك امرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين ولا المسئ ولا اللئيم وانا أحب لك القول السديد والذكر الجميل إن هذه الأمة لما اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم ولا سابقتكم ولا قرابتكم من النبي ولا مكانتكم في الاسلام وأهله فرات الأمة ان تخرج من هذا الامر لقريش لمكانها من نبيها ورأي صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعامتهم ان يولوا هذا الامر من قريش أقدمها إسلاما واعلمها بالله وأحبها له وأقواها على امر الله واختاروا أبا بكر وكان ذلك رأي ذوي الحجى والدين والفضيلة والناظرين للأمة فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة ولم يكونوا بمتهمين ولا فيما اتوا بمخطئين، ولو رأى المسلمون فيكم من يغنى غناءه أو يقوم مقامه أو يذب عن حريم المسلمين ذبه ما عدلوا بذلك الامر إلى غيره رغبة عنه ولكنهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحا للاسلام وأهله فالله يجزيهم عن الاسلام وأهله خيرا وقد فهمت الذي دعوتني إليه من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد النبي ﷺ ولو علمت أنك أضبط مني للرعية وأحوط على هذه الأمة وأحسن سياسة وأقوى على جمع الأموال وأكيد للعدو لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ورأيتك لذلك اهلا ولكني قد علمت أنى أطول منك ولاية وأقدم منك لهذه الأمة تجربة وأكثر منك سياسة وأكبر منك سنا، فأنت أحق ان تجيبني إلى هذه المنزلة

(١) ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٦ .

التي سألتني، فادخل في طاعتي ولك الامر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغا ما بلغ تحمله إلى حيث أحببت ولك خراج اي كور العراق شئت معونة لك على نفقتك يجيبها لك أمينك ويحملها إليك في كل سنة ولك الا يستولي عليك بالإساءة ولا تقضى دونك الأمور ولا تعصى في أمر أردت به طاعة الله عز وجل . أعاننا الله وإياك على طاعته إنه سميع مجيب الدعاء والسلام[1].

فكتب معاوية إلى الحسن ﷺ: أما بعد فان الله عز وجل يفعل في عباده ما يشاء لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعاع من الناس وآيس من أن تجد فينا غميزة وإن أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتني وفيت لك بما وعدت ثم الخلافة لك من بعدي فأنت أولى الناس بها والسلام، فاجابه الحسن ﷺ: أما بعد فقد وصل إلي كتابك فتركت جوابك خشية البغي عليك فاتبع الحق تعلم إني من أهله والسلام[2].

وبعد جواب معاوية هذا بَدأ الإمام الحسن ﷺ بدعوة الأمة إلى القيام بواجبها في جهاد عدوها، وأخَذ يرتب عماله في المناطق التي تخضع لسلطته، واستنفر ﷺ الناس للجهاد فتثاقلوا عنه ثم خفوا وذلك لان من كان معه هم أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه وبعضهم محكمة اي خوارج يؤثرون قتال معاوية بكل حيله وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم وبعضهم شكاك وأصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين[3].

فلما بلغ الامام الحسن ﷺ خبر معاوية ومسيره نحوه وأنه قد بلغ جسر منبج فتحرك عند ذلك، بعث حجر بن عدي فأمر الناس بالتهيؤ للجهاد ومحاربة معاوية، ونادى المنادي: الصلاة جامعة، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: إصبروا إن الله مع الصابرين، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك، أخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظروا ونرى وتروْا . قال: وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس له قال فسكتوا فما تكلم منهم أحد، ولا أجابه بحرف . فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قام فقال: أنا ابن حاتم سبحان الله ما أقبح هذا المقام ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم، أين خطباء مضر أين المسلمون أين الخواضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة فإذا جد

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٦، ص٣٦ .

(٢) ابو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٨ .

(٣) المفيد، الارشاد، ج٢، ص١٠ .

الجد فرواغون كالثعالب أما تخافون مقت الله وعيبها وعارها، ثم استقبل الحسن بوجهه فقال: أصاب الله بك المراشد وجنبك المكاره، ووفقك لما يحمد ورده وصدره . قد سمعنا مقالتك وانتهينا إلى أمرك وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت، وهذا وجهي إلى معسكري فمن أحب أن يوافيني فليواف، ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب فركبها ومضى إلى النخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه [1].

وفعلا وبعد هذه الخطبة استجاب بعض أصحابه لدعوة الجهاد فكان عدي بن حاتم أول الناس عسكراً، وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد بن صعصعة التيمي، فأنبوا الناس ولاموهم وحرضوهم، وكلموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عدي بن حاتم، فقال لهم الإمام عليه السلام:صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيراً، ثم نزل وخرج الحسن إلى العسكر، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه فجعل يستحثهم ويستخرجهم حتى يلتئم العسكر [2] .

خذلان الأمة للإمام الحسن عليه السلام:

قام الإمام الحسن عليه السلام بعد شهادة أبيه علي عليه السلام خطيبًا واصفًا حال الأمة فقال: والله ما ثنانا عن أهل الشام شكٌّ ولا ندم، وإنَّما كُنّا نقاتلهم بالسلامة والصّبر، فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع، وكنتم في منتدبكم إلى صفين دينكم أمام دنياكم، فأصبحتم ودنياكم أمام دينكم ! ألا وإنا لكم كما كنا ولستم لنا كما كنتم . ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزٌّ ولا نَصَفَة، فإن أردتم الموت رددنا عليه، وإن أردتم الحياة قبلناه[3].

فقد كانت توجهات الأمة ومواقفها متباينة عندما تولى الإمام الحسن عليه السلام الخلافة حيث إنَّ العثمانية في البصرة والكوفة كان لا يزال لهم وجودهم المؤثّر إلى زمان خلافة الإمام الحسن عليه السلام، حيث ورد أنَّ الإمام علي عليه السلام قد أوصى إلى ولده الحسن بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسليله، وشبيهه في خلقه وهديه، فبايعت الشيعة كلها، وتوقف ناس ممن كان يرى رأي العثمانية، ولم يظهروا أنفسهم بذلك، وهربوا إلى معاوية فكتب إليه معاوية ودسّ إليه رسولا يعلمه أن الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة[4].

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٦، ص٣٩ .

(٢) ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٤٠ .

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٦٩ .

(٤) ابي فرج الاصفهاني، (ت٣٥٦هـ)، الاغاني، دار احياء التراث العربي، (د.ت)، ج١٢، ص٥٠٣ .

ولقد صرّح الإمام الحسن ﷺ برأيه في أهل الكوفة مراراً قبل الصلح وبعده، ووبخهم كما وبخهم أبوه ﷺ فقال: "والله ما سلمتُ الأمر إليه إلا أني لم أجد أنصاراً، ولو وجدتُ أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً، إنَّهم لا وفاء لهم ولا ذمةَ في قول ولا فعل، إنَّهم لمختلفون ويقولون لنا إنَّ قلوبهم معنا وإن سيوفهم لمشهورة علينا"، وقال ﷺ : "أرى والله أن معاوية خيرٌ لي من هؤلاء الذين يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي وأخذوا مالي والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وأأمن به في أهلي خيرٌ من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً والله لئن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير أو يمنَّ عليَّ فيكون سُبَّةً على بني هاشم آخر الدهر لمعاوية، لا يزال يمنُّ بها وعقبه على الحيِّ منا والميت"[1].

وكذلك لما استشهد الإمام عليٌّ ﷺ وجاء الناس إلى الإمام الحسن ﷺ فقالوا له: أنت خليفة أبيك ووصيه ونحن السامعون المطيعون لك فمرنا بأمرك، فقال ﷺ: كذبتم والله ما وفيتم لمن كان خيراً مني فكيف تفون لي، وكيف أطمئن إليكم وأثق بكم؟ إن كنتم صادقين فموعد ما بيني وبينكم معسكر المدائن فوافوني هناك دين فركب وركب معه من أراد الخروج، وتخلف عنه خلق كثير لم يفوا بما قالوه وبما وعدوه، [2] وذلك لن من كان معه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه وبعضهم محكمة اي خوارج يؤثرون قتال معاوية بكل حيله وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم وبعضهم شكاك وأصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين [3].

أمّا دور الخوارج في معسكر الإمام الحسن ﷺ فقيل: لما أصبح أراد أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة ليتميز بذلك أولياؤه من أعدائه ويكون على بصيرة من لقاء معاوية وأهل الشام فأمر أن ينادى بالصلاة جامعة فاجتمعوا وصعد المنبر فخطبهم فقال: الحمد لله كلما حمده حامد وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالحق وأئتمنه على الوحي ص أما بعد فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا انصح خلق الله لخلقه وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة ولا مريدا له سوءا ولا غائلة ألا وان ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ألا واني ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردوا على رأيي غفر الله لي ولكن وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا، فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا ما ترونه يريد بما قال ؟ قالوا نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه

---

(١) الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، (ت ٥٤٨هـ)، الإحتجاج، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف، ١٩٦٦م، ج ٢، ص ١٢ ٠

(٢) المفيد، الارشاد، ج٢، ص١٢ ٠

(٣) الراوندي ، سعيد بن عبدالله، (ت٥٧٣هـ)، الخرائج والجرائح، تح: محمد باقر المحمودي، العلمية، ط١، قم المقدسة، ١٤٠٩هـ، ج٢، ص٥٧٤ ٠

فقالوا كفر والله الرجل وهذا يدل على أنهم كانوا خوارج ثم شدوا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه فبقي جالسا متقلدا السيف بغير رداء، ثم دعا بفرسه فركبه وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراده فقال ادعوا لي ربيعة وهمدان فدعوا له فأطافوا به ودفعوا الناس عنه ومعه خليط من الناس، فلما مر في مظلم ساباط بدر إليه رجل من بني أسد يقال له: الجراح بن سنان أخذ بلجام فرسه أو بغلته وبيده سيف، فقال الله أكبر يا حسن أشركت كما أشرك أبوك من قبل - وهذا يدل على أنه كان خارجيا وكان هذا رأي جميع الخوارج الذين كانوا يمثلون الأكثرية الساحقة في ذلك الجيش - ثم طعنه فوقعت الطعنة في فخذه فشقه حتى بلغ العظم وضرب فاعتنقه الحسن ﷺ وخرا جميعا إلى الأرض فوثب إليه رجل من شيعة الحسن يقال له عبد الله بن خطل الطائي فنزع المغول من يده وخضخض به جوفه واكب ظبيان بن عمارة على الجراح فقطع انفه ثم شدخوا وجهه ورأسه حتى قتلوه، وحمل الحسن ﷺ على سرير إلى المدائن فأنزل بها على سعيد بن مسعود الثقفي وكان عامل أمير المؤمنين ﷺ بها فاقره الحسن ﷺ على ذلك واشتغل الحسن بنفسه يعالج جرحه[1]، فهذه صورة عن انهيار الأمة مع إمامها الحسن ﷺ فلا هُمْ أهل حرب ولا أهل صلح، ولا أهل طاعة لإمامهم، ولا خارجون عليه صراحةً ومن كانت هذه حالتهم كيف يمكر الركون إليهم والانتصار بهم .

أمّا دور معاوية في تخاذل الأمة وانهيارها، ففي بداية الأمر كان يدس الجواسيس في معسكر الإمام الحسن ﷺ ويغريهم بالمال فروي أنّه دس رجلا من حمير إلى الكوفة، ورجلا من بني القين إلى البصرة، وأمرهما ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الحسن الأمور، فعرف ذلك الحسن ﷺ فأمر باستخراج الحميري من عند حجام بالكوفة فأخرج فأمر بضرب عنقه، وكتب إلى البصرة فاستخرج القيني من بني سليم وضربت عنقه[2].

كذلك فقد قام بشراء ذمم الكثير من رؤساء العشائر في العراق وأغراهم بالمال حيث قال: أما بعد فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوكم وقتل خليفتكم، إنَّ الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم [3].

وكذلك دس معاوية إلى عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس والى حجر بن الحجر وشبث بن ربعي، دسيسًا أفرد كل واحد منهم بعين من عيونه أنك إن قتلت الحسن بن علي فلك مائتا ألف درهم، وجند من أجناد الشام،

(١) المفيد، الارشاد، ج٢، ص١٢ .

(٢) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٦، ص٣٨ .

(٣) ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٣٨ .

وبنت من بناتي، فبلغ الحسن ﷺ ذلك فاستلام ولبس درعا وكفرها، وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة بهم إلا كذلك[1]، إلا أن الخيانة العظمى هو ما قام به بعض زعماء ذلك الجيش أنَّهم راسلوا معاوية وضمنوا له تسليم الإمام أسيرًا أو اغتياله متى رغب وشاء، فقد روي أنَّ الإمام الحسن ﷺ بعث إلى معاوية قائدًا من كندة في أربعة آلاف فلما نزل الأنبار بعث إليه معاوية بخمسمائة ألف درهم ووعده بولاية بعض كور الشام والجزيرة فصار إليه في مائتين من خاصته ثم بعث رجلاً من مراد ففعل كالأول بعدما حلف بالأيمان التي لا تقوم لها الجبال أنّه لا يفعل وأخبرهم الحسن ﷺ أنّه سيفعل كصاحبه[2].

وكذلك قِيل: إنَّ المختار الثقفي قال لعمّه سعيد بن مسعود الثقفي والذي كان عامل علي ﷺ على المدائن: تعالى حتى نأخذ الحسن ونسلّمه إلى معاوية فيجعل لنا العراق، فبدر بذلك الشيعة من قول المختار لعمّه فهموا بقتل المختار فتلطف عمه لمسألة الشيعة بالعفو عن المختار ففعلوا، فقال الحسن ﷺ: ويلكم والله ان معاوية لا يفي لاحد منكم بما ضمنه في قتلى وانى أظن انى وان وضعت يدي في يده فأسالمه لم يتركني أدين لدين جدي ﷺ وانى أقدر أن أعبد الله وحدي ولكني كأني أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم ويستطعمونهم بما جعله الله لهم فلا يسقون ولا يطعمون فبعدًا وسحقًا لما كسبته أيديكم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب يقلبون) فجعلوا يعتذرون بما لا عذر لهم فيه [3]

كما أنّ معاوية بعث إلى عبيد الله أن الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلّم الأمر إليّ فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعًا وإلا دخلت وأنت تابع ولك أن جئتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم يعجل لك في هذا الوقت النصف، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر فانسل عبيد الله ليلا فدخل عسكر معاوية فوفى له بما وعده بعد ما ذبح بسر بن أرطأة أولاده الصغار على درج صنعاء حين أرسله معاوية ليبيع شرفه بالمال ويرضى بالذل والعار[4].

وورد على الحسن ﷺ كتاب قيس بن سعد يخبره بما صنع عبيد الله بن العباس فازدادت بصيرته بخذلان القوم له وفساد نيات المحكمة فيه بما أظهروا له من السب والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله، ولم يبقَ معه من يأمن غوائله إلا خاصّته من شيعته وشيعة أبيه وهم جماعة لا تقوم لاجناد الشام، فكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح وانفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به أو تسليمه إليه فاشترط على نفسه في إجابته

(١) الصدوق، محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (ت ٣٨١هـ)، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٦ م، ج١، ص٢٢٠

(٢) محسن الامين، (ت١٣٧١هـ)، اعيان الشيعة، تح: حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (د٠ت)، اعيان الشيعة، ج١، ص٥٦٩ ٠

(٣) الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢٢٣ ٠

(٤) ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٢ ٠

إلى صلحه شروطًا كثيرة، وعقد له عقودًا كان في الوفاء بها مصالح شاملة فلم يثق به الحسن ﷺ وعلم باحتياله بذلك واغتياله غير أنّه لم يجد بدًّا من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر في حقه والفساد عليه والخلف منهم له، وما انطوى كثير منهم عليه في استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه، وما كان في خذلان ابن عمه له ومصيره إلى عدوه، وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم في الآجلة . فتوثق ﷺ لنفسه من معاوية لتأكيد الحجة عليه، والإعذار فيما بينه وبينه عند الله عز وجل وعند كافة المسلمين، واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين ﷺ والعدول، وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كلّ ذي حق منهم حقه فأجابه معاوية إلى ذلك كله، وعاهده عليه وحلف له بالوفاء به [1] .

النتائج:

١ – لقد تقلد الإمام الحسن ﷺ الخلافة الإسلامية بعد أبيه، فتسلم قيادة حكومة شكلية عصفت بها الفتن، ومزقت جيشها الحروب والأحزاب (الجمل وصفين والنهروان) ولم تعد هناك أيّة قاعدة شعبية تستند إليها الدولة، فقد كان الاتجاه العام للأمة والذي يمثله الوجوه والأشراف من القوم كانوا مع معاوية، وعلى اتصال وثيق به قبل مقتل الإمام علي ﷺ وبعده، كما كان لهم الدور الكبير في إفساد جيش الإمام ﷺ حينما مني جيش معاوية بالهزيمة والفرار.

٢–كان الجوّ السياسي في العاصمة الجديدة الكوفة متلبدًا مشوبًا بغيوم الحقد والغدر والخيانة؛ وذلك لما ورثته الكوفة من مخلّفات الحروب الطاحنة التي كانت على مقربة منها في البصرة والنهروان وصفّين، وفيها يومئذ أنصار كثيرون وأولياء لشهداء هذه الحروب وضحاياها من الفريقين، ويتمنون لو تيسّرت لهم الأمور للأخذ بالثأر لقتلاهم في تلك الحروب وخصوصًا الخوارج.

٣– إنَّ الإمام الحسن ﷺ ومنذ مبايعته بالخلافة ألقى خطابًا رائعًا ومؤثرًا، بيّن فيه مكانة أمير المؤمنين وأهل البيت ﷺ، وكشف جانباً من مؤامرة قبائل قريش عليهم، وحذَّر من الفتنة الأموية على الإسلام، ودعا المسلمين مجدداً إلى جهادهم، مؤكِّدًا خطّ أبيه أمير المؤمنين ﷺ وجهوده لإعادة العهد النبوي، وكانت أهداف الإمام الحسن ﷺ من خلافته يرى أنّ الأمة آخذة في الانهيار، وقد ظهرت بوادر استسلامها لموجة بني أمية، فأراد أن يستغلّ مدة خلافته القصيرة، وبالأحرى ما تبقى لخلافة أبيه ﷺ، لتحقيق مشروع أبيه لإعادة العهد النبوي

---

(١) المفيد، الارشاد، ج٢، ص١٤ ٠

بكلّ ما يمكنه من قول وفعل وتقليل خسائر الانهيار، وضمان ما يمكن ضمانه من مصلحة الإسلام والأمة.

٤- كانت الأمة في عهد الإمام الحسن ﷺ منقسمة مشتتة، وعلى حد تعبير الشيخ المفيد أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه وبعضهم محكمة أي خوارج، يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيله، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك وأصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين، حيث كان فيهم الحزب الأموي وأكبر المنتسبين، وفي هذا الحزب كانوا عناصر قويّة من ذوي الأتباع والنفوذ، كان لها أثرها فيما بعد من إثارة دعوات ومؤامرات الشقاق، فقد كتبوا إلى معاوية بالسّمع والطاعة في السرّ، واستحثوه على المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن إليه عند دنوّهم من عسكره، أو الفتك به، فقد دسّ معاوية الى عمرو بن حريث والأشعث بن قيس وحجار بن أبجر وشبث بن ربعي دسيسةً، وآثر كلّ واحد منهم بعين من عيونه، أنّك إذا قتلت الحسن، فلك مائة ألف درهم، وجند من أجناد الشام، وبنت من بناتي فلمّا بلغ الحسن ﷺ ذلك لبس لامة حربه ودرعا، وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة بهم إلّا كذلك، فكان يعمل هؤلاء عامدين يتحينون الفرص لقتل الإمام أو تسليمه .

٥ – وأمّا الخوارج وهم أعداء علي ﷺ منذ حادثة التحكيم، كما هم أعداء معاوية ظاهرًا، ورؤساء هؤلاء في الكوفة كل من: عبد الله بن وهب الراسبي، وشبث بن ربعي، وعبد الله بن الكوّاء، والأشعث بن قيس، وشمر بن ذي الجوشن، وكان الخوارج أكثر أهل الكوفة لجاجة على الحرب، منذ يوم البيعة، وهم الذين شرطوا على الحسن عند بيعتهم له حرب الحالّين الضالّين – أهل الشام –، فقبض الحسن يده عن بيعتهم على الشرط، وأرادها (على السمع والطاعة وعلى أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم)، فأتوا الحسين أخاه، وقالوا له: "ابسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك يوم بايعناه، وعلى حرب الحالين الضالين أهل الشام " . فقال الحسين ﷺ: "معاذ الله أن أبايعكم ما دام الحسن حياً "، فانصرفوا إلى الحسن ولم يجدوا بُدّاً من بيعته على شرطه "وكان هدف الخوارج في ثوراتهم ومؤامراتهم هو القضاء على الرؤوس العالية سواء في العراق أو في مصر أو في الشام وتنامت في صدورهم كوامن الغيلة والغدر، فمشوا مع الإمام الحسن ﷺ في طريق الجهاد من أجل الفتنة والفساد، وما الطعنة التي نالت الإمام الحسن ﷺ في مظلم ساباط إنّما هي جزء من جرائم هذه العصابة ومخططاتهم الجهنمية الخطرة على الإسلام وأهله.

٦ – وكذلك الشكاكون، وإنّ تسميتهم بالشكاكين ترجع إلى تأثرهم بدعوة الخوارج من دون أن يكونوا منهم، فهم المذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وكانوا طائفة من سكان الكوفة ومن رعاعها المهزومين، الذين لا نية لهم في خير ولا قدرة لهم على شر، ولكن وجودهم لنفسه كان شراً مستطيراً وعوناً على الفساد وآلة "مسخرة"

في أيدي المفسدين، وهناك أيضا الحمراء: وهم عشرون الفاً من مسلحة الكوفة وكانوا عند تقسيم الكوفة في السبع الذي وضع فيه أحلافهم من بني عبد القيس، وليسوا منهم، بل ليسوا عرباً، وإنَّما هم المهجّنون من موالٍ وعبيد، ولعل أكثرهم من أبناء السبايا الفارسيات اللائي أخذن في "عين التمر" و "جلولاء" والحمراء شرطة زياد الذين فعلوا الأفاعيل بالشيعة، فهم على الأكثر أجناد المتغلّبين وسيوف الجبابرة المنتصرين، وقويت شوكتهم في الكوفة، وبلغ من استفحال أمرهم في الكوفة أن نسبوها إليهم فقالوا "كوفة الحمراء"، وكان أيضا في البصرة مثل ما في الكوفة من هؤلاء المهجَّنين الحمر، وخشي زياد وكان والي البصرة آنذاك قوّتهم فحاول استئصالهم، ولكن الأحنف بن قيس منعه عما أراد .

٧ – وعندما رأى الإمام ﷺ إمارات الخذلان بادية على مواقف أهل العراق؛ وذلك بسبب تثاقلهم في أوّل الأمر حين دعاهم، وأنَّهم لم يخرجوا إلا بعد التأنيب والتّوبيخ، وإنَّ المخلصين منهم له كانوا أقلّ قليلًا وأكثرهم خوارج وأهل عصبية خرجوا تبعًا لرؤسائهم وطمعًا في النهب، وعندما ظهر له فساد نِيات الخوارج بما أظهروه له من السب والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله مع ما كان من فعل ابن عمه عبيد الله بن عباس والقائدين المرسلين بعده وما علمه من مكاتبة أصحابه معاوية وما ضمنوه له من الفتك به أو تسليمه إليه، وعلم أنّه لو لم يصالح لسلموه إلى معاوية، ولكانت المفسدة أعظم، أجاب إلى الصلح مكرها مرغمًا، واختار أقلّ الضررين وأهون المفسدتين، وان صلحه هذا لا يجعل لمعاوية عذرًا، ولا يرفع عنه وزرًا بل يزيده ذمًّا وإثمًا.

المصادروالمراجع:

القران الكريم

١.ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم، (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ، ١٩٦٥م .

٢.الإسكافي، أبي جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي، (ت٢٢٠ه)، المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) تح: الشيخ محمد باقر المحمودي الطبعة: الأولى، ١٩٨١ م.

٣.البلاذري، احمد بن يحيى، (ت ٢٧٩ه) انساب الاشراف، تح:محمد حميد الله، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.

٤.البراقي، حسين بن احمد، (ت١٣٣٢ه)، تاريخ الكوفة، المكتبة الحيدرية، ط١، النجف الاشرف، ١٤٢٤هـ .

٥.الثقفي، ابراهيم بن محمد، (ت ٢٨٣ه)، الغارات، تح: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي، (د.م).

٦.ابن ابي الحديد، عزالدين عبد الحميد، (ت٦٥٦هـ) شرح نهج البلاغة ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢، داراحياء الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

٧.الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود، (ت ٢٨٢هـ)، الاخبار الطوال، تح:عبد المنعم ابراهيم، ط١، داراحياء الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٠م .

٨.الذهبي ، ابوعبدالله شمس الدين محمد بن احمد، (ت ٧٤٨ه) سيراعلام النبلاء، تح:شعيب الارنؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

٩.الراوندي ، سعيد بن عبدالله، (ت٥٧٣ه) الخرائج والجرائح، تح: محمد باقر المحمودي، العلمية، ط١، قم المقدسة، ١٤٠٩هـ .

١٠.الراوندي، سعيد هبة الدين، (ت٥٧٣ه)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، ج٢، الخيام، قم، ١٤٠٦هـ .

١١.سليم بن قيس الهلالي، (ت ق١ه)، كتاب سليم بن قيس، تح:محمد باقر الانصاري، قم، ١٤٢٢هـ،

١٢.الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (ت٣٨١ه)، صفات الشيعة، مطبعة عابدي، طهران، (د٠ت) .

١٣.الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (ت٣٨١ه) علل الشرائع ، المكتبة الحيدرية ، النجف، ١٩٦٦م .

١٤.الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، (ت ٥٤٨ه)، الإحتجاج، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف، ١٩٦٦م.

١٥.الطبري ، محمد بن جرير ، (ت٣١٠هـ) تاريخ الطبري ، تح: محمد ابوالفضل إبراهيم ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م.
١٦.ابن عبد ربة الاندلسي، احمد بن محمد، (ت٣٣٨هـ)، العقد الفريد، تح: عبد الحميد الترحيني، ط٣، داراحياء التراث بيروت، ١٩٩٩م.
١٧.ابو فرج الاصفهاني، علي بن الحسين، (٣٥٦هـ)، الاغاني، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د.ت) .
١٨.ابو فرج الاصفهاني، علي بن الحسين، (٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبيين، تح:احمد صقر، ط ١، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٤٢٣هـ .
١٩.ابي فرج الاصفهاني، (ت٣٥٦هـ)، الاغاني، دار احياء التراث العربي، (د.ت) .
٢٠.ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)الإمامة والسياسة ، تح:علي شيري ، ط١، مطبعة أمير ، قم ، ١٤١٣هـ .
٢١.محسن الامين، (ت١٣٧١هـ)، اعيان الشيعة، تح: حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (د.ت).
٢٢.المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري، (ت المتوفى ٤١٣هـ)، الامالي، تح: الحسين أستاد ولي – علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٣.المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، (ت٤١٣هـ) الإرشاد، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، دارالمفيد للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م .

زيارة الأربعين
في كلمات الأوصياء والعلماء

الشيخ أحمد كاظم

إنَّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام من الأمور المشروعة، بل من المستحبات الأكيدة حتى وصفها بعض العلماء بأنها من ضروريات المذهب[1].

وقد أفرد علماؤنا لذلك أبواباً خاصة في كتبهم ذكروا فيها الكثير من الروايات حول ذلك.

فقد روي بالإسناد إلى محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام فإنَّ إتيانه مفترض على كلّ مؤمن ومؤمنة يقرُّ للحسين عليه السلام بالخلافة من الله عز وجل»[2].

وعن أم سعيد الأحمسية، عن أبي عبدالله عليه السلام قالت: «قال لي: يا أم سعيد تزورين قبر الحسين؟ قالت: قلت: نعم. قالت: فقال لي: يا أم سعيد زوريه فإنّ زيارة الحسين واجبة على الرجال والنساء»[3].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «من لم يأتِ قبر الحسين عليه السلام من شيعتنا كان منتقص الإيمان منتقص الدين»[4].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: « من لم يأتِ قبر الحسين عليه السلام حتى يموت كان منتقص الدين منتقص الإيمان، وإن أُدخل الجنة كان دون المؤمنين في الجنة»[5].

والأخبار في فضل زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام وثوابها، ولا سيما الإمام الحسين عليه السلام وفضلها على الحج والعمرة أكثر من أن تُحصى، و« لعل الوجه في فضل زيارة أبي عبد الله عليه السلام على الحجة والعمرة والغزوة وغير ذلك أضعافاً أنّ في زيارته عليه السلام صلة وبراً له ولأخيه وأمّه وأبيه وجده وبنيه وشيعته ومحبيه، بل سائر النبيين والوصيين عليهم السلام، وإدخال سرور عليهم، وإجابة لهم، وتجديد عهد لولايتهم، وإحياء لأمرهم، وتبكيتاً لأعدائهم، وفي ذلك كلّه رجاء لما عند الله الذي لا يخيب من رجاه، وطلب لرضاه سبحانه الذي يرضى لمن أرضاه، وهي مع

(١) جواهر الكلام: ج٢٠ ص ٩٥-٩٦.

(٢) كامل الزيارات: ص١٢١.

(٣) المصدر نفسه: ص١٢٢.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٩٣.

(٥) بحار الأنوار: ج٩٨، ص٤.

ذلك كله عبادة لله عز و جل من جهة إدخال السرور على رسولهﷺوعلى ذريته وأوصيائه، ومن جهة الإتيان بعبادته المأمور بها ومسرة لهم ﷺ من هذه الجهة أيضاً، وقد ثبت وتقرر جلالة قدر المؤمن عند الله وثواب صلته وبره وإدخال السرور عليه من جهة كونه مؤمنا فحسب.

ومضت الأخبار في ذلك في كتاب الإيمان والكفر فما ظنك بمن عصمه الله عن الخطأ، وطهره من الرجس، وجعله إماماً للمؤمنين، وقدوة للمتقين، وله خلق السماوات والأرضين، وجعله صراطه وسبيله وعينه ودليله وبابه الذي يؤتى منه، وحبله المتصل بينه وبين عباده من رسل وأنبياء و حجج وأولياء، هذا مع أن مقابرهم ﷺ مشاهد أرواحهم العلية المقدسة، ومحال حضور أشباحهم البرزخية النورية، فإنَّهم هناك يشهدون وهم أحياء عند ربهم يرزقون، وبما آتاهم الله من فضله فرحون.

وأما الحجة والعمرة والغزوة وغير ذلك فإنَّها وإن كان فيها أيضاً إنفاق أموال، ورجاء آمال، وأشخاص أبدان، وهجران أوطان، وتحمل مشاق، وتجديد ميثاق، وشهود شعائر، وحضور مشاعر، إلَّا أنها ليست بتلك المثابة في المثوبة؛ لأنَّ هذه إنَّما هي عبادة لله سبحانه، وإجابة لأمره عزّ ذكره، ومسرة له ولأوليائه بالإتيان بالعبادة فحسب، وليست فيها جميع تلك الأمور التي نبهنا عليها هناك مع أنها تتأتى من كل مدع للإسلام وإن كان ناصبياً بخلاف تلك فإنَّها لا تتأتى إلَّا ممن كان يعرف قدراً من قدرهم، وطرفاً من منزلتهم ولو ناقصاً.

وأما اختلاف الأخبار الواردة في مقدار فضل زيارته ﷺ على الحجة والعمرة وغيرهما فتارة ورد أنَّها تعدل حجة وأخرى أنَّها أفضل من عشرين حجة وعشرين عمرة أو مائة أو ألفًا وغير ذلك، فلعل الوجه فيه اختلاف الناس في عرفان حقه وحرمته وتفاوت درجاتهم في إخلاص النية في زيارته ﷺ وتباينهم في سهولة إتيانهم بالحج وصعوبته، وليعلم أنّ كلّ عبادة بخصوصها وسيلة إلى الله سبحانه وإلى مغفرته من جهة ليست تلك الجهة في عبادة أخرى، وكل عبد وإن ناسب عبادة هي في حقه أحرى، ولكن ليس بالحري أن يترك عبادة من رأسها لكون غيرها به أولى قال الله تعالى: (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ)..» [1].

(١) كامل الزيارات: ص١٢٢ .

زيارة الأربعين

لما كان لزيارة أبي عبد الله الحسين ﷺ، ذلك الفضل العظيم والاستحباب الأكيد بل قد يُقال بوجوبها الكفائي على الأقل فقد جاءت روايات الأئمة من ولد الحسين ﷺ؛ لتبين لنا أن هناك أوقاتاً خاصة تستحب زيارته ﷺ فيها.

فكان من تلك الأوقات زيارته يوم عاشوراء، وفي العشرين من صفر -ذكرى الأربعين-، والخامس عشر من شعبان، وأول رجب، وفي شهر رمضان وغيرها.

وما يعنينا هنا هو زيارة الأربعين -في العشرين من صفر- ومدى مشروعيتها، وجملة من تفاصيلها مما جاء على لسان الأئمة الأطهار ﷺ وعلمائنا الأبرار.

وموضوع التأكيد أو الاستحباب على زيارة الأربعين من المواضيع التي لا شك فيها إما لشدة بداهتها تارة أو لوضوح الدليل عليها، وكونها مما تسالم عليه علماء الطائفة المحقّة.

لذلك سنحاول أن نتناول الزيارة من خلال كلمات المعصومين ﷺ، وآراء العلماء الأعلام.

روايات المعصومين ﷺ في زيارة الأربعين:

لقد وردت عدة روايات في ذكر زيارة الأربعين بالذات، بل وورد في ذلك زيارة خاصة للإمام الحسين ﷺ في أربعينه؛ منها:

الرّواية الأولى: عن مولانا الحسن بن علي العسكري ﷺ أنَّه قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»[1].

وفي هذا الحديث أمور عديدة تشير إلى أنَّ الأربعين هنا خاص بزيارة الإمام الحسين ﷺ في العشرين من صفر من خلال التأمل في الأمور التالية:

- في حديث الإمام العسكري ﷺ كان الإمام في مقام بيان علامات المؤمن بأهل البيت ﷺ وتمييزهم عن غيرهم، فلا بدَّ أن يأتي بعلاماتٍ خاصّة بهم - في ذلك الوقت - فذكر علاماتٍ خمس ومنها زيارة الأربعين. فلو كان المقصود من الأربعين هو أربعون مؤمناً، لما صحّ أن يكون ذلك علامة، لأنَّ ذلك ليس خاصاً بالشيعة، وإنَّما يعم الشيعي والمخالف، فكيف يجعله الإمام ﷺ علامة على المؤمن ؟!
- إنَّ الألف واللام في كلمة (الأربعين) عهديّة، بمعنى إنّ الإسم الذي تدخل عليه (ال التعريف) يكون

(١) إقبال الأعمال: ص٥٨٩ وعنه المقتل للمقرم: ص٣٧١، وينظر: مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي: ص٧٢٩ والتهذيب: ج٦ ص٥٢ ح٣٧، والمزار للشيخ المفيد: ص٦٠، ومفتاح الجنات للسيد محسن الأمين: ج٢ ص٦٢٤، والحدائق الناظرة للشيخ يوسف البحراني: ج١٨ ص٣٣٧، ووسائل الشيعة للحر العاملي: ج١٤ ص٤٧٨ باب ٥٦.

معروفاً لدى الناس ومعهوداً، وهذا لا يتناسب مع (أربعين مؤمناً) لأنَّ المؤمنين الذين تُستحب زيارتهم غير معيَّنين وغير معهودين فلا يصح دخول ال (العهدية) عليه حينئذٍ . وهذا واضح لدى كل مَن له أدنى معرفة بقواعد اللغة العربية . ولذلك نجد أنَّ الأعلام الذين رَوَوا هذه الرواية جعلوها في أبواب زيارة الحسين ﷺ، ولم يجعلوها في باب استحباب زيارة المؤمنين، وذلك يدلل بما لا يقبل الشك أنَّهم كانوا يتبانون على أن زيارة الأربعين من الزيارات المخصوصة .

وبعبارة أكثر وضوحاً: إنّ دخول الألف واللام العهديّة على كلمة "أربعين" إشارة للتنبيه على أنّ زيارة الأربعين من سنخ الأمثلة التي نصّ عليها الحديث بأنّها من علائم الإيمان والموالاة للأئمّة الإثني عشر. واللام العهديّة تدخل على المسنَد إليه للإشارة إلى فرد معهودٍ خارجاً بين المتخاطبين[1]، وهذا نظير قوله تعالى: [كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعونُ الرّسولَ] فالرّسول محلَّى باللام العهديّة التي دخلت على الإسم المسنَد إليه، فالرّسول في الآية كان معهوداً في زمن فرعون وهو موسى النبيّ، وفرعون الزنديق عصى موسى الرّسولَ المعهود يومذاك.

وهنا هكذا: فإنّ "الأربعين" اسمٌ أُسنِدَ إليه الألف واللام العهدية حيث إنّ زيارةَ الإمام يوم الأربعين من يوم شهادته أمرٌ معهودٌ بين الشيعة، لذا لم تقتضِ الضّرورةُ ذِكْرَ قيدٍ لفظيٍّ أو قرينةٍ لفظيّةٍ تحدِّدُ أو تقيِّدُ اللفظَ المذكور باليوم المعهود وهو العشرون من صفر، فثمة قرينة حالية أوجبت فهم العلماء الأعلام من هذا الجملة خصوص زيارة الإمام الحسين ﷺ، والقرينة الحالية هي السيرة القائمة على زيارة الإمام ﷺ في العشرين من صفر. فالحاصل: حيث لا توجد قرينة تدلّ على أنّ الأربعين هو أربعون مؤمناً، وحيث إنّ اللام تُفيد العهدَ، وحيث إنّ السيرة العمليّة للفقهاء والأعلام والمتدينين يحيون يوم العشرين من صفر، وهذه السيرة مرتبطة ومتصلة بعمل الإمام زين العابدين ﷺ وعقائل الوحي وبعض صحابة النبيّ كجابر، يتضح حينئذٍ استحباب ومشروعيّة زيارة الأربعين الحسينيّة.

- عدم وجود قرينة تبين المعنى الذي ينصرف إليه إلى أن الحديث يدل على زيارة أربعين مؤمن.
- إنَّنا إذا نظرنا إلى العلامات الخمس التي تحدث عنها الإمام ﷺ فسنجد: أنَّ التختم باليمين مثلاً هو مما اختص به الشيعة دون غيرهم، وكذلك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، بحيث أصبحت شعاراً للتشيع يعرفهم بها الآخرون، ولهم بها يخالفون، وإرادة زيارة أربعين مؤمناً من الرواية لا ينسجم مع العلامات الباقية؛لأنَّ زيارة المؤمن لأخيه تأتي من كل مدع للإسلام والإيمان وإن كان ناصبياً، بخلاف بقية العلامات فلاحظ.

(١) جواهر البلاغة: ص١٣٢.

الرواية الثانية: يقول الشيخ الطوسي في التهذيب: أخبرنا جماعة من أصحابنا عن أبي محمد هارون بن موسى عن أحمد التلعكبري قال: حدثنا محمد بن علي بن معمر قال: حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن مسعدة والحسن بن علي بن فضال عن سعدان بن مسلم عن صفوان بن مهران الجمال قال: قال لي مولاي الصادق ﷺ في زيارة الأربعين: تزور عند ارتفاع النهار وتقول:

(السَّلامُ عَلَى وَلِيِّ الله وَحَبِيبِه، السَّلامُ عَلَى خَلِيلِ الله وَنَجِيبِه، السَّلامُ عَلَى صَفِيِّ الله وَابنَ صَفِيِّه، السَّلامُ عَلَى الحُسَينِ المَظْلُومِ الشَّهِيدْ، السَّلامُ عَلَى أَسِيرِ الكُرُبَاتْ، وَقَتِيلِ العَبَرَاتْ، اللهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنَ وَلِيِّكْ، وَصَفِيُّكَ وَابْنَ صَفِيِّكْ، الفَائِزَ بِكَرَامَتِكْ، أَكْرَمْتَهُ بِالشَّهَادَةْ، وَجَبَوْتَهُ بِالسَّعَادَةْ، وَاجْتَبَيْتَهُ بِطِيبِ الوِلاَدَةْ، وَجَعَلْتَهُ سَيِّدَاً مِنَ السَّادَةْ، وَقَائِدَاً مِنَ القَادَةْ، وَذَائِدَاً مِنَ الذَادَةْ.

وَأَعْطَيْتَهُ مَوَارِيثَ الأَنْبِيَاءْ، وَجَعَلْتَهُ حَجَّةً عَلَى خَلْقِكَ مِنَ الأَوْصِيَاءْ، فَأَعْذَرَ فِي الدُّعَاءْ، وَمَنَحَ النُّصْحَ وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادِكَ مِنَ الجَهَالَةْ، وَحِيرَةَ الضَّلاَلَةْ، وَقَدْ تَوَازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيَا، وَبَاعَ حَظَّهُ بِالأَرْذَلِ الأَدْنَى، وَشَرَى آخِرَتَهُ بِالثَمَنِ الأَوْكَسْ، وَتَغَطْرَسَ وَتَرَدَّى فِي هَوَاهْ، وَأَسْخَطَكَ وَأَسْخَطَ نَبِيِّكْ، وَأَطَاعَ مِنْ عِبَادِكَ أَهْلَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقْ، وَحَمَلَةِ الأَوْزَارْ، اَلْمُسْتَوْجَبِينَ لِلنَّار، فَجَاهَدَهُمْ فِيْكَ صَابِراً مُحْتَسِباً، حَتَّى سُفِكَ فِي طَاعَتِكَ دَمُهْ، وَاسْتُبِيحَ حَرِيمُهْ، اَللَّهُمَّ فَالعَنْهُمْ لَعْنَاً وَبِيلاً، وَعَذِّبْهُمْ عَذَابَاً أَلِيمَاً.

السَّلامُ عَلَيكَ يَا بْنَ رَسُولِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ سَيِّدِ اَلأَوْصِيَاءْ، أَشْهَدُ أَنَّكَ أَمِيْنَ اَلله وَأَبْنَ أَمِيْنِهْ، عِشْتَ سَعِيْدَاً، وَمَضَيْتَ حَمِيْدَاً، وَمُتَّ فَقِيْدَاً مَظْلُوْمَاً شَهِيْدَاً، وَأَشْهَدُ أَنَّ الله مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكْ، ومُهْلِكَ مَنْ خَذَلَكْ، وَمُعَذِّبَ مَنْ قَتَلَكْ . وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ الله، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِ الله، حَتَّى أَتَاكَ اليَقِينْ، فَلَعَنَ الله مَنْ قَتَلَكَ وَلَعَنَ الله مَنْ ظَلَمَكْ، وَلَعَنَ الله أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَتْ بِهْ، اَللَّهُمَّ إِنِّيْ أُشْهِدُكَ أَنِّيْ وَلِيٌّ لِمَنْ وَالاَهْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهْ، بِأَبِيْ أَنْتَ وَأُمِّيْ يَا بْنَ رَسُولِ الله، أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُوراً فِي اَلأَصْلاَبِ اَلشَّامِخَةْ، وَالأَرْحَامِ المُطَهَّرَةْ، لَمْ تُنَجِسْكَ الجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجَاسِهَا، وَلَمْ تُلْبِسْكَ مِنْ مُدْلَهِمَّاتِ ثِيَابِهَا، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعَائِمِ الدِّينِ وَأَرْكَانِ المُسْلِمِينْ، وَمَعْقَلَ المُؤْمِنِينْ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الإِمَامُ البَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الهَادِي المَهْدِيّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ اَلأَئِمَّةَ مِنْ وِلْدِكْ كَلِمَةُ التَّقْوَىْ، وَأَعْلاَمُ الهُدَىْ، وَالعُرْوَةُ الوُثْقَىْ، وَالحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، وَأَشْهَدُ أَنِّيْ بِكُمْ مُؤْمِنْ، وَبِإِيَابِكُمْ مُوْقِنْ، بِشَرَايِعِ دِينِيْ، وَخَوَاتِيمِ عَمَلِيْ، وَقَلْبِي لِقَلْبِكُمْ سِلْم، وَأَمْرِي لأَمْرِكُمْ مُتَّبِعْ، وَنُصْرَتِيْ لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتَّى يَأْذَنَ الله لَكُمْ فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لاَ مَعَ عَدُوِّكُمْ صَلَوَاتُ الله عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَرْوَاحِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَظَاهِرِكُمْ وَبَاطِنِكُمْ آمِينَ رَبَّ العَالَمِين).

ثم تصلي ركعتين وتدعوا بما أحببت وتنصرف إن شاء الله [1].

ورواها جمعٌ من العلماء بهذه الكيفية أمثال الشيخ المفيد، والسيد ابن طاووس، والعلامة والكفعمي والشهيد الأول، والعلامة المجلسي في البحار[2].

هذا وقد ذكر السيد ابن طاووس في مصباح الزائر أنَّه وجد وداعاً خاصاً للزيارة فقال: وجدت لهذه الزيارة (زيارة الأربعين) وداعاً يختص بها وهو أن تقف قدام الضريح وتقول:

(السَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ رَسُولِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ عَلِيٍّ الْمُرْتَضَىٰ، وَصِيِّ رَسُولِ الله، السَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِيْنْ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ الحَسَنَ الزَّكِيّ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ الله فِي أَرْضِهْ، وَشَاهِدِهِ عَلَى خَلْقِهْ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِالله الشَّهِيدْ.

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلاَيَ وَابْنَ مَوْلاَيْ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلاَةَ وَآتَيْتَ الزَّكَاةْ، وَأَمَرْتَ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرْ، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِ الله، حَتَّى أَتَاكَ اليَقِينْ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكْ، أَتَيْتُكَ يَا مَوْلاَيَ زَائِرَاً وَافِدَاً رَاغِبَاً مُقِرَّاً لَكَ بِالذُّنُوبْ، هَارِبَاً إِلَيْكَ مِنَ الخَطَايَا، لِتَشْفَعَ لِي عِنْدَ رَبِّكْ، يَابْنَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْكَ حَيّاً وَمَيِّتَاً، فَإِنَّ لَكَ عِنْدَ الله مَقَامَاً مَعْلُومَاً وَشَفَاعَةً مَقْبُولَةْ، لَعَنَ الله مَنْ ظَلَمَكْ، لَعَنَ الله مَنْ حَرَمَكَ وَغَصَبَ حَقَّكْ، لَعَنَ الله مَنْ قَتَلَكْ، وَلَعَنَ الله مَنْ خَذَلَكْ، وَلَعَنَ الله مَنْ دَعَوْتَهُ فَلَمْ يُجِبْكَ وَلَمْ يُعِنْك، وَلَعَنَ الله مَنْ مَنَعَكَ مِنْ شُرْبَ مَاءِ الفُرَاتِ لَعْنَاً كَثِيرَاً يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضَاً.

اَللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضْ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةْ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونْ، وَسَيَعْلَمَ الذِينَ ظَلَمُوا أَيَ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونْ، اَللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْهُ آخِرَ العَهْدِ مِنْ زِيَارَتِه وَارْزُقْنِيهِ أَبَدَاً مَا بَقِيتُ وَحَيِيتُ يَا رَبْ، وَإِنْ مُتُّ فَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَتِهِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينْ) [3].

---

(١) التهذيب: ج٦ ص١١٣-١١٤.

(٢) مصباح الزائر: ص١٥٢-١٥٤.

(٣) الإقبال: ص٥٩١.

فنستنتج من هذه الزيارة أنّ المشروعية لزيارة الأربعين مستمدة من كلام الأئمة عليهم السلام مباشرة، وعليه عمل المشهور من علماء الطائفة.

ومهما يكن من أمر فإنَّ من الواضح أنَّ مشروعيتها تستند إلى أمر الأئمة لنا بالإتيان بها، وإن كان مجيئهم قد وافق يوم العشرين فهذا لا يعني أنَّه السبب الرئيس للزيارة، وإن كان هو سبب مهم لوجود المعصومين فيه عليهم السلام وورود جابر بن عبدالله الأنصاري.

أول زيارة أربعين:

لقد اشتهر أنَّ أوّل الوافدين إلى زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر هو جابر بن عبدالله الأنصاري صاحب رسول الله [1] صلى الله عليه وآله.

ثم موكب السبايا مع الإمام زين العابدين عليه السلام وقد اشتهر بين علمائنا وتناقلته الألسن والأقلام كيفية وصولهم ولقائهم بجابر بن عبدالله وهو كالآتي (والنص للسيد محسن الأمين العاملي كما في أعيان الشيعة):

«ثم أن يزيد أمر برد السبايا والأسارى إلى المدينة وأرسل معهم النعمان بن بشير الأنصاري في جماعة فلما بلغوا إلى العراق قالوا للدليل: مرّ بنا على طريق كربلاء فلما وصلوا إلى موضع المصرع وجدوا جابر بن عبدالله الأنصاري وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام فتوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم (وأقاموا في كربلاء ثلاثة أيام ينوحون على الحسين) والمشهور أنَّهم وصلوا كربلاء في العشرين من صفر ومنه زيارة الأربعين عن أئمة أهل البيت عليهم السلام للحسين عليه السلام».

والسيد ابن طاووس في اللهوف يشير إلى هذا المعنى[2] .

والعلامة المجلسي في البحار حيث قال: «والمشهور بين الأصحاب أنَّ العلة في ذلك (استحباب زيارة الأربعين) رجوع حرم الحسين عليه السلام في مثل ذلك اليوم إلى كربلاء عند رجوعهم من الشام»[3].

وقال أبو الريحان البيروني: وفيه (أي في العشرين من صفر) زيارة الأربعين ومجيء حرمه بعد انصرافهم من الشام[4].

والشيخ المفيد في مزاره يقول: وهو أوّل من زاره (يعني جابراً)[5].

---

(١) راجع حول ذلك: المنتخب للطريحي: ص٤٩٨ ومصباح المتهجد: ص٧٢٩ ، واللهوف في قتلى الطفوف: ص٨٦.

(٢) أعيان الشيعة: ج٤ ص٢٧١، واللهوف في قتلى الطفوف: ص١١٢.

(٣) البحار: ج٩٨، ص٣٣٢.

(٤) الآثار الباقية، ص ٣٣١.

(٥) بشارة المصطفى: ص٨٩ . والآثار الباقية للبيروني: ج١ ص٣٣١، وروضة الواعظين: ص١٦٥ .

إنَّ المشهور أنَّ الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري [1] (رحمه الله) وعطية العوفي [2] هما أوَّل من زارا قبر الإمام الحسين بن علي عليه السلام، و قد حصلت هذه الزيارة في العشرين من شهر صفر.

عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ زَائِرَيْنِ قَبْرَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهما السلام فَلَمَّا وَرَدْنَا كَرْبَلَاءَ دَنَا جَابِرٌ مِنْ شَاطِئِ الْفُرَاتِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ ائْتَزَرَ بِإِزَارٍ وَ ارْتَدَى بِآخَرَ، ثُمَّ فَتَحَ صُرَّةً فِيهَا سُعْدٌ فَنَثَرَهَا عَلَى بَدَنِهِ، ثُمَّ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا ذَكَرَ اللهَ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْقَبْرِ قَالَ أَلْمِسْنِيهِ، فَأَلْمَسْتُهُ فَخَرَّ عَلَى الْقَبْرِ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ، فَرَشَشْتُ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنَ الْمَاءِ فَأَفَاقَ. ثُمَّ قَالَ: يَا حُسَيْنُ ـ ثَلَاثاً ـ .

ثُمَّ قَالَ: حَبِيبٌ لَا يُجِيبُ حَبِيبَهُ .

ثُمَّ قَالَ: وَ أَنَّى لَكَ بِالْجَوَابِ وَ قَدْ شُحِطَتْ أَوْدَاجُكَ عَلَى أَثْبَاجِكَ، وَ فُرِّقَ بَيْنَ بَدَنِكَ وَ رَأْسِكَ، فَأَشْهَدُ أَنَّكَ ابْنُ النَّبِيِّينَ، وَ ابْنُ سَيِّدِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ ابْنُ حَلِيفِ التَّقْوَى وَ سَلِيلِ الْهُدَى، وَ خَامِسُ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ ، وَ ابْنُ سَيِّدِ النُّقَبَاءِ، وَ ابْنُ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ ، وَ مَا لَكَ لَا تَكُونُ هَكَذَا وَ قَدْ غَذَّتْكَ كَفُّ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَ رُبِّيتَ فِي حَجْرِ الْمُتَّقِينَ، وَ رَضَعْتَ مِنْ ثَدْيِ الْإِيمَانِ، وَ فُطِمْتَ بِالْإِسْلَامِ، فَطِبْتَ حَيّاً وَ طِبْتَ مَيِّتاً، غَيْرَ أَنَّ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ طَيِّبَةٍ لِفِرَاقِكَ، وَ لَا شَاكَّةٍ فِي الْخِيَرَةِ لَكَ، فَعَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ وَ رِضْوَانُهُ، وَ أَشْهَدُ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ أَخُوكَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا .

ثُمَّ جَالَ بِبَصَرِهِ حَوْلَ الْقَبْرِ، وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيَّتُهَا الْأَرْوَاحُ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَاءِ الْحُسَيْنِ وَ أَنَاخَتْ بِرَحْلِهِ، أَشْهَدُ أَنَّكُمْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ ، وَ آتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَ أَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَ نَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ جَاهَدْتُمُ الْمُلْحِدِينَ، وَ عَبَدْتُمُ اللهَ حَتَّى أَتَاكُمُ الْيَقِينُ، وَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ لَقَدْ شَارَكْنَاكُمْ فِيمَا دَخَلْتُمْ فِيهِ.

---

(١) جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه): هو أبو عبد الله، جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري .
صَحِبَ رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و شهد بدراً، و ثماني عشرة غزوة مع النبي (صلى الله عليه و آله)، و صَحِبَ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام و شهد معه وقعة صفّين، و كان من شرطة خميسه .
و صَحِبَ كَذلك كل من الإمام الحسن بن علي، و الإمام الحسين بن علي، و الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام، و أدرك الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أيضاً، إلاّ أنّه توفّي قبل إمامته .

رَوَى عن رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و الإمام علي عليه السلام، و فاطمة الزهراء عليها السلام .
و كان جابر (رحمه الله) منقطعاً إلى أهل البيت عليهم السلام و ثابتاً على حبّهم، و هو أوَّل من زار قبر الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء في العشرين من شهر صفر (يوم الأربعين)، و بكى عليه كثيراً .
توفّي جابر (رضوان الله عليه) عام ٧٨ هـ بالمدينة المنوّرة، و هو في الرابعة و التسعين من عمره .

(٢) عطية العوفي: احد رجال العلم و الحديث يروي عنه الاعمش و غيره و روي عنه أخبار كثيرة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام و هو الذي تشرف بزيارة الحسين عليه السلام مع جابر الأنصاري الذي يعد من فضائله انه كان أول من زاره.
قال أبو جعفر الطبري في كتاب ذيل المذيل: عطية بن سعد بن جُنادة العوفي من جديلة قيس، يكنى أبا الحسن، قال ابن سعد: اخبرنا سعد بن محمد بن الحسن بن عطية قال جاء سعد بن جُنادة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام و هو بالكوفة فقال يا أمير المؤمنين انه قد ولد لي غلام فسمِّه .
فقال: هذا عطية الله، فسُمِّيَ عطية .
توفي سنة ١١١ بالكوفة، و كان كثير الحديث ثقة.
و حكي عن ملحقات الصراح قال: عطية العوفي ابن سعيد له تفسير في خمسة أجزاء، قال عطية عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات على وجه التفسير، و أما على وجه القراءة فقرأت عليه سبعين مرة (الكُنى و الألقاب للشيخ عباس القمي: ٣ / ٤٨٩ بتلخيص).

قَالَ عَطِيَّةُ: فَقُلْتُ لِجَابِرٍ، وَ كَيْفَ وَ لَمْ نَهْبِطْ وَادِياً، وَ لَمْ نَعْلُ جَبَلًا، وَ لَمْ نَضْرِبْ بِسَيْفٍ، وَالْقَوْمُ قَدْ فُرِّقَ بَيْنَ رُءُوسِهِمْ وَ أَبْدَانِهِمْ، وَ أُوتِمَتْ أَوْلَادُهُمْ، وَ أَرْمَلَتِ الْأَزْوَاجُ ؟! فَقَالَ لِي: يَا عَطِيَّةُ، سَمِعْتُ حَبِيبِي رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ أَحَبَّ قَوْماً حُشِرَ مَعَهُمْ، وَ مَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ أُشْرِكَ فِي عَمَلِهِمْ" .

وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ نَبِيّاً إِنَّ نِيَّتِي وَنِيَّةَ أَصْحَابِي عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ وَ أَصْحَابُهُ، خُذُوا بِي نَحْوَ أَبْيَاتِ كُوفَانَ. فَلَمَّا صِرْنَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَقَالَ لِي: يَا عَطِيَّةُ، هَلْ أُوصِيكَ وَ مَا أَظُنُّ أَنَّنِي بَعْدَ هَذِهِ السَّفْرَةِ مُلَاقِيكَ، أَحِبَّ مُحِبَّ آلِ مُحَمَّدٍ مَا أَحَبَّهُمْ، وَ أَبْغِضْ مُبْغِضَ آلِ مُحَمَّدٍ مَا أَبْغَضَهُمْ وَ إِنْ كَانَ صَوَّاماً قَوَّاماً، وَ ارْفُقْ بِمُحِبِّ آلِ مُحَمَّدٍ، فَإِنَّهُ إِنْ تَزِلَّ لَهُمْ قَدَمٌ بِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ ثَبَتَتْ لَهُمْ أُخْرَى بِمَحَبَّتِهِمْ، فَإِنَّ مُحِبَّهُمْ يَعُودُ إِلَى الْجَنَّةِ وَ مُبْغِضَهُمْ يَعُودُ إِلَى النَّارِ[1] .

فتاوى العلماء باستحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين:

ذهب معظم علمائنا وربما جميعهم إلى استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر، ومنهم من اعتبرها من المستحبات الأكيدة، ونذكر منهم:

- الشيخ المفيد[2].
- الشيخ الطوسي في المصباح حيث يقول: «ويستحب زيارته فيه (أي العشرين من صفر)» وهي زيارة الأربعين ونقل حديث الإمام العسكري عليه السلام في ذلك[3].
- العلامة المجلسي في بحار الأنوار[4].
- السيد عباس الكاشاني في مصابيح الجنان: «زيارة الحسين عليه السلام في يوم الأربعين وهو يوم العشرين من صفر وهي من المستحبات الأكيدة ولها فضل عظيم»[5].
- الحر العاملي في وسائل الشيعة حيث أفرد لها باباً أسماه: (باب تأكد إستحباب زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين من مقتله وهو يوم العشرين من صفر)[6].
- السيد محسن الأمين في مفتاح الجنات حيث قال: «ويستحب زيارته فيه وهي زيارة الأربعين»[7].

---

(١) بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام): ٦٥ / ١٣٠، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المولود بإصفهان سنة: ١٠٣٧، و المتوفى بها سنة: ١١١٠ هجرية، طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت / لبنان، سنة: ١٤١٤ هجرية.

(٢) المزار: ص٤٦.

(٣) مصباح المتهجد: ص٧٣٠.

(٤) بحار الأنوار: كتاب المزار: ج٩٨ ص٣٣٤.

(٥) مصابيح الجنان: ص٢٩٩.

(٦) وسائل الشيعة: ج١٤ ص٤٧٨ ب٥٦.

(٧) مفتاح الجنات: ج٢ ص٦٢٤.

- السيد المقرّم في المقتل، وفي توضيح المقاصد[1].

كما وجه سؤال إلى مكتب سماحة المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني -دام ظله الوارف-، بشأن زيارة الأربعين:

السؤال: ينقل البعض بأنَّ زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام غير ثابتة فما هو رأي سماحتكم؟

الجواب: لا يصغى إلى ما ينقل بهذا الشأن[2].

- العلامة الحلي في المنتهى .
- السيد ابن طاووس في الإقبال .
- الشيخ يوسف البحراني في الحدائق .
- المحدث القمي في المفاتيح .
- الشيخ المفيد في مسار الشيعة .
- الفيض الكاشاني في تقويم المحسنين .
- وغيرهم من الأعلام .

---

(١) المقتل للمقرم: ص٣٧٢ .

(٢) https: / /www.sistani.org /arabic /qa

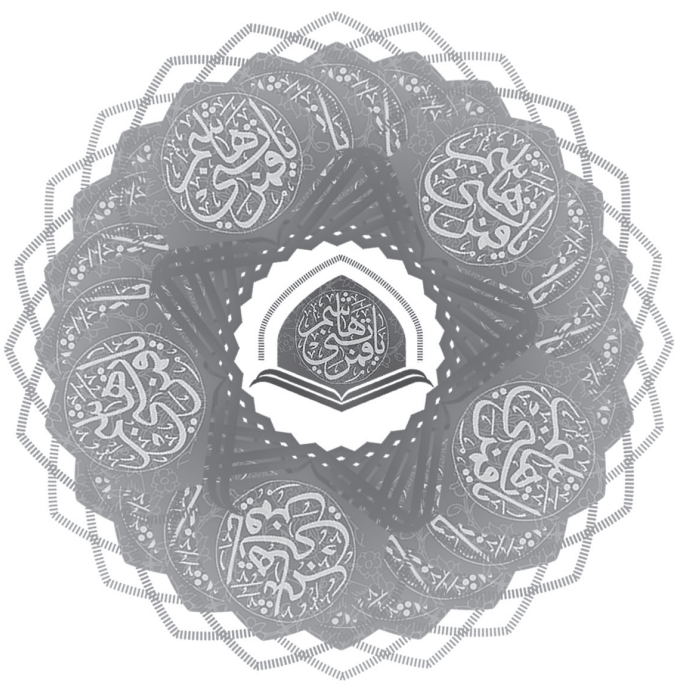

شذرات اجتماعية من الحياة الرضوية

السيد صباح الموسوي

من أهم الصفات التي تمتلكها الرسالات الإلهية أنها أديان تهتم بالفرد والمجتمع، بالإضافة الى اهتمامها بالجانب الروحي والجانب المادي، وتدعو الى خدمة المجتمع، كما أنها تدعو الى الاهتمام بالنفس، والدين الإسلامي كذلك لا ينحصر في تلبية الحاجات الاعتقادية والإيمانية للقلب، بل هو منهج يدعو، ويضع الأسس التي تدعو الى تلبية الحاجات الفردية والاجتماعية، عن طريق وضع منهج متكامل في العلاقات بين البشر، يقوم على أساس مراعاة حقوق أفراد المجتمع، وبثّ روح التعاون والخدمة المتبادلة بينهم، قال الله تعالى: **(إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)**[1]، وقد حث الرسول الاعظم محمد ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام على خدمة الناس وقضاء حوائجهم، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ سَمِعَ رَجُلًا يُنَادِي يَا لَلْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يُجِبْهُ فَلَيْسَ بِمُسْلِم"[2].

وعَنْ أَبِي الْمُعْتَمِرِ، قَالَ سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: **" قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**أَيُّمَا مُسْلِمٍ خَدَمَ قَوْماً مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مِثْلَ عَدَدِهِمْ خُدَّاماً فِي الْجَنَّةِ**". [3]

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جُنْدَبٍ: **" يَا ابْنَ جُنْدَبٍ، الْمَاشِي فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَالسَّاعِي بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَقَاضِي حَاجَتِهِ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ يَوْمَ بَدْرٍ وَ أُحُدٍ، وَ مَا عَذَّبَ اللهُ أُمَّةً إِلَّا عِنْدَ اسْتِهَانَتِهِمْ بِحُقُوقِ فُقَرَاءِ إِخْوَانِهِمْ"**[4].

وعَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: **" إِنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ خَلَقَ خَلْقاً مِنْ خَلْقِهِ انْتَجَبَهُمْ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ فُقَرَاءِ شِيعَتِنَا- لِيُثِيبَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ- فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ فَكُنْ"**[5] . فخدمة الناس من أحبّ

(١) (النحل/ ٩٠.

(٢) الكافي: ٢ / ١٦٤ .

(٣) المصدر نفسه: ٢ / ٢٠٧. .

(٤) مستدرك وسائل الشيعة: ٩ / ٥٠ .

(٥) الكافي، ٢، ١٩٣ .

الأعمال إلى الله تعالى، بل أفضل من العبادة المستحبة؛ لذا ينبغي التعاون بين المؤمنين لتأسيس ثقافة تربوية تُمكِّن المؤمن من الاستعانة بأخيه المؤمن، إذ لا مانع من أن يطلب المؤمن العون والحاجة من أخيه، فحينما يسألك شخص حاجته فبادر إلى قضائها، ولا تماطل، فقد يتغيّر الوضع ويستغني عنها، فتفوتك بذلك فرصة عظيمة وأجر جزيل، فهي من النعم الإلهية الكبرى أن يوفّق الإنسان للقيام بخدمة أو معروف اتجاه إخوانه؛ لأنَّه لو اطّلع على ما أعدّه الله تعالى له من عطاء أبدي لا ينفد؛ لأدرك أنَّ الأمر بالعكس بمعنى أنَّ المحتاج والمخدوم هو الذي يسدي خدمة للخادم والباذل؛ لأنَّه السبب في حصوله على هذه الهبة الربانية، وعليه ليس من الصواب أن تتاح فرصة لأحدنا كي يقوم بتقديم مساعدة للآخرين وقضاء حوائجهم فيفوّت تلك الفرصة. والواقع إذا طرق بابك محتاج إلى معاونتك فتلك رحمة قد ساقها الله تعالى إليك، وينبغي أن تستبشر خيراً، وتقابله بوجه ملؤه البسمة والانشراح؛ فإن قدرت على إجابته وتلبية طلبه كان زيادة في حسناتك وذخيرة ليوم معادك، وإلَّا سعيت في ذلك طالباً رضا الله سبحانه، فعلينا اغتنام هذه الفرصة الثمينة، وتزيين صفحات وجودنا بها، ولنا من الخالق سبحانه خير الجزاء. وفي الموقع المقابل، الّذين يعيشون الأنانيّة، ولا يسألون عن حاجات النّاس، ولا يسعون إلى سدِّها، هؤلاء لن يكونوا بمنأى عن عذاب الله وسخطه.

ولا يقف الأمر عند حدود الآخرة، فرغم أهميَّة الأمر، إلا أنَّه في الدّنيا أيضاً لن يبارك الله بالطَّاقات والنِّعم الّتي لا تقوم بمسؤوليَّة خدمة النَّاس وتلبية حاجاتهم.

ولا يقتصر قضاء الحوائج على النفع المادي فقط، ولكنه يمتد ليشمل النفع بالعلم، والنفع بالرأي، والنفع بالنصيحة، والنفع بالمشورة، والنفع بالجاه، والنفع بالسلطان، ونحو ذلك، فكل ما استطعت أن تنفع به إخوانك المسلمين فنفعتهم به، فأنت داخل في الذين يحبهم الله تعالى .

ومن المحطات المهمة في حياة إمامنا الرضا ﷺ اهتمامه الكبير بخدمة المجتمع وقضاء حوائجهم، فالتعاطف مع المحتاج من الأمور التي ظهرت بوضوح في آداب أهل البيت ﷺ، فقد كانوا دائمًا ينصحون الشيعة ومحبيهم بخدمة الناس سواء كانت مادية أو روحية، واعتبرت من أهم العبادات في الثقافة الإسلامية.

وحينما نلقي الضوء على حياة الإمام الرضا ﷺ نجد الإمام كان يركز على إظهار سبل السعادة في الدنيا والآخرة، وخاصة خدمة الناس من أجل تحقيق الحياة الطيبة في المجتمع البشري، لذلك قدم خدمات قيمة ومباركة وفيرة، يمكن تقسيمها على أقسام:

أولاً: الخدمات العلمية والثقافية

فقد أسس الإمام الرضا عليه السلام للحياة الطيبة عبر الإيمان، والعمل الصالح القائمين على قواعد معرفية أصيلة نابعة عن فكر أصيل، وقد كان هذا النشر الثقافي عبر ثلاثة محاور:

أوّلاً: مناظرات الإمام الرضا عليه السلام

وكان هدف الإمام عليه السلام من تلك المناظرات مع الأديان والمذاهب الأخرى إبطال كلّ الخطوط المنحرفة في ذلك الوقت، وبيان السبيل الحق للإسلام في الوصول الى الله تعالى، وأن أهل البيت عليهم السلام هم الخلفاء الحقيقيون للرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، ومناظرات الإمام الرضا عليه السلام كثيرة، ذكر بعضها العلامة الطبرسي في كتاب الاحتجاج[1].

وقال الشيخ الصدوق[2] رحمه الله: " كان المأمون يجلب على الرضا عليه السلام من متكلمي الفرق والأهواء المضلة كل من سمع به، حرصاً على انقطاع الرضا عليه السلام عن الحجة مع واحد منهم، وذلك حسداً منه لـه ولمنزلته من العلم، فكان عليه السلام لايكلمه أحدٌ إلاّ أقر لـه بالفضل والتزم الحجة لـه عليه؛ لأنَّ الله تعالى ذكره أبى إلَّا أن يعلي كلمته، ويتم نوره وينصر حجته، وهكذا وعد تبارك وتعالى في كتابه فقال (**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا والَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحياةِ الدُّنْيا**[3]..".

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اَللَّهِ اَلْخُرَاسَانِيِّ خَادِمِ اَلرِّضَا عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ اَلزَّنَادِقَةِ عَلَى اَلرِّضَا وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ فَقَالَ لَهُ أَبُو اَلْحَسَنِ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ اَلْقَوْلُ قَوْلَكُمْ، وَ لَيْسَ هُوَ كَمَا تَقُولُونَ، أَ لَسْنَا وَإِيَّاكُمْ شَرَعاً سَوَاءً وَلاَ يَضُرُّنَا مَا صَلَّيْنَا وَصُمْنَا وَزَكَّيْنَا وَأَقْرَرْنَا؟

فَسَكَتَ

فَقَالَ أَبُو اَلْحَسَنِ وَإِنْ يَكُنِ اَلْقَوْلُ قَوْلَنَا وَهُوَ كَمَا نَقُولُ أَ لَسْتُمْ قَدْ هَلَكْتُمْ وَنَجَوْنَا ؟

قَالَ اَلزِّنْدِيقُ رَحِمَكَ اَللَّهُ فَأَجِدْنِي كَيْفَ هُوَ وَأَيْنَ هُوَ؟

قَالَ وَيْلَكَ إِنَّ اَلَّذِي ذَهَبْتَ إِلَيْهِ غَلَطٌ وَهُوَ أَيْنَ اَلْأَيْنَ وَكَانَ وَلاَ أَيْنَ وَهُوَ كَيَّفَ اَلْكَيْفَ وَكَانَ وَلاَ كَيْفَ وَلاَ يُعْرَفُ بِكَيْفُوفِيَّةٍ وَلاَ بِأَيْنُونِيَّةٍ وَلاَ يُدْرَكُ بِحَاسَّةٍ وَلاَ يُقَاسُ بِشَيْءٍ.

قَالَ اَلرَّجُلُ فَإِذَنْ إِنَّهُ لاَ شَيْءَ إِذْ لَمْ يُدْرَكْ بِحَاسَّةٍ مِنَ اَلْحَوَاسِّ .

فَقَالَ أَبُو اَلْحَسَنِ وَيْلَكَ لَمَّا عَجَزَتْ حَوَاسُّكَ عَنْ إِدْرَاكِهِ أَنْكَرْتَ رُبُوبِيَّتَهُ وَنَحْنُ إِذَا عَجَزَتْ حَوَاسُّنَا عَنْ إِدْرَاكِهِ أَيْقَنَّا أَنَّهُ رَبُّنَا وَ أَنَّهُ شَيْءٌ بِخِلاَفِ اَلْأَشْيَاءِ.

---

(١) انظر: الاحتجاج: ج٢ص١٩٩ ـ ٢١٥. التوحيد، للصدوق: ص٤١٧ ـ ٤٥٤.

(٢) التوحيد: ص٤٥٤.

(٣) سورة غافر: ٥١.

قَالَ اَلرَّجُلُ فَأَخْبِرْنِي مَتَى كَانَ؟

قَالَ أَبُو اَلْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَخْبِرْنِي مَتَى لَمْ يَكُنْ؟ فَأُخْبِرَكَ مَتَى كَانَ

قَالَ اَلرَّجُلُ فَمَا اَلدَّلِيلُ عَلَيْهِ

قَالَ أَبُو اَلْحَسَنِ إِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ إِلَى جَسَدِي فَلَمْ يُمْكِنِّي فِيهِ زِيَادَةٌ وَ لاَ نُقْصَانٌ فِي اَلْعَرْضِ وَ اَلطُّولِ وَ دَفْعِ اَلْمَكَارِهِ عَنْهُ وَ جَرِّ اَلْمَنْفَعَةِ إِلَيْهِ عَلِمْتُ أَنَّ لِهَذَا اَلْبُنْيَانِ بَانِياً فَأَقْرَرْتُ بِهِ مَعَ مَا أَرَى مِنْ دَوَرَانِ اَلْفَلَكِ بِقُدْرَتِهِ وَ إِنْشَاءِ اَلسَّحَابِ وَ تَصْرِيفِ اَلرِّيَاحِ وَ مَجْرَى اَلشَّمْسِ وَ اَلْقَمَرِ وَ اَلنُّجُومِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ اَلْآيَاتِ اَلْعَجِيبَاتِ اَلْمُتْقَنَاتِ عَلِمْتُ أَنَّ لِهَذَا مُقَدِّراً وَ مُنْشِئاً

قَالَ اَلرَّجُلُ فَلِمَ لاَ تُدْرِكُهُ حَاسَّةُ اَلْبَصَرِ؟

قَالَ لِلْفَرْقِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ اَلَّذِي تُدْرِكُهُ حَاسَّةُ اَلْأَبْصَارِ مِنْهُمْ وَ مِنْ غَيْرِهِمْ ثُمَّ هُوَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُدْرِكَهُ بَصَرٌ أَوْ يُحِيطَ بِهِ وَهْمٌ أَوْ يَضْبِطَهُ عَقْلٌ .

قَالَ فَحُدَّهُ لِي قَالَ لاَ حَدَّ لَهُ قَالَ وَ لِمَ؟ قَالَ لِأَنَّ كُلَّ مَحْدُودٍ مُتَنَاهٍ وَ إِذَا اِحْتَمَلَ اَلتَّحْدِيدَ اِحْتَمَلَ اَلزِّيَادَةَ وَ إِذَا اِحْتَمَلَ اَلزِّيَادَةَ اِحْتَمَلَ اَلنُّقْصَانَ فَهُوَ غَيْرُ مَحْدُودٍ وَ لاَ مُتَزَايِدٍ وَ لاَ مُتَنَاقِصٍ وَ لاَ مُتَجَزِّئٍ وَ لاَ مُتَوَهَّمٍ

قَالَ اَلرَّجُلُ فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكُمْ إِنَّهُ لَطِيفٌ وَ سَمِيعٌ وَ بَصِيرٌ وَ عَلِيمٌ وَ حَكِيمٌ أَ يَكُونُ اَلسَّمِيعُ إِلاَّ بِالْأُذُنِ وَ اَلْبَصِيرُ إِلاَّ بِالْعَيْنِ وَ اَللَّطِيفُ إِلاَّ بِعَمَلِ اَلْيَدَيْنِ وَ اَلْحَكِيمُ إِلاَّ بِالصَّنْعَةِ؟

فَقَالَ أَبُو اَلْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِنَّ اَللَّطِيفَ مِنَّا عَلَى حَدِّ اِتِّخَاذِ اَلصَّنْعَةِ أَ وَمَا رَأَيْتَ أَنَّ اَلرَّجُلَ اِتَّخَذَ شَيْئاً فَيَلْطُفُ فِي اِتِّخَاذِهِ فَيُقَالُ مَا أَلْطَفَ فُلاَناً؟ فَكَيْفَ لاَ يُقَالُ لِلْخَالِقِ اَلْجَلِيلِ لَطِيفٌ إِذْ خَلَقَ خَلْقاً لَطِيفاً وَجَلِيلاً وَرَكَّبَ فِي اَلْحَيَوَانِ مِنْهُ أَرْوَاحَهَا وَ خَلَقَ كُلَّ جِنْسٍ مُبَايِناً مِنْ جِنْسِهِ فِي اَلصُّورَةِ وَلاَ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضاً فَكُلٌّ بِهِ لُطْفٌ مِنَ اَلْخَالِقِ اَللَّطِيفِ اَلْخَبِيرِ فِي تَرْكِيبِ صُورَتِهِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى اَلْأَشْجَارِ وَحَمْلِهَا أَطْيَابَهَا اَلْمَأْكُولَةَ مِنْهَا وَ غَيْرَ اَلْمَأْكُولَةِ - فَقُلْنَا عِنْدَ ذَلِكَ إِنَّ خَالِقَنَا لَطِيفٌ لاَ كَلُطْفِ خَلْقِهِ فِي صَنْعَتِهِمْ وَ قُلْنَا إِنَّهُ سَمِيعٌ لِأَنَّهُ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ أَصْوَاتُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ اَلْعَرْشِ إِلَى اَلثَّرَى مِنَ اَلذَّرَّةِ إِلَى مَا أَكْبَرُ مِنْهَا فِي بَرِّهَا وَ بَحْرِهَا وَلاَ يَشْتَبِهُ عَلَيْهِ لُغَاتُهَا فَقُلْنَا عِنْدَ ذَلِكَ إِنَّهُ سَمِيعٌ لاَ بِأُذُنٍ وَ قُلْنَا إِنَّهُ بَصِيرٌ لاَ بِبَصَرٍ لِأَنَّهُ يَرَى أَثَرَ اَلذَّرَّةِ اَلسَّحْمَاءِ فِي اَللَّيْلَةِ اَلظَّلْمَاءِ عَلَى اَلصَّخْرَةِ اَلسَّوْدَاءِ وَ يَرَى دَبِيبَ اَلنَّمْلِ فِي اَللَّيْلَةِ اَلدَّجِيَّةِ وَ يَرَى مَضَارَّهَا وَ مَنَافِعَهَا وَ أَثَرَ سِفَادِهَا وَفَرَاخَهَا وَنَسْلَهَا فَقُلْنَا عِنْدَ ذَلِكَ إِنَّهُ بَصِيرٌ لاَ كَبَصَرِ خَلْقِهِ قَالَ فَمَا بَرِحَ حَتَّى أَسْلَمَ وَ فِيهِ كَلاَمٌ غَيْرُ هَذَا "[1].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٣١ .

ثانياً: نشر المعارف الحقة

فقد حاول أعداء أهل البيت ﷺ من خلال دعم الأفكار الباطلة منع انتشار تعاليمهم ﷺ بين الناس قدر الإمكان، وعدم السماح لهم باتباع تعاليم المعصوم، فنهض الإمام الرضا ﷺ لنشر التعاليم الصحيحة للإسلام واعتبره أهم خدمة للناس، بالإضافة إلى تناول القضايا العقائدية المهمة.

فالإمام الرضا ﷺ بالإضافة لتوليه شؤون أهل بيت النبوة في المدينة المنورة، كان يهتم بمشاكل الأمة، ويسعى لتوعيتها وتثقيفها، فكان له نشاطه التعليمي المكثف، ولقد حقق غايته المتوخاة، حيث استقطب الإمام ﷺ خلال تلك الفترة طلاب المعرفة الإسلامية، وخلق نواة مدرسة فكرية مميزة، تخرّج فيها قمم فكرية وقادة رأي ورواة ومحدثون وفقهاء.

كما أنَّ الإمام بيَّن أصول العقائد والأحكام الفقهية والسنن والآداب في كثير من أحاديثه الشريفة، وبيّن فلسفة أهم الأحكام.

قال ابن فضال: قلت لأبي الحسن الرضا ﷺ: يا ابن رسول الله لِمَ خلق الله عزوجل الخلق على أنواع شتى، ولم يخلقه نوعاً واحداً؟

فقال ﷺ: «لئلا يقع في الأوهام أنَّه عاجز، فلا تقع صورة في وهم ملحد إلَّا وقد خلق الله عزوجل عليها خلقاً، ولا يقول قائل هل يقدر الله تعالى على أن يخلق على صورة كذا وكذا إلَّا وجد ذلك في خلقه تبارك وتعالى فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنّه على كلِّ شيء قدير»[1].

وعن إبراهيم بن محمد الهمداني قال: قلت لأبي الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ: لأيّ علّة أغرق الله عزوجل فرعون وقد آمن به وأقر بتوحيده؟ قال ﷺ: «لأنّه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم الله تعالى في السلف والخلف، قال الله عزوجل: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وكَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا**﴾[2]، وقال عزوجل: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً**﴾[3] وهكذا فرعون لما ﴿**أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[4] فقيل له: ﴿**آلآنَ وقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ**

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج٤ ص٥٥١.

(٢) سورة غافر: ٨٤- ٨٥.

(٣) سورة الأنعام: ١٥٨.

(٤) سورة يونس: ٩٠.

آيَةً﴾[1] وقد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد (وقد لبسه على بدنه) فلما غرق ألقاه الله تعالى على نجوة من الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامة فيرونه مع تثقله بالحديد مرتفع من الأرض وسبيل الثقيل أن يرسب ولا يرتفع فكان ذلك آية وعلامة، ولعلة أخرى أغرق الله عزوجل فرعون وهي أنَّه استغاث بموسى لما أدركه الغرق ولم يستغث بالله فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى لم تغث فرعون؛ لأنك لم تخلقه ولو استغاث بي لأغثته»[2].

وعن الحسين بن النضر قال الرضا ﷺ: ما العلة في التكبير على الميت خمس تكبيرات؟ قال (الراوي): رووا أنَّها اشتقت من خمس صلوات، فقال ﷺ: هذا ظاهر الحديث فأما في وجه آخر، فإنَّ الله عزوجل فرض على العباد خمس فرائض: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، فجعل للميت من كل فريضة تكبيرة واحدة، فمن قبل الولاية كبر خمساً، ومن لم يقبل الولاية كبّر أربعاً، فمن أجل ذلك تكبرون خمساً، ومن خالفكم يكبر أربعاً"[3].

وعن علي بن معبد عن الحسين بن خالد قال: سألت أبا الحسن ﷺ عن مهر السنة كيف صار خمسمائة درهم؟ فقال ﷺ: " إنَّ الله تبارك وتعالى أوجب على نفسه أن لا يكبره مؤمن مائة تكبيرة، ويحمده مائة تحميدة، ويسبحه مائة تسبيحة ويهلله مائة تهليلة، ويصلي على محمد وآله مائة مرة، ثم يقول: (اللّهُمَّ زَوِّجْني مِنَ الحُورِ العين) إلَّا زوجه الله حوراء من الجنة، وجعل ذلك مهرها، ثم أوحى الله عزوجل إلى نبيه ﷺ أن يسن مهور المؤمنات خمسمائة درهم ففعل ذلك رسول الله ﷺ"[4].

الثالث: سلوك الإمام ﷺ وأخلاقه

ولعل هذه من أهم الخدمات التي قدمت للناس أنَّ الناس يعيش بينها أسوة وقدوة لهم، وهكذا كان الإمام علي الرضا ﷺ كآبائه الطاهرين ﷺ أفضل الناس خُلُقاً، وأحسنهم أخلاقاً.

فكان ﷺ حسن المجالسة، لطيف المحادثة، يحدث الصغير والكبير ويأنس بهم، وكان ﷺ كثير المعروف، كثير العطاء، وأكثر صدقاته في السرّ، خصوصاً في الليالي المظلمة.

وروي أنّه ﷺ ما جفا أحداً بكلام قطّ، وما أغلظ في القول، ولا اتكأ بين يدي جليس، ولم يُقهقه أبداً، ولم يبصق أمام أحد قطّ، وإذا نصبت المائدة أحضر جميع أهله وخدمه وأكل معهم.

عن إبراهيم بن العباس قال: " ما رأيت أبا الحسن الرضا ﷺ جفا أحداً بكلمة قطّ، ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما رد أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مدّ رجله بين يدي جليس لـه قطّ، ولا اتكأ بين

---

(١) سورة يونس: ٩١-٩٢.

(٢) قصص الأنبياء، للجزائري: ص٢٧٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج٣، ص٧٧

(٤) تهذيب الأحكام: ج٧، ص٣٥٦ ـ ٣٥٧

يدي جليس له قطّ، ولا رأيته شتم أحداً من مواليه ومماليكه قطّ، ولا رأيته تفل قطّ، ولا رأيته تقهقه في ضحكة قطّ، بل كان ضحكه التبسم[1]، وكان إذا خلا ونصب مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه ومواليه حتى البوّاب السائس، وكان ﷺ قليل النّوم بالليل، كثير السهر، يحيي أكثر لياليه من أوّلها إلى الصبح، وكان كثير الصيام، فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر ويقول ﷺ: «ذلك صوم الدهر» وكان ﷺ كثير المعروف والصدقة في السر، وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة، فمن زعم أنّه رأى مثله في فضله فلا تصدّق"[2].

المحور الثاني: الخدمات المادية

فقد كان الإمام الرضا ﷺ شديد الحرص على تقديم الخدمات المادية للمجتمع وقضاء حوائجهم، وقد وردت كثير من الرّوايات والأحاديث الشريفة التي تشجّع على هذا الجانب، وهي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: السلوك العلمي في تشجيع الناس على هذا الخلق من نشر النصوص التي لها علاقة بهذا الجانب، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

قال الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ: **" الْأَجَلُ آفَةُ الْأَمَلِ، وَالْعُرْفُ ذَخِيرَةُ الْأَبَدِ، وَالْبِرُّ غَنِيمَةُ الْحَازِمِ، وَالتَّفْرِيطُ مُصِيبَةُ ذَوِي الْقُدْرَةِ، وَالْبُخْلُ يُمَزِّقُ الْعِرْضَ، وَ الْحُبُّ دَاعِي الْمَكَارِهِ وَأَجَلُّ الْخَلَائِقِ وَأَكْرَمُهَا اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ، وَ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَتَحْقِيقُ أَمَلِ الْآمِلِ، وَتَصْدِيقُ رَجَاءِ الرَّاجِي، وَالِاسْتِكْثَارُ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ فِي الْحَيَاةِ، وَالْبَاكِينَ بَعْدَ الْوَفَاةِ"** [3].

وروي عن الإمام الرضا ﷺ أنّه قال: " احرصوا على قضاء حوائج المؤمنين، وإدخال السرور عليهم، ودفع المكروه عنهم فإنّه ليس شيء من الأعمال عند الله عز وجل بعد الفرائض، أفضل من إدخال السرور على المؤمن"[4].

وروى الصدوق في معاني الأخبار والعيون عن علي عن أبيه عن داود بن سليمان عن الرضا، عن أبيه عن الصادق، قال: أوحى الله عز وجل إلى داود، أن العبد من عبادي لياتيني بالحسنة فأدخله الجنة.

قال يا رب وما تلك الحسنة. قال: يفرج عن المؤمن كربة ولو بتمرة.

قال: فقال داود ﷺ: حق لمن عرفك أن لا ينقطع رجاؤه منك"[5].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢ص٢٠٩.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: ج١٥ ص٥٥٦.

(٣) نزهة الناظر و تنبيه الخاطر: ١٣٣.

(٤) فقه الرضا عليه السلام: ص ٣٣٩

(٥)المصدر نفسه: ص ٣٣٩.

القسم الثاني: السلوك العملي من خلال قيام الامام بنفس العمل في مواطن عديدة:

عنِ الْيَسَعِ بْنِ حَمْزَةَ قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسِ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام أُحَدِّثُهُ، وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ طُوَالٌ آدَمُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، رَجُلٌ مِنْ مُحِبِّيكَ وَمُحِبِّي آبَائِكَ وَ أَجْدَادِكَ عليهم السلام، مَصْدَرِي مِنَ الْحَجِّ وَقَدِ افْتَقَدْتُ نَفَقَتِي، وَمَا مَعِي مَا أَبْلُغُ مَرْحَلَةً، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُنْهِضَنِي إِلَى بَلَدِي، وَللهِ عَلَيَّ نِعْمَةٌ فَإِذَا بَلَغْتُ بَلَدِي تَصَدَّقْتُ بِالَّذِي تُوَلِّينِي عَنْكَ، فَلَسْتُ مَوْضِعَ صَدَقَةٍ.

فَقَالَ لَهُ: «اجْلِسْ رَحِمَكَ اللهُ.

وَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ يُحَدِّثُهُمْ حَتَّى تَفَرَّقُوا وَ بَقِيَ هُوَ وَ سُلَيْمَانُ الْجَعْفَرِيُّ، وَ خَيْثَمَةُ، وَأَنَا.

فَقَالَ: «أَتَأْذَنُونَ لِي فِي الدُّخُولِ»؟

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: قَدَّمَ اللهُ أَمْرَكَ.

فَقَامَ فَدَخَلَ الْحُجْرَةَ وَ بَقِيَ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَجَ وَ رَدَّ الْبَابَ، وَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ أَعْلَى الْبَابِ، وَقَالَ: «أَيْنَ الْخُرَاسَانِيُّ"».

فَقَالَ: هَا أَنَا ذَا.

فَقَالَ: "خُذْ هَذِهِ الْمِائَتَيْ دِينَارٍ وَاسْتَعِنْ بِهَا فِي مَئُونَتِكَ وَنَفَقَتِكَ وَتَبَرَّكْ بِهَا، وَلَا تَصَدَّقْ بِهَا عَنِّي، وَاخْرُجْ فَلَا أَرَاكَ وَلَا تَرَانِي"".

ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ لَقَدْ أَجْزَلْتَ وَرَحِمْتَ، فَلِمَا ذَا سَتَرْتَ وَجْهَكَ عَنْهُ؟

فَقَالَ: «مَخَافَةَ أَنْ أَرَى ذُلَّ السُّؤَالِ فِي وَجْهِهِ لِقَضَائِي حَاجَتَهُ، أَ مَا سَمِعْتَ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه و آله «الْمُسْتَتِرُ بِالْحَسَنَةِ يَعْدِلُ سَبْعِينَ حِجَّةً، وَ الْمُذِيعُ بِالسَّيِّئَةِ مَخْذُولٌ، وَ الْمُسْتَتِرُ بِهَا مَغْفُورٌ لَهُ"».

أَ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْأَوَّلِ [1]:

مَتَى آتِهِ يَوْماً لِأَطْلُبَ حَاجَةً * رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي وَ وَجْهِي بِمَائِهِ" [2].**

وقال ياسر الخادم: " كان الرضا عليه السلام إذا خلا جمع حشمه كلهم عنده، الصغير والكبير، فيحدثهم ويأنس بهم ويؤنسهم، وكان عليه السلام إذا جلس على المائدة لا يدع صغيراً ولا كبيراً حتى السائس والحجام إلَّا أقعده معه على مائدته"[3].

وروى الكليني رحمه الله في الكافي بسنده عن رجل من أهل بلخ قال: كنت مع الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان، فدعا يوماً بمائدة له، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة! فقال عليه السلام: "مه، إنَّ الرب تبارك وتعالى واحد، والأُم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال"[4].

---

(١) الْأَوَّلِ، أي القدماء الذين تقدم عهدهم.

(٢) الكافي: ٤ / ٢٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٤ص٢٦٥.

(٤) الكافي: ج٨، ص٢٣٠. وسائل الشيعة: ج٢٤ ص٢٦٥.

عن موسى بن سيار قال: كنت مع الرضا ﷺ وقد أشرف على حيطان طوس وسمعت واعيةً فاتبعتها فإذا نحن بجنازة، فلما بصرتُ بها رأيت سيدي وقد ثنى رجله عن فرسه ثم أقبل نحو الجنازة فرفعها، ثم أقبل يلوذ بها ... ثم أقبل عليَّ وقال ﷺ: «يا موسى بن سيار من شيّع جنازة ولي من أوليائنا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه لا ذنب عليه".

حتى إذا وضع الرجل على شفير قبره رأيت سيدي قد أقبل، فأفرج الناس عن الجنازة حتى بدا له الميت فوضع يده على صدره ثم قال ﷺ: «يا فلان بن فلان أبشر بالجنة فلا خوف عليك بعد هذه الساعة".

فقلت: جعلت فداك هل تعرف الرجل؟، والله إنَّها بقعة لم تطأها قبل يومك هذا؟!

فقال لي ﷺ: «يا موسى بن سيار، أما علمت أنّا معاشر الأئمة تُعرض علينا أعمال شيعتنا صباحاً ومساءً، فما كان من التقصير في أعمالهم سألنا الله تعالى الصفح لصاحبه..." [1].

وروي أنّه الإمام الرضا ﷺ فرّق بخراسان ماله كله في يوم عرفة، فقال له الفضل بن سهل: إنّ هذا لمغرم! فقال ﷺ: «بل هو المغنم، لا تعدن مغرماً ما ابتعتُ (ابتغيت) به أجراً وكرماً"[2].

وعن هارون بن عبد الله المهلبي قال: لما وصل إبراهيم بن العباس ودعبل بن علي الخزاعي إلى الرضا ﷺ وقد بويع له بالعهد، أنشده دعبل:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

وأنشده إبراهيم بن العباس:

أزالت عناء القلب بعد التجلد مصارع أولاد النبي محمد

فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه، كان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت. قال فأما دعبل فصار بالعشرة آلاف التي حصته إلى قم فباع كل درهم بعشرة دراهم فتخلصت له مائة ألف درهم. وأما إبراهيم فلم يزل عنده بعد أن أهدى بعضها وفرّق بعضها على أهله إلى أن توفي رحمه الله فكان كفنه وجهازه منها[3].

إنَّ بعض هذه العطايا كان لأجل أن يصرفه الطرف في مصارفها الشرعية ويفرقها على الشيعة وعلى الفقراء والمساكين.

روى الكليني رحمه الله في الكافي بسنده أنّه نزل بأبي الحسن الرضا ﷺ ضيف وكان جالساً عنده يحدثه في بعض

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١٦٤.

(٢) المصدر نفسه: ج٧ ص١٨٧.

(٣) تعليقة على منهج المقال: ص٤٨.

الليل، فتغير السراج فمدّ الرجل يده ليصلحه، فزبره[1] أبو الحسن ﷺ ثم بادره بنفسه فأصلحه، ثم قال ﷺ: "إنا قوم لا نستخدم أضيافنا"[2].

عن ياسر ونادر خادمي الإمام الرضا ﷺ قالا: قال لنا أبو الحسن ﷺ: " إن قمت على رؤوسكم وأنتم تأكلون فلا تقوموا حتى تفرغوا"..

وقالا: ولربما دعا ﷺ بعضنا فيقال له هم يأكلون، فيقول ﷺ: "دعوهم حتى يفرغوا"[3].

ونظر أبو نواس إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة له، فدنا منه أبو نواس وسلّم عليه وقال: يا ابن رسول الله قد قلتُ فيك أبياتاً وأحب أن تسمعها مني، فقال ﷺ: "هات"، فأنشأ يقول:

مطهرون نقيات ثيابهم — تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علويا حين تنسبه — فما له في قديم الدهر مفتخر

فالله لما برأ خلقا فأتقنه — صفاكم واصطفاكم أيها البشر

فأنتم الملأ الأعلى وعندكم — علم الكتاب وما جاءت به السور

فقال الرضا ﷺ: "قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد.. يا غلام هل معك من نفقتنا شيء"؟

فقال له: ثلاثمائة دينار، فقال ﷺ: "أعطها إياه" ثم قال ﷺ: "لعله استقلها، يا غلام سق إليه البغل"[4].

وعَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلَّادٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا ﷺ إِذَا أَكَلَ أُتِيَ بِصَحْفَةٍ [5] فَتُوضَعُ بِقُرْبِ مَائِدَتِهِ، فَيَعْمِدُ إِلَى أَطْيَبِ الطَّعَامِ مِمَّا يُؤْتَى بِهِ فَيَأْخُذُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَيْئاً فَيَضَعُ فِي تِلْكَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِهَا لِلْمَسَاكِينِ، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) [6].

ثُمَّ يَقُولُ: " عَلِمَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَقْدِرُ عَلَى عِتْقِ رَقَبَةٍ، فَجَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ"[7].

القسم الثالث: قضاء الحوائج بالمعاجز

---

(١) زبره: نهاه ومنعه.

(٢) الكافي: ج٦ ص٢٨٣. وسائل الشيعة: ج٢٤ ص٣١٦.

(٣) المحاسن، للبرقي: ج٢ ص٤٢٣..

(٤) كشف الغمة: ج٣ ص١١١.

(٥) الصَّحْفة: وعاءٌ كبير منبسط كان يوضع فيه الطعام، و كان يستوعب طعاماً يُشبعُ خمسة أشخاص

(٦) سورة البلد / الآية: ١١.

(٧) الكافي: ٤ / ٥٢، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُليني، المُلَقَّب بثقة الإسلام، المتوفى سنة: ٣٢٩ هجرية، طبعة دار الكتب الإسلامية، سنة: ١٣٦٥ هجرية / شمسية، طهران / إيران.

من أهداف المعجزة أنَّها تبيّن الدعوة الصادقة من الكاذبة، كما أنَّها وجدت لخدمة المجتمع، وقد ضرب الإمام الرضا عليه السلام أروع المعاجز التي تُبيّن صدق دعواه، وفي الوقت نفس كانت لأجل خدمة المجتمع.

المعاجز التي صدرت عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام كثيرة، بل ولاتزال تصدر، فإنَّهم عليهم السلام أحياءٌ عند ربهم يُرزقون، حيث نقرأ في زياراتهم عليهم السلام: **"أَشْهَدُ أَنَّكَ تَشْهَدُ مَقامِي وَتَسْمَعُ كَلامِي وَأَنَّكَ حَيّ عِنْدَ رَبِّكَ تُرْزَقُ"**[1].

نزول المطر

عن الحسن بن علي العسكري عليه السلام عن أبيه علي بن محمد عليه السلام عن أبيه محمد بن علي عليه السلام: أنَّ الرضا علي بن موسى عليه السلام لما جعله المأمون ولي عهده احتبس المطر فجعل بعض حاشية المأمون والمتعصبين على الرضا عليه السلام يقولون: انظروا لما جاءنا علي بن موسى عليه السلام وصار ولي عهدنا فحبس الله عنّا المطر، واتصل ذلك بالمأمون فاشتد عليه، فقال للرضا عليه السلام: قد احتبس المطر، فلو دعوت الله عزوجل أن يمطر الناس.

فقال الرضا عليه السلام: "نعم".

قال: فمتى تفعل ذلك، وكان ذلك يوم الجمعة؟

قال عليه السلام: «يوم الإثنين، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتاني البارحة في منامي ومعه أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال: يا بني انتظر يوم الاثنين فابرز إلى الصحراء واستسق، فإنَّ الله تعالى سيسقيهم، وأخبرهم بما يريك الله مما لا يعلمون من حالهم؛ ليزداد علمهم بفضلك ومكانك من ربّك عزوجل".

فلما كان يوم الاثنين غدا عليه السلام إلى الصحراء وخرج الخلائق ينظرون، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال عليه السلام: **"اللهم يا رب أنت عظّمتَ حقنا أهل البيت، فتوسلوا بنا كما أمرتَ، وأملوا فضلَك ورحمتك، وتوقعوا إحسانك ونعمتك، فاسقهم سقياً نافعاً عاماً غير رائث**[2] **ولا ضائر، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ومقارهم»**.

قال[3]: «فو الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق نبياً لقد نسجت الرياح في الهواء الغيوم، وأرعدت، وأبرقت، وتحرك الناس كأنهم يريدون التنحي عن المطر".

فقال الرضا عليه السلام: "على رسلكم أيها الناس فليس هذا الغيم لكم، إنما هو لأهل بلد كذا» فمضت السحابة وعبرت، ثم جاءت سحابة أخرى تشتمل على رعد وبرق فتحركوا، فقال عليه السلام: «على رسلكم فما هذه لكم إنما

---

(١) عدة الداعي، لابن فهد الحلي: ص٥٦، مستدرك الوسائل: ج١٠، ص٣٤٥.

(٢) في نسخة: (غير بطيء).

(٣) أي الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

هي لأهل بلد كذا" فما زالت حتى جاءت عشر سحابة وعبرت ويقول علي بن موسى الرضا عليه السلام في كل واحدة: "على رسلكم ليست هذه لكم إنَّما هي لأهل بلد كذا" ثم أقبلت سحابة حادية عشر فقال عليه السلام: «أيها الناس هذه سحابة بعثها الله عزوجل لكم فاشكروا الله على تفضله عليكم، وقوموا إلى مقاركم ومنازلكم فإنها مسامة لكم ولرؤوسكم ممسكة عنكم إلى أن تدخلوا إلى مقاركم ثم يأتيكم من الخير ما يليق بكرم الله تعالى وجلاله".

ونزل عليه السلام من على المنبر وانصرف الناس، فما زالت السحابة ممسكة إلى أن قربوا من منازلهم ثم جاءت بوابل[1] المطر، فملئت الأودية والحياض والغدران والفلوات، فجعل الناس يقولون: هنيئاً لولد رسول الله صلى الله عليه وآله كرامات الله عزوجل، ثم برز إليهم الرضا عليه السلام وحضرت الجماعة الكثيرة منهم فقال عليه السلام: "يا أيها الناس اتقوا الله في نعم الله عليكم فلا تنفروها عنكم بمعاصيه، بل استديموها بطاعته وشكره على نعمه وأياديه، واعلموا أنَّكم لا تشكرون الله تعالى بشيء بعد الإيمان بالله وبعد الاعتراف بحقوق أولياء الله من آل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أحب إليه من معاونتكم لإخوانكم المؤمنين على دنياهم التي هي معبر لهم إلى جنان ربّهم، فإنَّ من فعل ذلك كان من خاصة الله تبارك وتعالى، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك ولا ما ينبغي لقائل أن يزهد في فضل الله عليه فيه إن تأمله وعمل عليه، قيل: يا رسول الله هلك فلان يعمل من الذنوب كيت وكيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل قد نجا ولا يختم الله عمله إلاّ بالحسنى وسيمحو الله عنه السيئات ويبدلها من حسنات، إنّه كان يمر مرة في طريق عرض لـه مؤمن قد انكشفت عورته وهو لا يشعر فسترها عليه ولم يخبره مخافة أن يخجل، ثم إنَّ ذلك المؤمن عرفه في مهواه فقال لـه: أجزل الله لك الثواب وأكرم لك المآب ولا ناقشك في الحساب، فاستجاب الله لـه فيه، فهذا العبد لا يختم الله لـه إلّا بخير بدعاء ذلك المؤمن، فاتصل قول رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الرجل فتاب وأناب وأقبل على طاعة الله عزوجل، فلم يأتِ عليه سبعة أيام حتى أُغير على سرح المدينة فوجه رسول الله صلى الله عليه وآله في أثرهم جماعة ذلك الرجل أحدهم فاستشهد فيهم[2].

يا ريان ارجع

قال الريان بن الصلت[3]: لما أردت الخروج إلى العراق وعزمت على توديع الرضا عليه السلام فقلت في نفسي: إذا ودعته سألته قميصاً من ثياب جسده لأكفن به، ودراهم من ماله أصوغ بها لبناتي خواتيم، فلما ودعته شغلني البكاء والأسى على فراقه عن مسألة ذلك.

فلما خرجت من بين يديه صاح عليه السلام بي: "يا ريان ارجع"، فرجعت، فقال عليه السلام لي: "أما تحب أن أدفع إليك قميصاً

---

(١) الوابل: المطر الشديد.

(٢) انظر: دلائل الإمامة: ص٣٧٦ـ ٣٧٩.

(٣) من أصحاب الإمام الرضا والهادي عليهما السلام ثقة، صدوق.

من ثياب جسدي تكفن فيه إذا دنا أجلك؟، أوما تحب أن أدفع إليك دراهم تصوغ بها لبناتك خواتيم؟".

فقلت: يا سيدي قد كان في نفسي أن أسألك ذلك فمنعني الغم بفراقك.

فرفع عليه السلام الوسادة وأخرج قميصاً فدفعه إلي ورفع جانب المصلى فأخرج دراهم فدفعها إلي فعددتها فكانت ثلاثين درهماً [1].

علينا قضاء دينك

قال أبو محمد الغفاري: لزمني دين ثقيل فقلت: ما لقضاء ديني غير سيدي ومولاي أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام فلما أصبحت أتيت منزله فاستأذنت فأذن لي، فلما دخلت قال لي ابتداءً: "يا أبا محمد قد عرفنا حاجتك وعلينا قضاء دينك".

فلما أمسينا أُتي بطعام للإفطار فأكلنا فقال: "يا أبا محمد تبيت أو تنصرف"؟

فقلت: يا سيدي إن قضيت حاجتي فالانصراف أحبّ إليّ.

قال: فتناول عليه السلام من تحت البساط قبضة فدفعها إليّ، فخرجت ودنوت من السراج فإذا هي دنانير حمر وصفر، فأول دينار وقع بيدي ورأيت نقشه كان عليه:"يا أبا محمد الدنانير خمسون، ستة وعشرون منها لقضاء دينك، وأربع وعشرون لنفقة عيالك"، فلما أصبحت فتشت الدنانير فلم أجد ذلك الدينار وإذا هي لا تنقص شيئاً[2].

نسيت حوائجي

عن الهشام العباسي[3] قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام وأنا أريد أن أسأله أن يعوذني لصداع أصابني وأن يهب لي ثوبين من ثيابه أحرم فيهما، فلما دخلت سألت عن مسائلي فأجابني ونسيت حوائجي، فلما قمت لأخرج وأردت أن أودعه قال عليه السلام لي: "اجلس" فجلست بين يديه فوضع يده على رأسي وعوذني ثم دعا لي بثوبين من ثيابه فدفعهما إليّ وقال عليه السلام لي: "أحرم فيهما".

قال العباسي: وطلبت بمكة ثوبين سعيديين[4] إحداهما لابني فلم أصب بمكة منهما شيئاً على نحو ما أردت فمررت بالمدينة في منصرفي فدخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فلما ودعته وأردت الخروج دعا بثوبين سعيديين على عمل الموشى الذي كنت طلبته فدفعهما إليّ[5].

---

(١) شرح إحقاق الحق: ج٢٨، ص٦٤٠.

(٢) مدينة المعاجز: ج٧، ص٨١.

(٣) هو هشام بن إبراهيم العباسي كان في أول أمره مؤمناً صالحاً من خواص الأئمة عليهم السلام لكنه انقلب فصار زنديقاً خبيثاً عباسي الهوى ولذلك سمي.

(٤) من برود اليمن أو ثياب معمول في السعيدية، وهي قرية بمصر.

(٥) قاموس الرجال: ج١٠، ص٥١٦ ـ ٥١٧.

جواب المسائل كلها

عن الحسن بن علي الوشاء قال: كنت كتبت مسائل كثيرة قبل أن أقطع على الرضا أبي الحسن ﷺ وجمعتها في كتاب مما روي عن آبائه ﷺ وغيره، وأردت أن أتثبت في أمره وأختبره، فحملت الكتاب في كمي وصرت إلى منزله، وأردت أن أجد منه خلوة فأتلو له الكتاب، فجلست ناحية وأنا متفكر في طلب الإذن عليه، (وبالباب جماعة جلوس يتحدثون، فبينا أنا كذلك في الفكرة في الاحتيال للدخول عليه)[1] فإذا أنا بالغلام قد خرج من الدار وفي يده كتاب فقال: أيكم الحسن بن علي الوشاء (ابن بنت إلياس) البغدادي[2]، فقمت إليه فقلت: أنا الحسن بن علي فما حاجتك؟ فقال: هذا الكتاب أمرني أن أدفعه إليك فهاك، فأخذته وتنحيت ناحية فقرأته فإذا والله جواب مسألة مسألة فعند ذلك قطعت عليه وتركت الوقف"[3].

(١) ما بين القوسين موجود في بعض النسخ.

(٢) إلياس بن عمرو البجلي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام؛ شيخ امامي.

(٣) الثاقب في المناقب: ص٤٧٩.

شهر ربيع
الأول

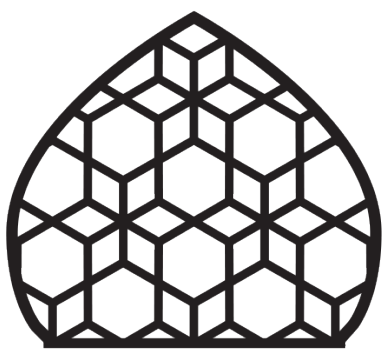

- أدوار من حياة الإمام العسكري عليه السلام
- الدعوات المهدوية الكاذبة
- بشرية النبي محمد صلى الله عليه وآله وأثرها في تفسير النصوص القرآنية
- كيف نتعامل مع الاختلاف السلبي؟ في ضوء أحاديث الإمام الصادق عليه السلام

أدوار من حياة الإمام العسكري عليه السلام

الشيخ علي مظلوم

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين. ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

شهد عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام العديد من المحطات التي كانت تتسم بالظلم والقهر والقتل خوفاً من امتداد نور أهل البيت عليهم السلام، وولادة منقذ البشرية المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه، وكان للإمام عليه السلام عدة أدوار وأعمال ساهمت في عبور تلك المراحل والوصول الى الحق والحقيقة، وسنحاول في هذا البحث أن نلقي الضوء على أهم تلك الظروف، وكيف استطاع الإمام عليه السلام أن ينتصر بحكمته على تلك القوى الطاغية والظالمة، بعد أن نعرف البطاقة الشخصية للإمام عليه السلام.

الاسم المبارك: هو الإمام الحسن، بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، قادة الأُمم وأولياء النعم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وأبواب الإيمان وأُمناء الرحمن، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

الكنية الشريفة: كنيته عليه السلام: أبو محمد، كُنّي باسم ولده الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وفي مناقب ابن شهر آشوب: «كان الحسن العسكري عليه السلام هو وأبوه وجدّه عليهم السلام يُعرف كلٌ منهم في زمانه بابن الرضا»[1].

الألقاب الطاهرة: لقبه عليه السلام: العسكري، والخالص، والهادي، والزكي، والصامت، والسراج، والتقي، والخاص، وغيرها.

أما العسكري وهو الأشهر من بين ألقابه: فلأنه عليه السلام كان تحت الإقامة الجبرية في ثكنة عسكرية بسامراء، فلُقّب بالعسكري.

---

(١) المناقب: ج٤، ص٤٢١.

والدته عليها السلام: سليل النوبية عليها السلام وهي منسوبة إلى منطقة في جنوب مصر ـ كانت من أفضل نساء عصرها، ومن السيدات الزاكيات في عفتها وورعها وطهارتها، وكانت قمةً في الصلاح والتقوى، وقد أثنى عليها الإمام علي الهادي عليه السلام حيث قال: "سليل مسلولةٌ من الآفات والأرجاس والأنجاس".

وأيضاً من أسمائها عليها السلام: (حديث) أو (حديثة) و(سوسن)؛ فإنه كان من المتعارف آنذاك أن يُسمّى الشخص بعدة أسماء، سواء كان رجلاً أم امرأة.

الولادة المباركة: وُلد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في يوم الجمعة، الثامن من ربيع الثاني سنة ٢٣٢ هجرية في المدينة المنورة على الأشهر، كما ذكره العلامة المجلسي رحمه الله. وقيل: وُلد الإمام عليه السلام في سامراء.

بقي الإمام العسكري عليه السلام في مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السنة الرابعة من حياته الشريفة، ثم شخص إلى العراق بشخوص والده الإمام الهادي عليه السلام وذلك بضغط وجبر من الحكومة العباسية الظالمة.

استشهد الإمام عليه السلام. في اليوم الثامن الربيع الأول. من عام مئتين وستين للهجرة.

قام بتجهيزه وتغسيله. وتكفينه. والصلاة عليه ودفنه ولده خاتم الأوصياء المهدي المنتظر. عجل الله فرجه. وسهل الله مخرجه. وجعلنا من أعوانه وأنصاره.

نتحدث حول هذا الإمام. في فصلين.

الفصل الأول: الظروف.

ابتلي الإمام العسكري عليه السلام بحكّام طغاة استبدوا بالحكم ظلماً وجوراً، وضيّقوا عليه أشد التضييق، فقد كان هؤلاء الظلمة يخالفون الموازين الشرعية، ولا يراعون الحلال والحرام، وعانى الإمام في حكمهم ألواناً رهيبةً من الجور والاستبداد فقد أشاعوا الفسق والفجور في أوساط المسلمين. وهذا ما يؤكِّده تاريخ ملوك الأمويين والعباسيين والعثمانيين ومن تبعهم إلى يومنا هذا، ، وقد تجرع منهم أشدّ أنواع الظلم، كان منهم:

المعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، والمهتدي، والمعتمد.

وكل هؤلاء الطغاة يشهد تاريخهم عليهم بالظلم والاستبداد، والقتل والقهر لشيعة أهل البيت عليهم السلام، لذلك كانت الظروف التي عاشها الإمام العسكري ظروفاً حرجةً جدًّا، بالنسبة إلى نفس الإمام عليه السلام وحرجة بالنسبة الى الشيعة والموالين للإمام عليه السلام.

وقد تعرض الإمام عليه السلام إلى أصناف العذاب فهذا المتوكل يأمر بسجن الإمام الحسن العسكري عليه السلام والضغط عليه ضغطاً متزايداً، وفرض على الإمام عليه السلام الإقامة الجبرية في منطقة العسكر، والمراقبة من قبل عيون الحكومة، وإحاطة داره بقوى مكثفة تحصي عليه أنفاسه، وتمنع العلماء والفقهاء وسائر الشيعة من الاتصال به.

وذاك المعتز بالله قد سعى دائماً في قتل الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأما المعتمد على الله وهو ابن المتوكل، وهو الذي قضى على الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالسم، وكم لاقى الإمام عليه السلام في عهده من الظلامات..

وربما اجتمع جمع من العباسيين لتعذيب الإمام عليه السلام وهو في سجونهم، كما ورد أنَّه دخل العباسيون على صالح بن وصيف عندما حُبس أبو محمد ـ العسكري ـ عليه السلام، فقالوا له: ضيّق عليه ولا توسّع[1].

وربما سلّموا الإمام عليه السلام لأحد جلاوزتهم ليسجنه ويعذبه، وربما رموا الإمام عليه السلام إلى السباع ليأكلنه!

ورد أنّه سُلم أبو محمد ـ العسكري ـ عليه السلام إلى نحرير، وكان يضيّق عليه ويؤذيه، فقالت له امرأته: اتق الله فإنَّك لا تدري من في بيتك، وذكرت له صلاحه وعبادته، وقالت: إنّي أخاف عليك منه.

فقال: والله لأرمينه للسباع. ثم استأذن في ذلك فأذن له، فرمى به إليها ولم يشكوا في أكلها له، فنظروا إلى الموضع ليعرفوا الحال، فوجدوه عليه السلام قائماً يصلي وهي حوله، فأمر بإخراجه إلى داره[2].

وقد تكرر حبس الإمام الحسن العسكري عليه السلام من قبل طغاة العباسيين، كما سبق بعض الإشارة إلى ذلك، فكل من تصدى منهم للحكم لم يكتفِ بما كان فيه الإمام عليه السلام من الإقامة الجبرية في سامراء وكثرة العيون عليه، بل كان يحبس الإمام عليه السلام بين حين وآخر، للتضييق الأكثر عليه.

وربما حبسوا مع الإمام عليه السلام بعض أخوته وذويه. وربما حبسوا الإمام عليه السلام مع بعض شيعته وأصحابه.

وكانوا يجعلون في السجن بعض جواسيسهم ليكتب عنهم.

وكان من سياسة طغاة بني أمية وبني العباس ومن قبلهم ممن غصب الخلافة، ملاحقة شيعة أمير المؤمنين عليه السلام في كل مكان وزمان، وبكل قساوة وجرأة، فسجنوهم وعذّبوهم وقتلوهم ومثّلوا بهم وأحرقوا أجسادهم، وربما دفنوهم أحياءً وخاصة في عهد العباسيين، فكم بنوا من قصور على أجسادهم الطاهرة، وكم جعلوهم أحياءً في الاسطوانات وبنوا عليهم[3].

يقول أحمد بن عبيد الله بن خاقان نقلاً عن أبيه: وهما من ولاة بني العباس ومن أعداء أهل البيت عليهم السلام: إنّ السلطان أعزه الله! جرّد سيفه وسوطه في الذين زعموا أنَّ الإمام الهادي والعسكري أئمةً ليردهم عن ذلك فلم يقدر عليه[4].

ومما يبين لنا بعض تلك الظروف القاسية، ما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام حيث

---

(١) روضة الواعظين: ج١، ص٢٤٨-٢٤٩ م.

(٢) الإرشاد: ج٢، ص٣٣٤-٢٣٥.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص١١١ .

(٤) راجع الكافي: ج١، ص٥٠٥.

يأمر بعض شيعته بأن لا يُعرّف نفسه ولا يكشف عن معتقده، بل يسكت حتى على شتم الإمام عليه السلام لكي لا يُعتقل. روي أنّه أرسل الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى داود بن الأسود: «إذا سمعت لنا شاتماً فامض لسبيلك التي أمرت بها، وإياك أن تجاوب من يشتمنا، أو تعرّفه من أنت»[1].

ولأجل أن نكشف جانباً من تلك الضغوطات والاضطهاد والكبت والإرهاب. التي كانت تحيط بالإمام وكانت تحيط بشيعة الإمام وحتى نعرف دور من سبقنا من شيعة أهل البيت في أية ظروفٍ عاشوا وكيف أوصلوا هذه الأمانة وهذه النعمة التي هي أعظم النعم علينا ألا وهي نعمة الإيمان.

فهذه النعمة العظيمة التي نحن الآن متنعمون بها، ما وصلت إلينا مجاناً، بل بتضحيات أئمتنا عليهم السلام وآبائنا وأجدادنا فقد تحملوا الكثير، حتى أوصلوا هذه الأمانة إلينا.

ويمكن لنا أن نختصر سمات العصر الذي عاشه الإمام العسكري عليه السلام بما يلي:

- تميز هذا العصر بغلبة الأتراك والمغاربة وغيرهم من الموالي وتدخّلهم في مقاليد الحكم، وكان أول ذلك في عصر المعتصم الذي اعتنى منذ توليه الحكم سنة ٢١٨ هـ، باقتناء الترك، فبعث إلى سمرقند وفرغانة والنواحي في شرائهم، وبذل فيهم الأموال، وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب، فكانوا يطردون خيلهم في بغداد ويؤذون الناس، وضاقت بهم البلد، فاجتمع إليه أهل بغداد وقالوا: إن لم تخرج عنا بجندك حاربناك، فكان سبب بنائه سرّ من رأى وتحوّله إليها سنة: ٢٢٠ وقيل: ٢٢١ هـ[2] .
- السمة الغالبة في حياة سلاطين هذا العصر ومن سار في ركابهم من القادة والولاة والأمراء والقضاة هي الاستئثار ببيت المال، وتسخيره لخدمة مصالحهم الخاصة، وحرمان الأغلبية الساحقة منه.
- ميل العباسيين إلى البذخ والترف واللهو، كان رجال الدولة وعلى رأسهم السلطان ينفقون الأموال الطائلة لشؤونهم الخاصة كاقتناء الجواري والسراري والقيان والمغنين وجميع وسائل اللهو والمجون المتاحة في ذلك العصر، وكانوا يسرفون في الانفاق على الشعراء وبناء القصور، بينما تعيش الأكثرية الساحقة من الناس على الكفاف، وينهكها الجوع والفقر، وتفتك بها الأمراض والأوبئة.
- تردّي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية؛ نتيجة اضطراب السلطة وضعفها وسوء إدارتها أن تركزت الثروات بيد قلّة من أبناء الأُسرة الحاكمة والمتنفّذين في السلطة، فتفشّى التفاوت الطبقي بين أبناء الأمة تبعاً للولاء والقرب والبعد من البلاط وحاشيته، فهناك قلّة متخمة تستأثر برأس المال والثراء الفاحش وتبدّده في حياة البذخ والترف لإشباع شهواتهم وملاذّهم، وغالبية مسحوقة تعيش حياة البؤس والفقر

(١) المناقب: ج٤، ص٤٢٨.

(٢) تاريخ الخلفاء / السيوطي: ٢٥٩، معجم البلدان / ياقوت الحموي ـ المجلد الثالث: ١٠ ـ ١٣ .

والحرمان، وتنهكها النزاعات والحروب، وتئن تحت وطأة الغلاء وفتك الأوبئة ومختلف الأمراض والكوارث الطبيعية التي ازدادت في هذا العصر، مما ترك آثاراً وخيمة على بنية المجتمع وسلوك أفراده.

- التدهور وعدم الاستقرار، سادت مظاهر الفوضى والشغب والاضطراب في هذا المقطع التاريخي من عمر الدولة العباسية، تتمثل في انتقاض أطرافها، واستقلال بعض ولاياتها، والعدوان الأجنبي على بعض أعمالها، وكثرة الثورات الداخلية وعلى رأسها ثورة الزنج والخوارج إلى غير ذلك من مظاهر عدم الاستقرار السياسي الأمني الناجمة عن ضعف القدرة المركزية للسلطة، وتلاشي هيبتها، وتعدد الإرادات السياسية فيها لتدخل قادة الجند الأتراك والمغاربة في شؤونها، وإشاعتهم الظلم والقهر والاستبداد.

ولأروي لكم رواية تُبيّن حالة الإمام عليه السلام وحال شيعته في ذلك الوقت تكشف جانباً من جوانب الضغط الذي كان يعيش فيه الإمام، وكان يعيش فيه المؤمنون، وهذه الرواية هي: قال الإمام العسكري عليه السلام لشيعته في سنة ستين ومائتين:

«أمرناكم بالتختم في اليمين ونحن بين ظهرانيكم، والآن نأمركم بالتختم في الشمال لغيبتنا عنكم إلى أن يظهر الله أمرنا وأمركم؛ فإنّه من أدل دليل عليكم في ولايتنا أهل البيت». فخلعوا خواتيمهم من أيمانهم بين يديه ولبسوها في شمائلهم، وقال عليه السلام لهم: «حدثوا بهذا شيعتنا»[1].

هذه الرواية نوضحها ضمن النقاط:

النقطة الأولى: التختم باليمين من السنن التي كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يقوم بها وقد أكَّد أهل البيت عليهم السلام على المسلمين أن يتأسوا بها(**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْاخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً**)[2](وقد أكّدت على التختم باليمين الكثير من الروايات منها: الإمام الحسن العسكري عليه السلام في حديث طويل إلى أن قال عليه السلام: " إنَّ الله عز وجل أوحى إلى جدي رسول الله صلى الله عليه وآله إني خصصتك وعليّا وحججي منه إلى يوم القيامة وشيعتكم بعشر خصال: صلاة إحدى وخمسين، وتعفير الجبين، والتختم باليمين، والاذان والإقامة مثنى مثنى، وحي على خير العمل، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في السورتين، والقنوت في ثاني كل ركعتين، وصلاة العصر والشمس بيضاء نقية، وصلاة الفجر مغلسة، وخضاب الرأس واللحية بالوسمة"[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: " إذا كان يوم القيامة، تقبل أقوام على نجائب من نور، ينادون بأعلى أصواتهم الحمد

(١) تحف العقول: ص٤٨٨.

(٢) الأحزاب:٢١.

(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٣، ص٢٩٠.

لله الذي أنجزنا وعده، الحمد لله الذي أورثنا أرضه نتبوأ من الجنة حيث نشاء، قال: فتقول الخلائق إلهنا وسيدنا، بما نالوا هذه الدرجة؟ فإذا النداء من قبل الله عز وجل: بتختمهم باليمين"[1].

وعن الإمام جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام :" يا علي، تختم باليمين فإنَّها فضيلة من الله عز وجل للمقربين، قال: بم أتختم يا رسول الله؟ قال: بالعقيق الأحمر فإنّه أوّل جبل أقرّ لله بالربوبية، ولِيَ بالنبوة، ولكَ بالوصيّة، ولولدك بالإمامة، ولشيعتك بالجنة، ولأعدائك بالنار"[2] .

النّقطة الثانية: يبدو أنَّ الإمام الحسن العسكري وشيعته في ذلك الوقت كانوا يعيشون حالة من التقية، بحيث معرفة أي شخص أنّه من أتباع أهل البيت عليهم السلام قد يعرضه للقتل أو التعذيب أو السجن بحيث إنَّ الإمام عليه السلام أمرهم بجعل التختم في اليسار مع ما له من الثواب العظيم عند الله تعالى كما مر في الحديث السابق، وهذا حكم واضح بالتقية التي ركز عليها المعصومون عليهم السلام في بعض الأزمنة التي مرت عليهم.

المحور الثاني: الأدوار

وأمام هذه الظروف قام الإمام العسكري عليه السلام بأدوار:

الدور الأول: الدفاع عن القرآن الكريم، فقد حاول الطغاة وجندوا لذلك الأموال والامكانات لأجل تحريفه ونقضه، وبيان ذلك للناس، غير أن الإمام عليه السلام استطاع أن يردّ كيدهم وشبهاتهم، وأن يؤلّف في هذا المجال تفسيراً يكون نوراً يهتدي به الناس في الظلمات.

روي: أنَّ إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه، فأخذ في تأليف كتاب سمّاه بـ (تناقض القرآن)، وربما كان ذلك بإيعاز من الحكومة آنذاك؛ لأنَّهم أرادوا القضاء على الكتاب والعترة معاً، فشغل الكندي نفسه بذلك وتفرد به في منزله، وأن بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقال لـه أبو محمد عليه السلام: "أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟".

فقال التلميذ: نحن من تلامذته، كيف يجوز منّا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟. فقال لـه أبو محمد عليه السلام: أتؤدّي إليه ما ألقيه إليك؟.

قال: نعم. قال عليه السلام: "فصر إليه وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل: قد حضرتني مسألة أسألك عنها، فإنّه يستدعي ذلك منك، فقل لـه: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلّم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنّك ذهبت إليها.

فإنَّه سيقول لك إنَّه من الجائز؛ لأنَّه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل لـه: فما يدريك لعله قد أراد غير

---

(١) مستدرك الوسائل الميرزا النوري، ج٣، ص٢٩١.

(٢) وسائل الشيعة ، ج ٥، ص ٨٢.

الذي ذهبت أنت إليه فيكون واضعاً لغير معانيه».

فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة.

فقال لـه: أعد عليَّ. فأعاد عليه. فتفكر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر، فقال: أقسمت إليك إلّا أخبرتني من أين لك؟.

فقال: إنَّه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك.

فقال: كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرفني من أين لك هذا؟.

فقال: أمرني به أبو محمد العسكري عليه السلام.

فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلَّا من ذلك البيت.

ثم إنّه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه[1].

ولا يخفى أنَّ الإمام عليه السلام قد طرح عليه مسألة علمية هي من أسس المسائل المنطقية؛ لأنّ التضاد والتناقض لا يكون إلَّا بشروط مذكورة في المنطق، فإذا كان الكلامان صريحين في المرادين المتضادين أو المتناقضين كان مورداً للتناقض والتضاد مع رعاية سائر الشروط، أما إذا لم يكن كلاهما أو أحدهما صريحاً في المراد، فالعقلاء يحتملون إرادة خلاف الظاهر، ويحملون غير الصريح على الصريح، أو يحملون الظاهر على الأظهر، أو ما ليس فيه ظهور على الظاهر، أو غير ذلك مما هو مذكور في محله.

وإذا كانا ظاهرين فيلتمسون القرائن الخارجية والداخلية للجمع بينهما، فإنَّ الجمع مهما أمكن أولى من الطرح، على ما هو مبين في بحث التعادل والتراجيح من الأصول.

ويبدو أنَّ الكندي هذا كان يتمتّع ببعض الإنصاف، فلما عرف بخطئه تدارك الأمر وأحرق ما كتبه من الأباطيل، وذلك ببركة كلام الإمام عليه السلام حيث نسف بهذه الحجة الدامغة شبهة الكندي، وسدّ فيها كلّ ثغرة يسلك منها لإثبات التناقض في كتاب الله العظيم الذي: ﴿**لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[2] فإن ذلك إنما كان حسب ما زعمه الكندي من المعنى، ويجوز أن يكون لـه معنى آخر لم يفهمه، ولم يتوصّل إلى معرفته يرتفع به التناقض، ولا يبقى حينئذ أي مجال للإشكال.

الدور الثاني: فضح النّصارى والقساوسة

كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام كآبائه الطاهرين عليهم السلام سدًّا منيعًا أمام مخطّطات أعداء الإسلام، والشبهات

---

(١) انظر بحار الأنوار: ج١٠، ص٣٩٢.

(٢) سورة فصلت: ٤٢.

التي كان يلقيها الكفار والمشركون والزنادقة.

فقد كشف عليه السلام النّقاب عن شعوذة راهب أراد أن يضلل المسلمين، ويشكّكهم في دينهم، وبيان ذلك حسبما ورد في التاريخ وكتب الحديث:

إنَّ الناس في سامراء أصابهم قحط شديد، فأمر المعتمد العباسي ـ وقيل المتوكل[1] ـ بالخروج إلى الاستسقاء ثلاثة أيام فخرجوا ولم يغاثوا بالمطر، وخرج النصارى ومعهم راهب كلّما مدّ يده إلى السماء هطلت، وفعل ذلك مكرراً.

فشكّ بعض الجهلة في دينهم، وارتدّ البعض الآخر، وشقّ ذلك على المعتمد، ففزع إلى الإمام العسكري عليه السلام وكان الإمام في سجنه! وقال لـه: أدرك أمّة جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يهلكوا.

فقال لـه الإمام عليه السلام: «يخرجون غداً، وأنا أزيل الشك إن شاء الله».

وأخرجه المعتمد من السجن، وطلب الإمام عليه السلام أن يُطلق سراح أصحابه وشيعته من السجن، فاستجاب لـه وأخرجهم.

وفي اليوم الثاني خرج الناس للاستسقاء، فرفع الراهب يده إلى السماء فغيمت ومطرت، فأمر الإمام عليه السلام بإلقاء القبض على يده وأخذ ما فيها، وإذا فيها عظم آدمي فأخذه منه وأمره بالاستسقاء، فرفع يده إلى السماء، فزال ما فيها من غيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك، وبادر المعتمد قائلاً: ما هذا يا أبا محمد؟.

قال الإمام عليه السلام: «هذا عظم نبي ظفر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كشف عظم نبي تحت السماء إلّاهطلت بالمطر...".

فزالت الشبهة، وانتفى الشك[2].

وفي رواية: ثم صلى الإمام عليه السلام صلاة الاستسقاء بالناس فمطرت السماء كثيراً وارتفع القحط والغلاء.

الدور الثالث: التركيز على ولاية أهل البيت عليهم السلام

كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام يؤكّد كثيراً ولاية أهل البيت عليهم السلام ، وضرورة التمسك بالعترة الطاهرة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وآله عِدلاً للقرآن، كما في حديث الثقلين المتواتر والمروي عند الفريقين[3].

قال الإمام العسكري عليه السلام: " قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية، ونورنا السبع الطرائق بأعلام

---

(١) انظر كشف الغمة: ج٢، ص٤٢٩.

(٢) راجع الخرائج والجرائح: ج١، ص٤٤١-٤٤٢ .

(٣) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» ـ وسائل الشيعة: ج٢٧، ص٣٣-٣٤.

الفتوة، فنحن ليوث الوغى، وغيوث الندى، وفينا السيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والعلم في الآجل، وأسباطنا خلفاء الدين، وحلفاء اليقين، ومصابيح الأمم، ومفاتيح الكرم، والكليم لبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة، وشيعتنا الفئة الناجية، والفرقة الزاكية، صاروا لنا رداءً وصوناً، وعلى الظلمة إلباً.. وسينفجر لهم ينابيع الحيوان، بعد لظى النيران، لتمام الرواية، والغواشي من السنين..."[1].

قال أبو هاشم: كنت عند أبي محمد ـ العسكري عليه السلام ـ فسأله محمد بن صالح الأرمني عن قول الله: **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا)**[2]؟.

قال أبو محمد عليه السلام: "ثبتت المعرفة ونسوا ذلك الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدرِ أحد من خالقه، ولا من رازقه".

قال أبو هاشم: فجعلت أتعجب في نفسي من عظيم ما أعطى الله وليه وجزيل ما حمله.

فأقبل أبو محمد عليه السلام عليَّ فقال: " الأمر أعجب مما عجبت منه يا أبا هاشم وأعظم، ما ظنك بقوم من عرفهم عرف الله، ومن أنكرهم أنكر الله، فلا مؤمن إلَّا وهو بهم مصدق، وبمعرفتهم موقن"[3].

وروى محمد بن الريان، عن العسكري عليه السلام، قال: جعلت فداك روي لنا: أن ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله من الدنيا إلا الخمس؟. فجاء الجواب: «إنَّ الدنيا وما عليها لرسول الله صلى الله عليه وآله»[4].

الدور الرابع: الحفاظ على شيعة أهل البيت عليهم السلام

كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام على رغم تلك الظروف الصعبة التي عاشها يهتم بشيعته دائماً، فكان يعلّمهم القرآن وأحكامه، ويُبيّن لهم التعاليم الإسلامية، والأمور الشرعية، وما ينفع دينهم ودنياهم، وما يضمن لهم سعادة الدارين. وقد حافظ الإمام عليه السلام على تراث رسول الله صلى الله عليه وآله من الضياع.

كما كان الإمام العسكري عليه السلام يدعو لشيعته ويتضرع إلى الله عزوجل في خلاصهم من طغاة بني العباس.

قال عليه السلام في بعض رسائله لشيعته: «أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله، صلوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم؛ فإنَّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق

(١) بحار الأنوار: ج٢٦، ص٢٦٤-٢٦٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٣) كشف الغمة: ج٢، ص٤١٩-٤٢٠.

(٤) الكافي: ج١، ص٤٠٩.

في حديثه، وأدّى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا شيعي، فيسرني ذلك.

اتقوا الله وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً. جروا إلينا كل مودة، وارفعوا عنّا كل قبيح؛ فإنّه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن ذلك.

لنا حق في كتاب الله، وقرابة من رسول الله ﷺ، وتطهير من الله، لا يدعيه أحد غيرنا إلَّا كذاب.

أكثروا ذكر الله، وذكر الموت، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي ﷺ؛ فإنَّ في الصلاة على رسول الله ﷺ عشر حسنات، احفظوا ما وصيتكم به، واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام"[1].

وكتب الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري: «سترنا الله وإياك بستره، وتولاك في جميع أمورك بصنعه، فهمت كتابك يرحمك الله، ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيت نرق على أوليائنا، ونسر بتتابع إحسان الله إليهم وفضله لديهم، ونعتد بكل نعمة ينعمها الله تبارك وتعالى عليهم، فأتم الله عليك يا إسحاق وعلى من كان مثلك ممن قد رحمه الله وبصره بصيرتك نعمته، وقدر تمام نعمته دخول الجنة، وليس من نعمة وإن جل أمرها وعظم خطرها إلا والحمد لله تقدست أسماؤه عليها مؤد شكرها...»[2].

الدور الخامس: التركيز على الشعائر الدينية

كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام كآبائه الطاهرين عليهم السلام يؤكِّد الشعائر الدينية بما فيها الشعائر الحسينية، وإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام وإقامة العزاء عليهم وحتى شق الجيب في مصابهم؛ فإنَّه يجوز ذلك في مصاب المعصوم عليه السلام.

روى الشيخ الكليني رحمه الله في (الكافي الشريف)، بسنده عن جماعة من بني هاشم ـ منهم الحسن بن الحسن بن الحسن الأفطس: (أنَّهم حضروا يوم توفي محمد بن علي بن محمد باب أبي الحسن عليه السلام يعزونه ـ إلى أن قال ـ إذ نظر إلى الحسن بن علي عليه السلام قد جاء مشقوق الجيب حتى قام عن يمينه)[3]، الحديث.

وقال الصدوق رحمه الله: "لما قُبض علي بن محمد العسكري عليه السلام رؤي الحسن بن علي عليه السلام قد خرج من الدار وقد شق قميصه من خلف ومن قدام"[4].

وروى الأربلي في (كشف الغمة) من كتاب (الدلائل) لعبد الله بن جعفر الحميري، عن أبي هاشم الجعفري، قال:

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٥، ص٣٧٢.

(٢) انظر تحف العقول: ص٤٨٤-٤٨٦.

(٣) الكافي: ج١، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج١، ص١٧٤ .

" خرج أبو محمد ـ العسكري عليه السلام ـ في جنازة أبي الحسن عليه السلام وقميصه مشقوق. فكتب إليه ابن عون: من رأيت أو بلغك من الأئمة عليهم السلام شق قميصه في مثل هذا ؟. فكتب إليه أبو محمد عليه السلام: «وما يدريك ما هذا؟ قد شق موسى بن عمران على هارون عليهما السلام»[1].

الدور السادس: التمهيد للغيبة

شيئاً فشيئاً كانت الشيعة تتمهد لغيبة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، وذلك لأنَّ الإمام الهادي عليه السلام، ومن بعده الإمام الحسن العسكري عليه السلام كانا يعيشان في منطقة العسكر وتحت رقابة مشددة من الحكومة، فلم تتمكن الشيعة من رؤيتهم واللقاء بهم إلَّا قليلاً. وربما كان الإمام عليه السلام وللظروف الصعبة آنذاك يخفي نفسه عن البعض، أو لا يُسمح له بلقاء الناس.

نقل المسعودي: أنَّ الإمام علي الهادي عليه السلام كان يختفي عن كثير من شيعته إلَّابعض الخواص، وكان الإمام العسكري عليه السلام أحياناً يكلم بعض مواليه من خلف ستار وما أشبه.

وربما كان هذا تمهيداً لغيبة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف).

فإنَّ الله تعالى أراد أن يحفظ خاتم الأوصياء والحجج بغيبته؛ لأنَّ طواغيت العباسيين صمّموا على القضاء على أهل بيت النبوة عليهم السلام ليقضوا على الإسلام، فحبسوا الأئمة عليهم السلام وذويهم وقتلوهم بالسيف والسم، وجعلوا العيون في بيت الإمام العسكري عليه السلام وعلى نسائه، حتى لا يولد الإمام المهدي عليه السلام.

وفي الحديث عندما ولد المهدي عليه السلام قال الإمام العسكري عليه السلام: " زعمت الظلمة أنَّهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل كيف رأوا قدرة القادر، وسماه المؤمّل"[2].

حيث يستفاد منه أنَّ الطغاة قتلوا الإمام عليه السلام حتى لا يولد المهدي عليه السلام.. ولكن وُلد الإمام عليه السلام ...

ولما علموا بالمولد الشريف أرسلوا جيشاً لاعتقال الإمام عليه السلام وقتله، فغيّبه الله عن الأنظار إلى يوم يأذن الله له بالفرج، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

وكان الإمام العسكري عليه السلام وقبله الإمام الهادي عليه السلام يمهدون للشيعة مسألة غيبة الإمام الحجة المنتظر (عجل الله فرجه الشريف).

عن محمد بن عثمان العمري، قال: سمعت أبي يقول: سُئل أبو محمد الحسن بن علي وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام: أنَّ الأرض لاتخلو من حجة الله على جميع خلقه إلى يوم القيامة، وأنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. فقال: «إنَّ هذا حق كما أنَّ النهار حق». فقيل له: يا ابن رسول الله، فمن الحجة

---

(١) كشف الغمة: ج٢، ص٤١٨.

(٢) الغيبة للطوسي: ص٢٣١.

والإمام بعدك؟. فقال: «ابني محمد هو الإمام والحجة بعدي، فمن مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقّاتون، ثم يخرج فكأنّي أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة»[1].

وعن أحمد بن إسحاق، قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام يقول: «الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خَلقاً وخُلقاً، يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته ثم يظهره فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»[2].

---

(١) كشف الغمة: ج٢، ص٥٢٨.

(٢) بحار الأنوار: ج٥١، ص١٦١.

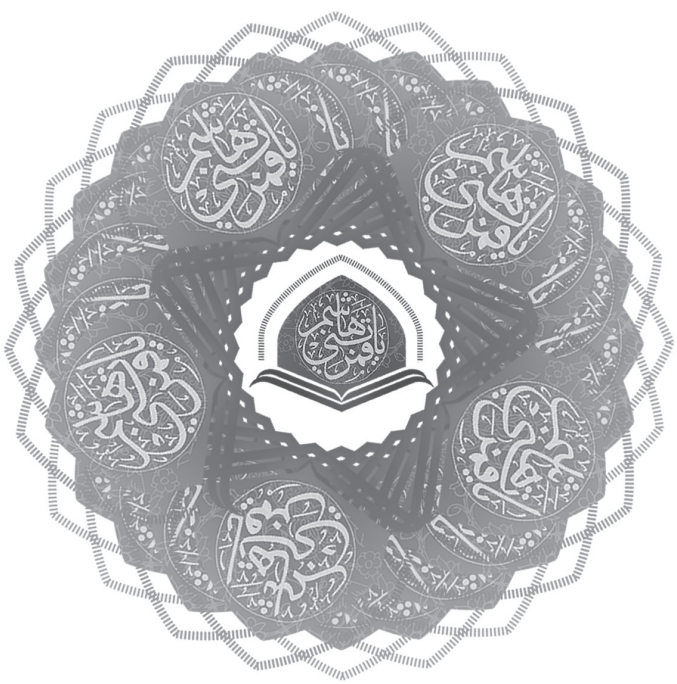

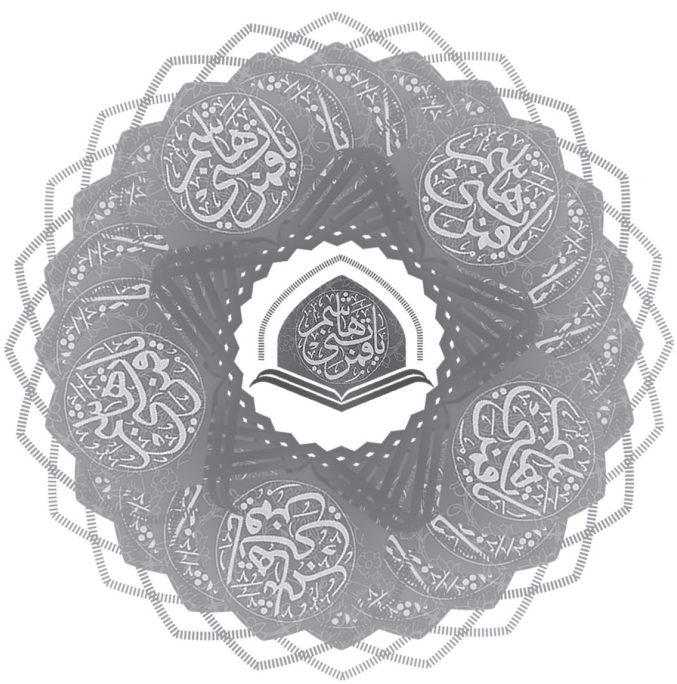

الدعوات المهدوية الكاذبة

الشيخ فوزي آل سيف

قال الله تبارك وتعالى:(**قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ**) يونس/ ٥٩.

وروي عن المفضل بن عمر أنَّه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: " إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين: يرجع في أحدهما إلى أهله، والأخرى يقال: هلك في أي واد سلك، قلت: كيف نصنع إذا كان ذلك؟ قال: إن ادّعى مدّع فاسألوه عن تلك العظائم التي يجيب فيها مثله".[1]

تتناول هذه الصفحات، الملامح المشتركة في الدعوات المهدوية الكاذبة، وكيف يتعرف المؤمن على زيفها، ونقدم لذلك بمقدّمتين مهمّتين:

الأولى: إنّ قضية الاعتقاد بالإمام المهدي عجل الله فرجه بصفاته (أنَّه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأنَّه المذخر للبشرية ليملأ أرضها قسطاً وعدلاً) هو محل اتفاق بين المسلمين جُلِّهم، لو لم يكن كلهم.

نعم يوجد اختلاف في بعض التفاصيل بين المدرستين الرئيسيتين لدى المسلمين؛ مدرسة أهل البيت الإمامية ومدرسة الخلفاء، يتمثّل ذلك الاختلاف في أنَّه هل وُلد وهو حيٌّ موجود ويدخل بقاؤه ضمن الإرادة الإلهية كما يذهب إليه الإمامية؟ أو أنَّه لم يولد بعد وإنَّما يدبر الله أمره إذا شاء ويولد في آخر الزّمان، فهو ليس موجودًا الآن. وأما أصل الاعتقاد به بالمقدار المتقدّم فلا خلاف فيه[2].

الثانية: أنَّه وجد الكثير من الدعوات الكاذبة المنتحلة لفكرة المهدوية في العالم الإسلامي، وهذه ابتدأت منذ عصور الإسلام الأولى؛ أي من القرن الثاني الهجري، واستمرّت هذه الادعاءات إلى الأزمنة المتأخّرة والمعاصرة، هذا من النّاحية التاريخية .وكذلك من النّاحية الجغرافية، فقد تعدّدت أماكن هذه الدّعوات في أماكن كثيرة، وتمدّدت ما بين حجاز الجزيرة العربية وحتى بلاد المغرب العربي مرورًا بالعراق ومصر وبلاد الشام والسودان وأفريقيا الجنوبية .

---

(١) غيبة النعماني ١/ ١٥٧.

(٢) لهذا عندما أصدر أحد القضاة في دولة قطر كتاباً بعنوان: لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر، فقد انبعث علماء كثيرون من المؤسسة الدينية في المملكة العربية السعودية وفي مصر وغيرها للإنكار عليه.

وربما يتصور البعض أنَّ هذه الدعوات هي من الأدلّة على عدم واقعية الاعتقاد بالمهدي[1] ونقول إنَّ الأمر بالعكس تماماً، فما من فكرة من الأفكار العظيمة والعقائد العالية إلّا وادّعاها بعض الكَذَبة، حتى الاعتقاد بالله الخالق فلقد ادّعى نمرود وفرعون ذلك[2]، وادّعى النّبوة مدّعون كاذبون، فهل تبرر تلك الادعاءات الكاذبة تكذيب الاعتقاد بالله أو بالأنبياء والمرسلين؟ بل إنَّنا نجد أنَّ هذه الادعاءات الكاذبة هي دليل على صدق أصل الدعوى، وأنَّ هؤلاء يستغلّون ما هو مرتكز من العقائد السلمية في عقول الناس وقلوبهم، ويقدّمون مصاديق مزيّفة عنها، إنَّ ذلك ليدل على أنَّ الاعتقاد بأمر المهدي هو اعتقاد راسخ وجازم، وعام لدى المسلمين في مختلف أدوار تاريخهم، وما ذاك إلَّا بسبب ما أخذوه عن أئمّتهم في الدّين، وعلمائهم في العقيدة جيلا بعد جيل!.

نعم يأتي بعض الكاذبين وأصحاب المصالح الشّخصية فيستغلّون هذا الاعتقاد الراسخ، ويقدّمون أنفسهم كممثلين لهذه العقيدة!

الدعوات المهدوية تاريخياً:

يصعب على الباحث أن يقوم بإحصاء جميع الادعاءات الكاذبة في القضية المهدوية؛ لكثرتها، ولأنَّ بعضها يكون في حدودٍ ضيّقة، ولا يلقى قبولاً كثيراً فيموت الادعاء في منطقته الجغرافية، فلا يمكن رصد حركة أصحابها، بالإضافة إلى عدم الأهمّيّة في ذلك فإنَّ المشتركات بين هذه الدعوات الكاذبة كثيرة، مما يقلّل الحاجة إلى استعراض (كل) هذه الادعاءات.

ولذلك سوف نقتصر على ذكر بعضها، وما الذي ينبغي للمؤمنين عمله عند حصولها .

١/ ربما يكون من أقدم الإدعاءات في الموضوع المهدوي ما كان في زمن الإمام الصادق ﷺ . والطّريف فيه أنَّ الطرفين المتواجهين والمتعادين قد نسبا إلى المهدي المنتظر، فمن جهة ادعي لمحمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط أنَّه المهدي، واستفيد في ذلك مما جاء من الأحاديث من أنَّه من ولد فاطمة ومن نسل النبي، وهو ينطبق على محمد باعتبار أنَّ جده الحسن المجتبى، كما أنَّ اسمه محمد، واسم أبيه عبد الله (وهو موجود في النسخة الأخرى غير الإمامية حيث إنَّه لا يوجد في روايات الإمامية أنَّ اسم أبيه كاسم أبي، بخلاف روايات مدرسة الخلفاء، وضمن هذا الجو قام الحسنيون، وبالذات والد محمد وهو عبد الله بالدعوة إليه، لكي ينهض بالثورة ضدّ العبّاسيين الذين (سرقوا)جهود العلويين وتضحياتهم ضدّ بني أميّة بدءًا من ثورة الحسين ﷺ، واستفادوا من الشعار الذي كان يستقطب الناس وهو الدّعوة إلى (الرضا من آل محمد). وسعى والد محمد

---

(١) انطلق البعض في تكذيب هذه العقيدة من النماذج المدعية والكاذبة !

(٢) قال الأول: أنا أحيي وأميت" وقال الثاني أنا ربكم الأعلى.

إلى عقد مؤتمر قبيل سقوط الدولة الأموية ؛ لتتم مبايعة محمد ابنه إمامًا ووالِيًا، لكن العباسيين استطاعوا أن يختطفوا الحركة وأن يغيّروا مسارها لتصبح عبّاسية، وعلى هذا الأساس فقد جاء أبو العباس السفاح خليفة، ثم أبو جعفر المنصور!.

كان من نقاط قوة محمد بن عبد الله المعروف بالنّفس الزّكية، هو أنّه قرشي، وأنّه من نسل النبي، وقد نهض يأمر بالمعروف، وينكر المنكر وهذه صفات المهدي، لكن صفة أنَّه التاسع من ولد الحسين، لا تنطبق عليه فلا هو من ولد الحسين ولا هو تاسع! وهذا هو الذي دعا الإمام جعفر الصادق عليه السلام إلى أن يخبر المجتمعين من بني هاشم (بفرعيهم العباسي والعلوي) إلى أنَّ محمداً النّفس الزّكية إن كان غرضه التحرك لمقاومة المنكر فلا بأس به، لكنه إذا كان يتحرّك على أساس أنَّه هو المهدي الذي يظهره الله على أعدائه فهذا لا يصح.

وكانت النّتيجة أنَّ ثار محمد النّفس الزّكية وقد واجهه المنصور العبّاسي في واقعة معروفة قرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، انتهت بمقتل النّفس الزّكيّة، وعدد غير قليل من أتباعه.

٢/ العجيب أنَّ أبا جعفر المنصور (عبد الله بن مُحمد بن عَلي بن عبد الله بن العباس) هو نفسه حاول أن يتقمّص ابنه شخصية المهدي، فسمّى ابنه الأكبر (محمداً) ولقبه بـ (المهدي) والمنصور نفسه اسمه عبد الله، فصار بهذا يمتلك الاسم: محمد بن عبد الله .. وطبقًا لما هو موجود في أحاديث مدرسة الخلفاء فإنَّ المهدي (اسمه اسم رسول الله واسم أبيه اسم أب رسول الله) فيكون محمد بن عبد الله، وأعطاه لقب (المهدي) وهو من قريش!! وكان ذلك التزوير محاولة لإيهام الناس بأنَّ هذا هو المهدي الموعود المنتظر.

وبالفعل جاء بعد أبيه المنصور وحكم مدّة عشر سنوات، كان فيها المثال الأكبر لطغيان القوة والشره إلى الدّماء!

٣/ وكانت هناك محاولة فاشلة في إطار بعض وكلاء الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، انتهت بهم إلى تأسيس مذهب جديد هو الواقفية، فإنَّ هؤلاء لما طمعوا في ما تحت أيديهم من الأموال التي اجتمعت لديهم أيّام كان الإمام مسجونًا فيها، واستشهد الإمام الكاظم فيما بعد زعموا أنَّه لم يمت، وأنَّه القائم الموعود، وإنَّما غاب عن الناس، وبالتالي فلا يخلفه أحد، ومن ثَمَّ (وقفوا) عليه ولم يسلموا بالإمامة لابنه علي بن موسى الرضا عليه السلام .

إلَّا أنَّ هذه الدّعوى ماتت في مهدها، حيث إنَّ كبار وكلاء الإمام الكاظم فضحوا رؤساءها وبيّنوا أنَّ مقاصدهم كانت دنيوية بحتة، وأنَّ ما قالوه ليس سوى تمويه على عامّة الناس، وكان تصدّي الإمام الرضا عليه السلام لهم، واضطلاعه بشؤون الإمامة هو الرصاصة الأخيرة التي أنهت وجودهم في الوسط الشيعي .. هذا في المشرق الإسلامي، وفي القرنين الأول والثاني.

٤/ وأما في المغرب الإسلامي، فيذكر المؤرخون أنَّ محمد بن عبد الله بن تومرت (ت حوالي ٥٢٤ هـ) وقد

برز في بداية أمره على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (العملي) ويبدو ـ إذا صحّت نسبة الأفكار إلى كتابه، وصحّت نسبة الكتاب إليه ـ أنَّه جمع عددًا من الأفكار، وبالذات في قضايا العقائد من مناهج مختلفة، ففيما كان معروفًا عنه النزعة الأشعرية، ومخالفة احتكار المذهب المالكي للتديّن في بلاد المغرب، مع ذلك فإنَّه نسب إلى المنهج المعتزلي فيما يرتبط بصفات الله عز وجل، وكذلك نسب إليه أفكار هي أقرب إلى المذهب الإمامي الاثني عشري، فينقل عنه هذه الفقرات التي قِيل إنَّها في كتابه "أعز ما يطلب" مايلي:

«لا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كلّ زمان من الأزمان إلى أن تقوم السّاعة... ولا يكون الإمام إلَّا معصومًا ليهدم الباطل؛ لأنَّ الباطل لا يهدم الباطل... وأنّ الإيمان بالمهدي واجب، وأنَّ من شكّ فيه كافر، وإنّه معصوم فيما دعا إليه من الحق، وإنّه لا يكابر ولا يضاد ولا يدافع ولا يعاند ولا يخالف ولا ينازع، وإنّه فرد في زمانه، صادق في قوله، وإنّه يقطع الجبابرة والدّجاجلة، وإنّه يفتح الدنيا شرقها وغربها، وإنه يملأها بالعدل كما ملئت بالجور، وإن أمره قائم إلى أن تقوم الساعة»[1]..

فمن الواضح أنّ وجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان، يساوي أنَّ الأرض لا تخلو من حجة كما عليه الإمامية، وكذلك الاعتقاد بأنَّ الإمام لا بد أن يكون معصومًا ليهدم الباطل فإنَّ الباطل لا يهدم مثله! وهكذا القول بلزوم الإيمان بالمهدي، وعصمته، وظهوره وانتصاره .

وقد كتب دارسو حياته أنَّه «بدأ يدعو إلى المهدي ويشوق الناس إليه فلمّا أدرك أصحابه فضيلة المهدي ادّعى ذلك لنفسه وقال: «أنا المهدي المعصوم، أنا أحسن الناس معرفة بالله ورسوله»، وغير نسبه الأمازيغي إلى نسب الحسين بن علي حفيد النبي محمد، وبالتالي فإنَّه يلزم الاقتداء به في جميع أفعاله وقبول أحكامه الدينية والدنيوية، وتفويض الأمر إليه في كل شيء».

وقد استطاع من خلال تحشيده لاتباعه أن يؤسّس له دولة بعدما هزم المرابطين، واستمرت حوالي ١٤٨ سنة.

هذه إحدى الحركات التي ادّعى أصحابها المهدوية، وابن تومرت ولو كان قد توجّه إلى بعض الأفكار الصحيحة في مسائل الإمامة والعصمة مما أشرنا إليه آنفًا، إلَّا أنَّ دعواه المهدوية وما قيل من العصمة هو ادّعاء باطل ولا صحة له، فإنَّ الأئمّة (من قريش)، (من ولد الحسين) والمهدي منهم هو التاسع من ولد الحسين ﷺ .

لكن اتباع الناس له ومسايرتهم إيّاه، ونصرهم حركته تشير إلى أنَّ عقيدة المهدي وانتظار الناس له مركوز في وجدان المسلمين، في غرب العالم الإسلامي مثلما هو في شرقه .

٥/ وأمّا السّودان فقد شهدت ظهور محمد المهدي بن عبد الله السوداني (ت ١٣٠٢)، وقد كان معروفاً

(١) السامرائي ؛ د عبد الحميد: دولة الموحدين ١٨٢ / دار الكتب العلمية.

بالتصوّف ومتأثّراً إلى حدٍّ كبيرٍ برجال التّصوّف والعرفان، كما ينقل عنه بقاؤه في الخلاوي الصوفية. وكان يتحسّس من المنكرات والمخالفات للدين، كما قالوا إلى أنّ التقى بشخص ـ سيكون فيما بعد خليفته ـ واسمه عبد الله التعايشي، الذي قال له بأنَّه رأى في المنام أنَّ النبي ﷺ يشير إلى محمد هذا بأنَّه المهدي، وأنَّه هو الذي ستصلح به الأرض ! وقد صدق محمد بن عبد الله (المهدي) هذا، وبدأ يتصرّف على هذا الأساس، ولأنَّ الإنسان إذا فكّر في أمر من الأمور واهتمّ به، يكون حاضراً في وعيه ولا وعيه، فكثرت أحلامه أيضًا بهذا .

كان مما قوّى دعوة (المهدي السوداني) من جهة أنَّه كان يأخذ نفسه بالزّهد، والالتزام المشدّد بأحكام الدين من جهة، وينسب في ذات الوقت إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام من جهة أخرى .. وبهذا المعنى فقد كان يقنع الناس من خلال سلوكه الشخصي، ومن جهة أخرى بانطباق بعض أوصاف المهدي مثل أنّه من ذرّيّة النبي ومن أبناء فاطمة (ما دام من أحفاد الحسن بن علي)، وقد ادّعى صراحة أنّه المهدي، وأنَّه يجتمع مع الحضرة النّبويّة، وما شابه ذلك، وينقل بعض الكتاب ذلك عن وثائق ورسائل تلك الدعوة، فقد جاء فيها: « واعلمني النبي بأنّي المهدي المنتظر وخلفني بالجلوس على كرسيّه مراراً بحضرة الخلفاء والأقطاب والخضر وجمع من الأولياء الميتين وبعض من الفقراء الذين لا يعبأ بهم، وقلدني سيفه، وأيّدني بالملائكة العشرة الكرام، وأن يصحبني عزرائيل دائمًا، ففي ساحة الحرب أمام جيشي، وفي غيره يكون ورائيًّا، وأن يصحبني الخضر دايما، ويكون أمامنا سيّد الوجود وخلفاؤه الأربعة والأقطاب الأربعة وستين ألف ولي من الأموات»[1]وقد واجه عسكريا الجيش المصري ـ التركي الذي كان مسيطرا على السودان حينها، ثم اصطدم مع الجيش البريطاني، وبعد حوالي ١٥ سنة من اعلانه حركته ومهدويته توفي واستخلف على الحركة تلك، عبد الله التعايشي الذي كان قد أخبره بأنَّه رأى النبي يشير إليه بأنَّه المهدي!

٦/ وفي الحجاز مع بداية القرن الخامس عشر الهجري، شهد العالم حدثًا متميّزًا ارتبط بدعوى المهدوية، حيث قام حوالي ٢٠٠ شخص كما قيل من الجماعة السلفية المحتسبة، بقيادة جهيمان العتيبي بالدخول إلى الحرم المكي، وأعلنوا سيطرتهم عليه بقوّة السلاح الذي أدخلوه في توابيت جنائز بزعم أنّه يراد الصلاة عليها، وقيل إنّ جهيمانًا قدّم زوج أخته محمد بن عبد الله القحطاني باعتبار أنّه المهدي الذي تحدّثت عنه الرّوايات، وأنَّ الكثير قد رأوا رؤى وأحلامًا تفيد هذا المعنى، وأنّ أشراط الساعة قد حضرت والمنكر فشا، وبعد مواجهات مع الحكومة السعودية، تم القضاء أوّلاً على القحطاني مما كان له أكبر الأثر كما يقول محلّلون[2] على تضعضع جماعته، إذ

(١) في مقال ينقل كاتبه عن منشورات المهدية، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل بيروت ١٩٧٩.

(٢) نشر موقع هيئة الإذاعة البريطانية bbc على الانترنت تحقيقاً يتضمن مقابلات مع بعض من بقي على قيد الحياة منهم او من المقربين منهم، https: // www.bbc.com /arabic /middleeast-٤٠٥٧٤٣٦٠

المفروض أنَّ المهدي يبقى على قيد الحياة ويتحقّق الانتصار وهو موجود ليقيم العدل.

٧/ وأمّا في العراق.. فقد صرّح أحد العلماء الباحثين في الموضوع المهدوي، بأنَّه لاحظ أنَّ انبثاق سبع حركات مهدوية كاذبة خلال عشرين سنة!! وهذا يعني أنَّه بمعدّل حركة كاذبة في كلّ ثلاث سنوات !

لعلّ أخطرها ما سُمّي حينها بـ (جند السماء) التي حاولت في سنة ٢٠٠٧م أن تهاجم مدينة النجف عسكريًّا في ظلّ تلك الفوضى الضّاربة في العراق، وأن تحتل حرم الإمام علي عليه السلام وتقضي على المرجعية الدينية! باعتبار أنَّ المرجعية كما يزعمون ضدّ الإمام المهدي! لكن انكشاف أمرهم في وقتٍ مبكّر ومباغتة القوى الأمنية لمزرعة جعلوها معسكرًا لهم، فوّت عليهم الفرصة، وأنهى أحدوثتهم !

٨/ وتلاهم ما هو قائم ومستمر حتى الآن من ادعاء أحد الأشخاص أنَّه ابن المهدي تارة أو أنّه من جملة المهديين الاثني عشر بعد الإمام محمد بن الحسن العسكري!! أو أنّه اليماني الذي هو ممهد للمهدي، وترى لهم في كلّ يوم حديثًا خاصًّا يسوقونه بحسب حاجة المستمع! ومرّة أخرى يعود السلاح المشترك والدّائم بين هذه الحركات الكاذبة، وهو الأحلام والرّؤى لتكون هي الدليل الوحيد على ما يعتقدونه ويأمرون الناس بتصديقه عنهم.

وربما يساعد على انبعاث هذه الحركات وإيمان البعض بها حالةُ الإحباط التي يعيشها قسم من المسلمين، ممن لا يفتح بصره إلا ويرى المآسي والدماء في بلاد المسلمين، والتخلّف والظلم الواقع عليهم، ولم يبقَ إلا أن تنزف شاشات التلفزيون الدم العبيط حتى تعبّر بصدق عمّا يحدث في الساحة الإسلامية.

هنا ومع اشتداد الأحوال يتطلّع البعض إلى بارقة فرج، وكوّة أمل لتغيير هذا الواقع الذي لا لدين الإنسان هو حسن ولا لدنياه .. فإذا ما سمع عن شخص رفع راية، ووعده بالخلاص سارع إليه، وكالغريق المتمسّك بكلّ قش والمعتمد على أيّ لوح! وفي الوقت نفسه فإنَّ أدعياء هذه الحركات ـ إما لجهل بعضهم وإحسان الظن بأنفسهم، أو لخبث البعض الآخر ومعرفتهم بكذبهم ـ يستغلون ذلك الإحباط، وجاهزيّة هؤلاء الناس المحبطين لعمل أيّ شيء يغيّر من وضع الأمّة دينًا ودنيا، فيمتلكون الأتباع ويستقطبن الأنصار، ويكون كلّ واحد من هؤلاء داعيا لغيره إلى هذه الحركة !

إنَّ هؤلاء يستهدفون في الغالب ضعفاء المعرفة، وقليلي العلم، ويحاولون قطع الناس عن مرجعياتهم الدينية، وعن مفكّريهم الذي أنفقوا أعمارهم في نشر العلم . لتجد أنَّ نقطة الاشتراك بين هذه الحركات غالبًا هي إيجاد قطيعة بين الناس وبين المراجع الدّينية . إلى الحدّ الذي يروّجون فيه أنَّ أعدى أعداء المهدي هم المراجع والحوزات العلمية!! هذا مع أنّ شغل هؤلاء الشاغل هو تحقيق المطالب والمواضيع المرتبطة بثقافة الانتظار

وأحوال الإمام المهدي؟

نعم ربما يكون بعض أدعياء المهدوية مخدوعين في أنفسهم، بأن أحسنوا الظّنَّ بصفاتهم، ورأوا أنَّ ما يقومون به مثلاً هو محاربة للشر والفساد، وهذا من عمل الإمام المهدي، فإذا ضُم لذلك انطباق بعض العناوين عليهم كأن ينسبوا ـ بصدق أو غيره ـ إلى الذّرية النّبوية ! أو إلى قريش وأيضًا يقنعهم البعض برؤياهم في عالم الأحلام والمنام بأنّه تمّت الإشارة إلى هذا الشخص بأنّه المهدي! وأمثال ذلك، فيصدّقوا (المقلب) في أنفسهم!

كيف نكتشف زيف هذه الحركات؟

هناك مقاييس من الممكن أن تكشف لنا زيف هذه الحركة أو تلك نشير إلى قسم منها:

الأول: موقف قادة هذه الحركات وأتباعها تجاه العلم:

حين نتحدّث في الدائرة الشيعية نلاحظ أنَّ هناك تراثاً علمياً ضخماً أنتجته عقول علمائنا الأبرار، ودوّنته أقلامهم، خلال أكثر من ألف سنة من الزمان لو أردنا حساب المدة من زمن الشيخ المفيد رحمه الله (ت ٤١٣ هـ) وإلى أيّامنا المعاصرة، والملاحظ لهذا التاريخ يجد جهودًا عظيمة قد بُذلت حتى أنضجت أساليب متطوّرة ودقيقة في الفقه الاستدلالي والمقارن، وفي تفسير القرآن ـ بطرقه المختلفة، وفي علم أصول الفقه وقواعده، وفي علم الرجال، فضلاً عن علوم الحديث المختلفة، والإحاطة بالرّوايات الواردة عن النبي وآله المعصومين..

فإذا جاء شخص يهيمن على العلم الموجود ويفوق ما هو قائم، فهذا أوّل علامات سلامة المسيرة .. وذلك لأنَّنا نعتقد أنَّ الإمام المهدي يأتي ليكمل ويتمّم ما نقص من العلم، ويزيد عليه زيادة عظيمة.[1]

لقد رأينا أنَّ من علامات الفضيحة عند بعض أدعياء المهدوية هو أنَّهم لا يتقنون من العلم الديني شيئاً مهمًّا، ولهذا فإنَّهم أوّل ما يأتون يحاولون إقناع الناس أنَّ هذه العلوم علوم ضلالة، فعلم أصول الفقه عندهم جهل، وعلم الرجال باطل، والاستدلال غير صحيح، وما ذاك إلّا لأنَّ من السهل كشف (أمّيتهم) في هذه العلوم .

بل كما ذكرنا مفاد حديث المعصومين أنَّ العلم -حتى الطبيعي منه- يكون في زمان الإمام وعلى يده غاية في التطور ويتضاعف أضعافاً مضاعفة، بحيث يكون ما قطعته البشرية من مسيرة العلم بالقياس إلى ما سيكون عليه العلم في عهده أشبه ببركة سباحة قياساً إلى البحر المحيط .

---

(١) بحار الأنوار ٥٢/ ٣٣٦ عن الخرائج والجرائح ؛ مفاد روايات أن العلم في زمان المهدي يكون أكبر بكثير مما هو عليه الآن، فعن الامام أبي عبدالله الصادق قال: (العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فاذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس، وضم اليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً). وفي بعضها الآخر: عن أبي جعفر الباقر: إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع به عقولهم، وأكمل به أخلاقهم .

الثاني الاعتماد على الأحلام والاستخارات:

وقد لاحظنا عند استعراض بعض الادعاءات الكاذبة كيف أنَّ رجالها كانوا يعتمدون اعتماداً كبيراً على المنام والرؤى والأحلام .. وهذه كما عليه الرأي الصّحيح عند المسلمين لا تصلح لتكون دليلاً شرعيًّا على مستحب من المستحبات[1]، وفي مسألة الأذان وتشريعه مع أنّه مستحب من المستحبّات، ينفي الإمام الصادق عليه السلام الرّواية التي تنقلها مصادر مدرسة الخلفاء من أن صورة الأذان قد شرعت عبر رؤيا رآها أحد أصحاب النبي، فيقول بشكل جازم "كذبوا" ثم يقرر قاعدة عامّة أنَّ الدين لا يمكن أن تكون تشريعاته من خلال المنام والأحلام ويقول «فإنَّ دين الله عزّ وجل أعز من أن يرى في النوم»[2].

فإذا كان أمر مستحب لا يتم تشريعه من خلال المنام، أ فهل ترى أنَّ قضية عقدية في الدرجة العليا من الأهمّيّة، وتشابه في ذلك ثبوت نبوّة شخص عن الله، أفهل تراها تثبت برؤيا منامية؟

وضمن نفس المسار في إبعاد الحالة العلمية والتعقّليّة، فإنَّ هؤلاء لا يكتفون بهذا المقدار من تغييب المقاييس الصحيحة في معرفة الأفكار والدّعوات، وإنَّما يضيفون إلى ذلك ممارسة أخرى وهي الاعتماد على الاستخارات لاتخاذ قرار بتصحيح طريقة أصحاب هذه الدّعوات والانضمام إليهم !! متجاهلين ـ مع سبق الإصرار ـ أنَّه لو فتح هذا الباب على مستوى العقائد لكان الأمر مشكلاً غاية الإشكال، فلو جاء مسيحي في بلاد المسلمين وطلب منهم أن يستخيروا على أن ينضمّوا إلى المسيحية ويتركوا الإسلام، إذا وافقت الخيرة الايجاب ! ويتركوا ذلك لو جاءت بالسلب! هل سيكون هذا صحيحاً ؟

فإنّه لو استخار من هؤلاء الناس ١٠٠ شخص، وجاءت الخيرة موافقة بـ ٣٠، فهو رابح على كلّ حال . وما نحن فيه هو من هذا القبيل، فإنَّ بعض هذه الحركات تطلب من الشخص أن يفكّر في الأمر فإذا رأى أحداً في المنام (يلبس عمامة خضراء وهو من أبناء الأربعين وعليه هالة نور ..) يخبره عن المهدي، فهذا علامة صحّة دعواهم، وهم هنا يرسمون مسارًا في لا وعيه ولوحة يصمّمونها ويخزنونها؛ لكي تنساب بهدوء عندما يخلد إلى النوم حيث انشغل فكره بها .. فيأتي في اليوم الثاني مصدّقاً لما قالوه !

وإذا لم يرَ شيئاً أو رأى شيئاً مخالفاً لذلك، فإنّهم يطلبون منه الاستخارة على الانضمام إليهم، وبالفعل يستخير، وهم في الربح ولن يخسروا شيئاً فإنَّ احتمال أن تأتي الاستخارة بالإيجاب مساو لاحتمال السلب، فإن جاء الأول ربحوا عنصراً جديداً، وإن كان الثاني فلم يخسروا شيئاً !

---

(١) بالطبع لا بد من استثناء رؤى الأنبياء والمرسلين، كنبي الله ابراهيم، ويوسف عليهما السلام .

(٢) الكافي ٣/ ٤٨٢ .

إنَّ الثابت من الاستخارة؛ هو ما يرتبط بالأفعال المباحة التي لا يقترن بها حكم الزامي (وجوباً أو تحريماً) بل حتى الاستحبابي في بعض وجوهه، فلا يجوز أن يستخير الإنسان على أن يصلّي أو أن يؤمن بالله أو أن يفعل حرامًا، أو أن يتبع شخصاً على أنّه المهدي أو ينتمي إلى فرقة معيّنة! أو أن يترك الإسلام ! وإنَّما يحكم عقله وضمن المقاييس الشرعية فإن كان الانتماء إليه على وفق هدى الدين والعقائد فهو واجب، وإلَّا فهو حرام !

الثالث: موقفها تجاه المرجعية الدينية:

يعتقد الإمامية أنَّ المرجعية الدينية هي الحافظ لحدود المجتمع المؤمن، والمراجع هم المرابطون على ثغور المذهب، والصائنون لعقائده وفقهه، وهي أعظم نقاط قوّة هذا المذهب والطائفة، وسيكونون أوّل النّاصرين للإمام المهدي عند ظهوره، كما سيكون متوّجا لأعمالهم حتى تصل إلى كمالها، فإذا جاءت فئة تزعم المهدوية وتُعادي المرجعية الدينية الشيعية فلا ريب أنّها مشبوهة ! إذ هي تسير على خلاف القاعدة المذكورة آنفًا.

ومن اللطيف أنَّ كلّ هذه الحركات المدّعية للمهدوية كذبًا في المجتمع الشيعي قد بنت كيانها وأسّست أساسها، ونظمت ثقافتها على أساس المعاداة للمرجعية الدينية المخلصة، وعملت على فصل الناس عنها ! بل وصلت في بعض نسخها المتطرفة إلى التخطيط لقتل مراجع الدين أوّلاً !! ثم التثنية بمدرسي العلم والفقه في الحوزة العلمية في النجف ثانياً !

ولعلك تلاحظ عزيزي القارئ متسائلاً: ماذا ينتفع الإمام المهدي عجل الله فرجه من قتل أعلام الدين الذين انحنت ظهورهم، ونحلت قواهم، وأنفقوا أعمارهم في تنقيح روايات أجداده وهداية الناس إلى معالم دينهم ؟

الرابع: سلوه عن العظائم التي لا يجيب فيها إلَّا مثله

نظرا لأنَّ هذا الموقع المهم ـ على المستوى الديني والدنيوي ـ هو مطمع للكثير فلذلك تعدَّدت الادعاءات الكاذبة فيه، ولأنَّه لا بُدَّ من بيّنة وبرهان، ومن البينة ما أشار إليه الإمام جعفر الصادق عليه السلام عندما سئل: إذا كان ذلك وادّعى مدّعٍ فماذا نصنع؟ قال: سلوه عن العظائم التي لا يجيب فيها إلا مثله!

والعظائم هذه من الممكن أن تُفسّر بنحوين: ـ المسائل العلمية المعضلة التي لا تأتي من أبواب العلم العادي المكتسب، فإنَّ ما يأتي من خلال العلم العادي المكتسب يمكن لأيّ شخص بمزيد من التّحصيل والتّعلم الحصول عليه ! فالسّؤال في المسائل الفقهية العاديّة يمكن الإجابة عليه من خلال التعلم، وهكذا في مسائل الطب وغير ذلك . غير أنَّ هناك مسائل تشير بوضوح إلى ارتباط من يُسأل فيجيب بالله تعالى من قبيل ما قال عيسى بن مريم (**وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**).[1]

(١) آل عمران / ٤٩.

والثاني: في المسائل العملية التي لا يستطيعها غير المتّصل بالله تعالى وإلا المؤيّد بقوّته، مثل أن يقال لهم وهذا باب تحدّ مفتوح لهذه الحركات، نريد منك يا من تدّعي أنَّك المهدي أو أنَّك بابه أن تصنع لنا شيئاً في مكان ما.. هذه أحوال المسلمين أمامك في كل مكان، انتخب لنا مكانًا منها وقل إنَّني سأصنع التّغيير الكذائي فيه، وهؤلاء أتباع أهل البيت ومعاناتهم في أماكن متعدّدة من الدنيا، أخبرنا عن عدل ستنشره فيهم! وعن فساد ستقلعه منهم! أنت المدّعي أنّك المهدي وهو سيملأ الأرض عدلاً.. لا نريد منك أن تملأ الأرض كلّها ! نريدك أن تنشر عدلاً في بلد واحد فقط وباختيارك! وبالطبع لن يفعل هؤلاء المدّعون شيئًا ولو بقوا مئات السنين لأنَّهم كذبة ولا يتصلون بخالقهم، وحالهم كحال أي واحد من الناس لا حول لهم ولا قوّة، بل حالهم أسوأ، فإنَّ هذا الإنسان المؤمن العادي لا يدّعي شيئًا أكبر من شخصيته ولا من طاقته وقوّته بينما هؤلاء المدّعون يزعمون أشياء أكبر!

بعض هؤلاء الكذبة منذ عشرين سنة وهم يزعمون مهدويّتهم أو كونهم أبواباً للإمام ولا يقدمون برهانًا واحدًا ولا بيّنة على ذلك .

لقد أحسن أبو سهل النوبختي وكان صاحب شخصية مهمّة عند الشيعة ـ كما نقل عنه الشيخ الطوسي ـ عندما سخر بالحلاج عند ادعائه الوكالة لصاحب الزمان، وهو بذلك يقدم لمن بعدهم برنامجًا في الاحتجاج واكتشاف الكاذب:

« لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويظهر فضيحته ويخزيه، وقع له أنّ أبا سهل إسماعيل بن علي النوبختي (رض) ممن تجوز عليه مخرقته وتتم عليه حيلته، فوجه إليه يستدعيه وظنّ أنّ أبا سهل كغيره من الضّعفاء في هذا الأمر بفرط جهله، وقدر أن يستجره إليه فيتمخرق (به) ويتسوف بانقياده على غيره، فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة، لقدر أبي سهل في أنفس الناس ومحلّه من العلم والأدب أيضًا عندهم، ويقول له في مراسلته إياه: إنّي وكيل صاحب الزمان ﷺ – وبهذا أولاً كان يستجر الجهال ثم يعلو منه إلى غيره – وقد أمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوّي نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر.

فأرسل إليه أبو سهل رضي الله عنه يقول له: إنّي أسألك أمرًا يسيراً يخفّ مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدّلائل والبراهين، وهو أنّي رجل أحبّ الجواري وأصبو إليهنّ(!!)، ولي منهنّ عدة أتحظاهن والشيب يبعدني عنهنّ [ويبغضني إليهنّ] وأحتاج أن أخضبه في كلّ جمعة، وأتحمّل منه مشقّة شديدة لأستر عنهنّ ذلك، وإلا انكشف أمري عندهن، فصار القرب بعدًا والوصال هجراً، وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته، وتجعل لحيتي سوداء، فإنّي طوع يديك، وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع ما لي في ذلك

من البصيرة ولك من المعونة.

فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنّه قد أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يردّ إليه جواباً، ولم يرسل إليه رسولاً، وصيره أبو سهل رضي الله عنه أحدوثة وضحكة ويطنز به عند كلّ أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سببًا لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه.[1]

(١) الغيبة ، الشيخ الطوسي، ج ١، ص ٤٢٣.

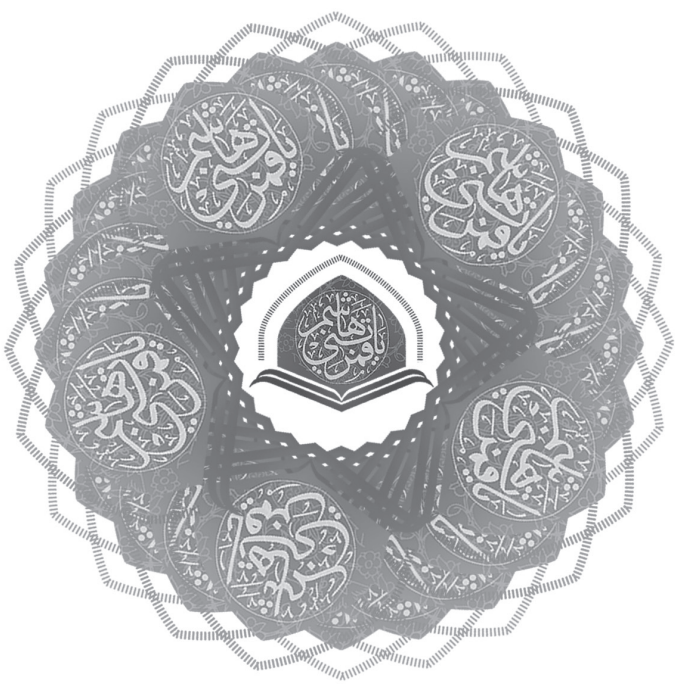

بشرية النبي محمد ﷺ وأثرها في تفسير النصوص القرآنية

م . م . عمار عبد الرزاق علي الصغير

المقدمة

يمثل الهدف الغائي في البعثات النبوية في إخراج الناس من الضلال إلى الهدى، وعلى هذا الأساس تكون الدعوة في كل تفاصيلها ومحورها الأساس هو الهداية، وأنّ مهامها ينصب على تكوين وعيٍ معرفيٍ كونيٍ عند الإنسان، يستند إلى علمٍ وتربيةٍ إلهية .

وكانت طبيعة المهمة ومدياتها تتحدّد على وفق قابلية الرسول ﷺ، وقدرته على إحداث فعلية في الهداية، لهذا يتم اصطفاء كلّ نبيّ لما يناسب المهمة وعلى وفق طبيعتها، فبعض من الأنبياء ﷺ كُلِّف برسالة وبعض لم يُكلّف، وآخر لمدة محدودة، وآخر امتدّت نبوّته إلى ما شاء الله، وثالث في حيّز معيّن، ويقابله آخر لم تسع رسالته الآفاق، وإن كان الأفق العام للفظة النّبوة هو الإنباء والإخبار ؛ فهو لفظ مشترك لكلّ من يختاره الله أن يقوم بالتبليغ من غير اعتبار أيّ حيثيّة، لكن حقيقته تبقى نسبية اعتمادًا على من تلبّس بها، وعلى هذا ممكن القول إنَّ لفظ النّبوة هو وصف وظائفي، لا وصف جمالي.

ولكي تكون هذه الدّعوة محصّنة مما يؤثّر على أهدافها، فقد اقتضت الحكمة الإلهية تحصينها بمستوى عالٍ من المعرفة، والدّراية، ورعاية الوحي، وحضوره الدائم في تسديد خطى النبي المرسل لتحصيل الاطمئنان بإلهية الدّعوة.

وقد يعتمد الاطمئنان والوثوق على عامل التبعية في أنَّ الرسول تابع إلى الله تعالى في كلّ شيء، ولا يستقل بأيّ خطوة من خطوات الدّعوة مما يُشكّل وثوقاً عند المتلقّين، إنَّ المهمّة التي بعث بها الرسول ليس هو إلَّا واسطة فيها في وصول الأمر الإلهي.

وعلى هذه الأسس لا يمكن تصور أيّ انفراد يقوم به النبي، وتصرّف شخصي ما لم يرجع فيه إلى الوحي، وإنَّ التركيبة الشخصية لرسول الله (المادية والروحية)خاضعة في محرّكاتها ودوافعها إلى الإرادة الإلهية فلا يمكن أن تتخلف أو تختلف مع إرادة الله مهما كان المؤثّر.

وإنَّ إمضاءات القرآن الكريم للأثر الصادر من النبي (قولاً وفعلاً وتقريراً) تدلّ إنَّه يُمثّل انعكاساً لصورة النّص الساكنة ليحوِّله إلى صورة حركية، وهذا الانعكاس يحكي عن توافق بين ما يريده النّص وإرادة النّفس النّبويّة، فحقيقة هذه النّفس من حقيقة هذه الرّسالة ولا أدل على ذلك من قوله ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[1]، حيث فوّض وعلق مقبولية العمل على الأخذ بما يصدر منه ﷺ، وهو يفصح عن عصمة ما أُثِرَعنه.

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأنَّ النّبوّة مفهوم ممكن، لها تلبّس فعلي بالنّبي ﷺ، ولها اتحاد واتصال بعلته الواجبة (الله عزوجل) وهذا الاتحاد يجعل المعلول لا ينعزل أو ينفك عنها بشيء، ولما كانت الخطيئة والغفلة وأمثالهم مما طبع عليه البشر هو في حقيقته إعراض عن ساحة الله، فهو انفكاك وانعزال عن العلّة الواجبة ولو لحظيًا، ولما كان الاتحاد ثابتًا للنبي فلا يتصوّر الاعراض بأيّ معانيه مطلقاً، ولا تؤثّر عوامل البشرية في النبيّ بأيّ مؤثّر يخالفها الإرادة الإلهية، وكان لموضوع بشرية رسول الله ﷺ المسوّغ للقول بالتهاون، والغفلة، والاجتهاد، وترك الأولى؛ لأنَّ الطابع البشري لا يفرغ منها، وهذا ما دفعهم إلى تصور وجود شخصيتين لرسول الله ﷺ: شخصية لها علاقة صرفة بالوحي، ولا تأثير للوحي على بنيانها، وشخصية متّصلة بالبشر ومنعزلة عن رواشح الوحي، فلا تأثير للنّبوة ومنظومتها عليه، فهي متأثّرة بطبائع البشر ومنقادة لميولهم وعواطفهم، والحال أنَّ الجانب البشري في رسول الله هو طريقي لا غائي يراد منه ذاته.

وقد أظهر البحث أنَّ الخصائص النبويّة والوظيفية لرسول الله ﷺ تمنع من إمكان تمكّن وتحكّم الجانب البشري في أفعاله وتفكيره، فلا يحتاج أن يجتهد وذلك لدوام حضور الوحي وتسديده، والاطلاع على الغيب، وكشف الواقع، فلا يتصور الوقوع في المحذور لانكشاف الحقيقة أمام بصيرته .

وإنَّ البواعث التي أملت على المفسّرين القول في ذلك هي مبتنية على سوء فهم العصمة وتأثير الأثر الرّوائي على نتائجهم الاستدلالية، حيث أظهر البحث فساد الاستدلال بتلك الذّريعة وإنَّ النّتيجة البرهانية التي اعتمدوها مبتنية على استقراء ناقص فاسد ومغالطة في المادة المستدل بها فتنهدم ما يتبعها من نتيجة، وعلى إثر ذلك تتقوض هذه الدعوة، وينهدم معها ما تعلق فيها .

مشكلة البحث

إنَّ المفسرين حملوا رسول الله ﷺ نسبة اللوم والعتب في كثير من موارد القرآن والخطابات الخاصة بسبب صدور آثار من رسول الله ﷺ سبّبت ذلك اللوم، وأنَّ تلك الآثار الصادرة منه ﷺ انبعثت محرّكاتها من الجانب البشري والعاطفي الذي كان يتملك النبي في كثير من المواقف ويؤثر في سلوكه الخارجي وتفكيره الذاتي سلباً، وعلى هذا الأساس يرى البحث أنَّ هذه النظرة تخالف ثوابت العصمة وأصول النبوة مما وجب الرّدّ على أصل هذا المفهوم وبيان جذرية خطئه.

أهمّيّة البحث والهدف منه

تنطلق أهمّيّة البحث من مبدأ ضرورة المحافظة على نقاء العصمة وفهمها فهما صحيحاً؛ لأنَّ أيّ خطأ في فهم العصمة يؤدّي إلى الخطأ في فهم النّبوّة وطبيعة حركتها بالتالي يتم عرض النّبوة وصورة النبي إلى العالم بصورة سيئة تكون سببًا لنفور العديد وتصوير الإسلام بهذه الهيأة السلبيّة، ويتم دفع هذه الشبهة بحيثيّاتها المختلفة، مستنداً في تلك المعالجة إلى المحكّمات القرآنية، والخطابات العامة، إضافة إلى الأصول العقلية البديهية التي هي محلّ اتفاق جميع العقلاء؛ لما تنتجه من يقين في معالجة القضايا المشكلة، يُضاف له الأثر الرّوائي المتّفق عليه، أو المنصوص عليه من تراث أصحاب الشبهات، فيكون الاحتجاج منهم وعليهم.

توطئة

التفرد بعليّة بشرية النبي محمد ﷺ من دون الوحي

عُدَّ الجانب البشري في الأنبياء عليهم السلام دافعاً ذرائعياً للقول بإمكان إحداث الأنبياء لِمَا يحدثه عامة البشر من أخطاء ومحاذير بسبب الطبيعة البشرية التي لا تخلو من النسيان والميول العاطفية والاهواء والرغبات وإغفالهم عن كثير من المصالح العامة.

وقد انسحب هذا إلاعتقاد بأن يُفسر النّص القرآني بهيئة لا تليق بمقام الأنبياء عليهم السلام وتتعارض مع عصمتهم وتنفر من قبول دعوتهم.

ومن تلك الشبهات ما وقع لإثباتهم أسطورة الغرانيق، وإن النبي تكلم سهوا فيها وبتأثير الشيطان ؛ لأن الله لم يعصمهم من السهو و وسوسة الشيطان، ولإن ذلك ممكنٌ على البشر وأن الأنبياء حالهم في التأثُر بالعوامل البشرية كحال سائر البشر؛ إذن يثبت اليهم ما ثبت للبشر، ويقع منهم ما يقع من البشر[٢].

ومنه أيضاً ما وقع في تفسير قوله تعالى: (**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا**

﴿يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا﴾[٣] التي وردت في زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش التي قيل أنَّه أخفى محبتها أو الإعجاب بها واستحسانها ووقوعها في قلبه.

وقيل أخفى محبّة طلاقها فقد كان حريصاً على طلاقها؛ ليتم له الزواج بها، معللين ذلك بأنَّه لا يقدح في حال الأنبياء عليهم السلام؛ لأنَّ العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المآثم؛ لأنَّ الود وميل النفس من طبائع البشر اللاإرادية، فليس عليه إثم فيما يقع في قلبه من غير اختياره؛ لأنَّ ما وقع في قلبه حالة جبلية لا يكاد يسلم منّا البشر [٤].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾[٥]؛ لأنَّ البشر أنشئ وطبع على الركون والميل إلى النعم العاجلة [٦].

وغالباً كانت تعليلاتهم بأنَّ الله جعل الميل العاطفي والنسيان والسهو والحاجة إلى المشورة في الأنبياء حتى لا يتصوّر أحد أنَّهم من الآلهة، وحتى يذكر الأنبياء باستمرار بصغر حقيقتهم أمام الحقيقة الإلهية .

ويلاحظ على سبب توجيه العتاب في النص القرآني إلى النبي ﷺ لوجود الجانب البشري، وتأثيره على صياغة الاثر النبوي، وأن هذا الجانب يعكس ما يحدثه عامة البشر بجواز وقوعه عند الأنبياء، وان لا تأثير للوحي على شخصيتهم إلا من جانب الإيحاء والتبليغ، أي: وقوع العصمة فقط في التبليغ؛ لأنَّه لا امتياز للأنبياء عليهم السلام عن الناس إلَّا من جانب الوحي فقط[٧]

والنتيجة أنَّ من يرى الجانب البشري مؤثّرًا بشكلٍ أساسيّ في الأثر النبوي يرى أنَّ ذلك الجانب أوقع الأنبياء عليهم السلام فيما يجب عتابهم عليه؛ لأنَّ الطّبيعة البشرية تميل إلى الهوى والتّعجل بالحكم، متغافلين أنَّ الإمكان الوقوعي للشيء في الأنبياء لا يستلزم وقوعه فعلاً، وأنَّ الإمكان الاستعدادي لا يلزم من صيرورة القوة فعلاً [٨]، وإلا فما دور العصمة وهيمنة الجانب الروحي والوحي والغرض من البعثة، فإمكان السهو و النسيان والغفلة والميل العاطفي والحاجة إلى الآخرين وإن كان ممكنًا في الطبع البشري، وله قابلية الخروج إلى الفعل الواقعي، لكنّه في الأنبياء غير واقع فعلاً، وذلك بسبب مانعية العصمة، وتكامل الأنبياء، وحكمة الإرسال؛ لتطمين الناس بصحّة وصول ما يصدر من الله إليهم، وتأمينهم على دينهم وآخرتهم .

فشكّل الجانب البشري مسوّغاً لإيجاد الشبهات ورسوخها في عقيدة قائليها، وسوف يتم دفع شبهة البشرية في المطلب الآتي.

دفع شبهة البشرية

الدفع الأول: اختلال منطقي في الفكر الاستدلالي عند المفسرين

رصد البحث من خلال كثير من الموارد الاستدلالية للمفسرين تقوّم الفكر الاستدلالي للمفسرين على خطأ في حصيلته الدلالية المستخرجة من بعض الآية المفسَّرة، ويرجع ذلك الخطأ إلى مواد الأقيسة المنطقية، واستخدامها في الكبرى بشكل مغالط للصحة؛ للحصول على نتيجة القياس.

وعلى هذا الأساس الإجمالي سوف يعتمد البحث على مسلكين في استدلالات المفسّرين لبيان طبيعة هذا الخطأ، وهما:

المسلك الأول: الاستدلال بالآيات القرآنية لتفسير نص معيّن.

فقد نهج المفسرون باقتصارهم على الآية والآيتين مما له علاقة بالنص المفسَّر، ويسقطون الدلالة عليه مما يعد جانباً تسويغياً لمنهج تفسير القرآن بالقرآن، من دون لحاظ النّصوص القرآنية الأخرى ذات العلاقات التضمينية والالتزامية فضلاً عن التطابقية المعنيّة بذات الموضوع وبيان أثرها في إنتاج الدّلالة النّهائية من النص المفسَّر .

وهذا الأمر يُشكّل اختلالاً بيّناً في تكوين الصورة الموضوعية المتكاملة، والتي تناثرت في القرآن الكريم، الأمر الذي يبرز صورة منقوصة عن الموضوع .

المسلك الثاني: الاستدلال ببشرية النبي ﷺ على توجيه كثير من الآيات على وفق آثارها.

فقد جعلوا من الطبيعة البشرية لرسول الله ﷺ مسوّغًا لقبول الموروث الرّوائي، على الهيأة التي صوِّر بها النبي، والذي يسيئ لمقام النّبوّة، فقد استعمل هذا الجانب في كبرى القياس الاستدلالي في أنّ (كل نبي بشر، وكل بشر يخطىء ويسهو وينسى ويغفل .. الخ، وبما أنّ رسول الله ﷺ بشر فهو يشمله التكوين والخصائص والافرازات التي يتميّز بها كلّ بشر فيصدر منه ما يصدر منهم).

فوجه الشبهة والاختلال الذي يقع في هذا الاستدلال هو متعلّق بمادّة القياس وليس هيأته، فقد وقعت في الكبرى منه (وكل بشر يخطىء ويسهو ووالخ).

ولمعالجة هذين المسلكين ينحى البحث إلى بيان طبيعة المغالطة وبؤر الخلل فيها، واستثمار أسس مفهوم الاستقراء المنطقي لبيان فساد استدلال المفسّرين . ويتّضح الخطأ هنا في منحيين للاستدلال:

الأول: الاستقراء النّاقص[٩]:

حيث استندت إلى كلية مؤسّسة على استقراء ناقص تكون نتيجته غير يقينية [١٠]، والحال إنَّ المفسرين اعتمدوها كيقين موصل إلى الدّلالات التي يريدونها، على وفق قياس برهاني[١١]، وقد برز بوضوح منهج المفسرين في

الوقوف على الدلالات القرآنية من خلال منهج الاستقراء التغليبي [١٢]؛ وهو وجه من وجوه الاستقراء الناقص، فيقومون بإلحاق الفرد بالأعم الأغلب بسبب تقوية دلالة الحالة الجزئية المستقرأة على ما لم تُستقرَأ، وشمول حكم الأولى للثانية وتعميمها عليها، وفي ذلك يقول الطبري ((والواجب أن يوجّه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجّة خبر أو عقل))[١٣] وقال الشنقيطي ((إنَّ غلبة إرادة المعنى المعيّن في القرآن تدلّ على أنّه المراد؛ لأنَّ الحمل على الغالب أولى)) [١٤] ولا خلل في التغليب مع إكمال الصورة الموضوعية في القرآن الكريم؛ إنّما يتجلّى الخلل مع الصورة الجزئية المنقوصة التي يكوِّنها الاستقراء، لا سيما مع وجود موانع تتعارض مع نتيجة الاستقراء الناقص.

الثّاني: المغالطة:

حيث استعملت الطبيعة البشرية كعلة للخطأ المدّعى صدوره من رسول الله ﷺ، وهو مسوّغ تذرّعوا به لحمل النّصوص على ظواهرها، مضافًا إلى قبول الموروث الرّوائي الذي ابتدع تلك الإساءات، وهو جعل ظنّيّ بجعل ما ليس بعلّة علّة وبناء الأحكام عليه[١٥]، فإنَّ المواد المعلوماتية المستعملة في الاستدلال إذا كانت فاسدة باطلة فإنَّها تؤثّر في فساد النتائج، حتى إن كانت طرق الاستدلال وهيأة القياس صحيحة[١٦]، فتكون صورة الاستدلال ظاهريّة لا صورة حقيقية؛ لأنَّ مادّته كاذبة لشبهة القضية بالصادقة في حين أنَّ واقعها هو كاذبة.

ففرق أنَّ الإنسان يتّصف على نحو الضّرورة بتلك الصّفات والطبائع وتصدر منه بشكلٍ قهريّ؛ وبين أن تكون هذه الطبائع تصدر بشكلٍ طبيعيّ تبعاً، وطبيعة تركيب النّفس التي تؤثّر في صدور الأفعال من الإنسان حينما تحكمها قوّة النّفس وانخفاضها وصلابة الإرادة وضعفها، مع العلم بحقيقة الأفعال وميزان حُسنها من قُبحها، فالأول تعميم على الأنبياء من غير دليل سوى الاستقراء ولحاظ الجنبة البشرية، والثاني تؤثّر في صورته النّهائية العصمة النبوية فيندفع عن النبي ﷺ من الأصل.

وعلى وفق تلك الصورة فإنَّ كلّيّة القياس المتولدة من الاستقراء (كل بشر يخطأ ويجتهد ويسهو) واقعة في بؤر المغالطة، ومبتنية على أساس غير صحيح، وهو ما سيتم دفعة وفقًا للآتي.

ووجه الشبهة في هذا الاستدلال وعلّته هو الآتي:

- إنَّ هذا التعميم[١٧] مستند إلى ملاحظة بعض الأفراد حين الاستقراء وممن تمكّن منهم، فإنّ الحكم المتكون لم يلاحظ جميع أفراد الموضوع الذين ممكن شمولهم بالملاحظة، لهذا فالحكم المتكون لا يكون إلا ظنّيًّا ((وإنّما يؤدّي إلى حكم ممتدّ في حدود الأفراد الموجودة التي تمّ فحصها خلال عمليّة الاستقراء. ذلك أنّ الاستقراء وحده لا يمكن أن يثبت منطقيّاً ذلك الحكم إلا في اللحظات التي تمّت فيها عمليّة الاستقراء))

[١٨]، وعلى هذا الأساس فهو غير مفيد لليقين؛ إذ ربما يكون حكم ما لم يستقرأ بخلاف ما استقرئ [١٩]، فكيف نصل إلى حكم شمولي وتعميم يقيني أنَّه (كلّما وجد البشر لزم أن يصدر منه تلك الآثار حتماً)؟ وأن يكون الدَّاعي لأفعاله هي الطبيعة البشرية .

- إنَّ هذا التعميم مستند إلى ملاحظة ظروف الاستقراء حال وقوعه ولم يلاحظ الأمثلة التي لم تقع بعد، ولا تغيير ظروف الحالات الجزئية في وقت آخر، فيبني الاستقراء حكمه على هذا الاطراد الواقع بين الأمرين واستمراره كلّما ظهرت حالات مشابهة لاحقة، وهو بناء ظنّيّ احتمالي لا يولِّد يقينًا فلا يصحّ بناء الحكم عليه.

قد يقال إنَّ الاستقراء النّاقص وإن كان لا يولِّد يقينًا في المرحلة الأولى (مرحلة مشاهدة الحالة الجزئية وتجميع مصاديقها) فإنَّ الحكم فيه ليس قطعياً؛ غير أنَّه ومن خلال ملاحظة العلة الواحد في ثبوت الوصف المشترك لعموم الجزئيات المشاهدة فيعرف أنَّ الوصف إنَّما ثبت لتلك الجزئيات لعلّة أو خاصّيّة مشتركة في عموم النوع[٢٠]، فيجزم بحكمه على جميع النوع – حتى مالم يُستقرأ – وبهذا يرفع ذلك الظن إلى يقين ويفيد علماً[٢١] .

غير أنَّ هذا متوقّف على أن تكون العلّة البشرية التي استظل بها المفسرون علّة حقيقية، ورابطة سببية ذاتية بين الأثر الصادر من النبي وبين الطبيعة البشرية لنفسه الكريمة، وكذلك فإنَّه مدفوع بالآتي:

حصر طبيعة السببية لكل موضوع مخالف لحكم العقل بوجود أسباب أخرى خفية عن المستقرئ[٢٢]، فإنَّ التعميم (كل إنسان يخطئ وتتأثر عواطفه بالظّروف المحيطة ويميل إلى رغباته ويسهو و...) كل ذلك يقع بسبب الطبيعة البشرية، فهذا مخالف لاحتمال وجود سبب آخر لتلك الهيئات النفسية وآثارها غير متعلق بالطبيعة البشرية فإنَّ ((أيّ ظاهرة إذا اقترنت بشيء خلال الاستقراء، فإنّه لا يكفي هذا الاقتران لإثبات أنّ أحدهما سبب للآخر، ما دام من الجائز أن يكون للظاهرة سبب آخر غير ملحوظ قد اقترن صدفة بالشيء الملحوظ خلال الاستقراء)) [٢٣] ولا سيما وأنَّ القول هذا يؤدي إلى قهر الإنسان على أفعاله؛ لذلك لاحظ الاستقراء أنَّ المقدمة الصغرى الملاحظة من مجموعة أمثلة لا تكفي في تكوين واستنتاج أي نتيجة يقينية للحكم؛ لهذا قفز إلى تكوين كلية حتى يعمم اليقين عليها، وهي قفزة بلا دليل ولا مسوّغ لانعدام جهة الملازمة بينهما .

إنَّ اقتران ظاهرتين مهما تكرر لا يبرهن على أنَّ السّببيّة بينهما هي ذاتية بحيث لا تنفكّ ولا يكون غيرها[٢٤]، فلعلّه أن تكون تلك الآثار والهيئات النفسية غير مرتبطة بسبب، فوجودها تلقائي، وعلى هذا الأساس فليس من الضروري أن يكون الأثر في كل فعل إنساني من تلك الأسباب؛ لأنَّ السّببية العامة تحكم أنّ لكل أثر علّة لكنها لا تعمم العلل ولا تعين نوعها [٢٥]

- إنَّ آثار البشرية أمر نسبيّ في عملية التّحكم بما يصدر عن الإنسان، فإنَّ استقراء بشرية الإنسان بإمكان

صدور تلك الآثار عنها لا يدل على صدورها فعلاً وبالتساوي، فإنَّه غير بعيد أن تختلف بالخصائص والمقوّمات من شخص إلى آخر مما يؤدّي إلى اختلاف علاقاتها بموضوعاتها، ولاسيما مع ملاحظة الخصائص والمقوّمات الوظائفية.

إنَّ طبيعة عمل المستقرئ هو ملاحظة الحالة الجزئية ووجه العلة فيها، مع ملاحظة العوارض الذّاتية والطارئة على وصفها وحقيقتها، فيتغير حكم الاستقراء تبعاً لطروء العوارض وثبوتها، وتدخل العصمة وحيثياتها هنا لتحديد وظيفة وحدود العوارض البشرية ودورها في صياغة الفعل النّبوي، وهذا ما لم يلاحظه المفسرون وجعلوا لعوارض بشرية الشخصية المحمّدية مهمّة ثابتة تشترك مع عموم البشر مجردة عن آثار العصمة، وقد اعتنى المنطق الحديث في دقّة الملاحظة والالتفات إلى ذاتيات المستقرَأ وعوارضه وتحليل الجانبين من خلال ((عزل صفات الشيء أو عناصره بعضها عن بعض حتى يمكن إدراكه بعد ذلك إدراكاً واضحاً))[٢٦] فرسول الله ﷺ وإن كان له عوارض وآثار للطبيعة البشرية غير أنّها منضبطة بميزان العصمة، وإن اتصفت بذات الاسم مع عموم البشر فإنَّه ترفع عنهم من جهة النبوة والعصمة، وإلا فما مزية الاصطفاء من بين الخلق ؟ ومن هذا المنطلق كان على المفسرين لحاظ آثار العصمة وأنّها أخرجت الدليل الاستقرائي من ذلك التعميم لتكون تلك العلة خارج تخصيصًا عن ذات الموضوع المستقرَأ.

اشترط المناطقة لتعميم الحكم النّاتج من الاستقراء أن تكون الجزئيات المستقرأة متماثلة ومتشابهة في المقومات الأساسية والأوصاف المؤثرة في الحكم، وهذا التماثل يستخلص من خلال الدقة في الملاحظة التي تنفي الفوارق المؤثرة في إيجاد التشابه، فإنَّ ((مدار الاستدلال جميعه على التسوية بين المتماثلين والفرق بين المختلفين))[٢٧] ولا شكّ أنَّ أهمّ مقوم للاختلاف فيما بين البشر هو الفعل الخارجي والآثار الصادرة من الإنسان التي تنضبط بمبدأ النفس والإرادة وأنَّ العصمة هي المقوّم والمرجع الأساس لتقويم ورفعة الفعل النبوي؛ لذلك فإنَّ التساوي من جهة الطبيعة البشرية لا يصح تعميم حكم آثارها على فعل الإنسان الخارجي ما لم يلاحظ آثار العصمة وقوّة تحكّمها في الفعل النبوي، مما أدّى إلى الاختلاف النوعي في الفعل والأثر مهما اتفقت المسمّيات .

- قرر علماء المنطق والأصول لتكوين القاعدة الكلية الاستقرائية وجعلها سارية على ما لم يتم ملاحظته:

أ- أن تكون المناسبة – التي على ضوئها اجتمعت الجزئيات – غير قابلة للنقض: فإنَّ امتناع فرد عن التطبيق يجعل القاعدة منقوضة خالية من الاطراد، ويسجل ذلك في استقراء حال الأنبياء عليهم السلام مع عموم البشر، فإنّ خروجهم وتفردهم على كثير من الخلق مما سبب اصطفاءهم؛ يجعل منهم استثناء من القاعدة فلا يشملهم حكمها، وقد قرر هذا المعنى الغزالي في استفادته من النص الكريم في رد الله على اليهود قولهم **(وَمَا قَدَرُوا**

اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) بقوله تعالى **(قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ)**[٢٨] إنّهم ((ادّعوا أنَّ الله ما أنزل على بشر من شيء، وهذه دعوى عامة، ثم كانوا سلَّموا أنَّ موسى بشر، وأنَّ موسى منزَّل عليه الكتاب فانتقض به دعواهم))[٢٩] فقد ادّعى اليهود تلك القاعدة الاستقرائية العامة بإنكار نزول الوحي على البشر، غير أن المنهج القرآني أنكر ذلك التعميم بخروج ما ينقض كلامهم من موارد التعميم وهو نزوله على موسى؛ لتبطل تلك القاعدة الاستقرائية بفساد المناسبة التي ادّعوها. وكذلك الحال في موضوع الاستقراء الناقص في المنهج الذي اعتمده المفسرون للحصول على الدلالة من النص باعتمادهم على نصوص قرآنية ظاهرها يؤيّد ما يريدون، متغافلين عن بقيّة النصوص التي تنقض أغراضهم وتفسد دلالتهم، وهذا الإغفال سواء أكان من استحكام الأثر الروائي على منهجهم التفسيري أو المثول أمام الظواهر من دون رعاية الثوابت النبوية والموقف القرآني العام من خصائص الأنبياء وامتيازاتهم .

ب- دخول الحالة الجزئية المستقرأة تحت القاعدة بشكلٍ تامّ مما يستدعي ضرورة قطعية لفهم الحالة، ومدى دخولها تحت القاعدة وثبوت فاعلية القاعدة عليها، حتى لا يدخل في القاعدة ما ليس منها لأنّ الحالة الجزئية المستقرأة تتجاذبها عوارض، وتغيّرها مؤثرات، وتحكمها وظائف.

لذلك فإنَّ الموارد – القرآنية والروائية – التي قيل بتأثير البشرية فيها كان لا بد من وعيها بشكلٍ لا يتعارض مع ثوابت المهمّة الرّسالية، وأن لا تؤثّر عليها وتجتذبها العوامل الوظائفية كمهمّة النّبوة والعصمة، ساعتها ممكن الحكم بصحّة القاعدة الاستقرائية وصحّة تعميمها على ما لم يستقرأ.

ت- أن يكون المحل قابلاً لاعمال النتيجة وخالياً من الموانع: فلا يصح تطبيق القاعدة على كلّ ما لاح مبدئياً دخوله تحتها إلا بعد الفراغ من انتفاء الموانع الحائلة دون تطبيق النتيجة عليه[٣٠]، وهذا الشرط كغيره من وجود الضرورات النبوية وأثر العصمة؛ مما يشكل وجود ممانعة عن الخطيئة والتّساهل مع ضوابط الشّريعة، وكذلك لو طبّقنا هذه القاعدة على المنهج التفسيري لأيّ مفسّر الذي كانت تنبعث أمامه وفرة من الآيات التي تُمانع من تصوّره الخطأ على النبي واحتماله انطباق العتب عليه ﷺ فكيف كان يغفل عن تلك الجوانب ويذهب إلى دلالاته التي فرضتها العوامل الرّوائية !

لا نريد باستثناء أهل العصمة من تعميم القاعدة الاستقرائية – في تأثير الطبائع البشرية على الأثر الصادر – أن تهدم القاعدة من الأساس وتتعطل فاعليتها؛ بل أن تبقى تلك الحالات الجزئية المستثناة لها خصوصياتها المنصوص عليها والمقرّ بها عقلاً التي تخرجها تخصيصًا من المقتضى الكلّي للقاعدة، وبهذا ممكن الاحتفاظ بكلية القاعدة وتعميم حكمها مع رعاية الاستثناء، فإنَّ ((الأمر الكلي إذا ثبت كلّيًّا، فتخلف بعض الجزئيات عن

مقتضى الكلي لا يخرجه عن كونه كلياً ... فالكلية في الاستقرائيات صحيحة، وإن تخلف عن مقتضاها بعض الجزئيات. وأيضًا فالجزئيات المتخلفة قد يكون تخلفها لحكم خارجة عن مقتضى الكلي، فلا تكون داخلة تحته أصلاً)) [٣١] . لهذا فإنَّ الجزئي الخارج بالضرورة والخصوصية إذا أصررنا على دخوله في القاعدة فإنَّ ذلك يعد خرمًا للقاعدة، وتعطيلاً لعموميتها، وقد خرج أهل العصمة عليهم السلام وعلى رأسهم رسول الله محمد صلى الله عليه وآله عن حكم آثار الطبائع البشرية وسلطتها في التّحكم بما يصدر عنهم، والإصرار على دخولهم في القاعدة مؤثّرًا في التعميم.

قد يقال إنَّ الاستقراء الناقص ممكن أن ينتج اليقين اعتماداً على نظرية حساب الاحتمالات[٣٢] وتراكم الظّنون المتاخمة للعلم إلى توليد اليقين، غير أنَّ هذا مردود للسببين الآتيين:

أ- إنَّ المعرفة اليقينية المتولّدة من نظرية الاحتمال مرجعها إلى التّوالد الذاتي في نمو المعرفة [٣٣]، في حين أن استقراء المفسرين مرجعه إلى التّوالد الموضوعيّ؛ لأنّه متكوّن من مقدّمات موضوعية ونتيجة متولدة من المقدمات وملازمة له .

ب- إنَّ النّتيجة المتولدة من الذاتي تفتقر إلى التلازم بينها وبين موضوع المقدمات، فهي قفزة على خطوات الاستدلال، فإنَّ التعميم المتولّد من الذاتي بواسطة الأمثلة لا يوجد أي تلازم بينه وبين الأمثلة [٣٤]

لهذا فإنَّ بؤر الشّبهة الاستدلالية في الاتجاهين هي في طبيعة الاستقراء في الأولى واعتبار ما ليس بعلّة علة في الثانية، فإذا ما علمنا بفساد الكلية العقلية التي استعملها الاستقراء بالاعتماد على وجود علّة غير صحيحة لتكوينها نعلم من خلاله فساد النتيجة التي خرج بها الاستقراء، وهي (كل بشر يسهو وينسى ويخطأ ويتأثّر بميوله وعواطفه) من دون مراعاة الخصوصية والضرورة، ولا مراعاة الاقتضاءات والموانع، وعلى هذا لا يصح اعتماد البشرية كمسوغ لقبول ما جاء في الروايات التي تظهر رسول الله صلى الله عليه وآله بالمظهر الخطأ.

الدفع الثاني (الدفع الحلي):

بشرية النبي صلى الله عليه وآله وظيفة متمّمة للرسالة

شكّل الجانب البشري في الأنبياء ذريعة للقول بأنَّهم يقعون بما يقع فيه البشر، من تأثيرات النفس والعاطفة والميول والرغبات، فالسهو غير ممتنع، والذنب والغفلة والنسيان والتعجل بالحكم، كل ذلك مما جبلت عليه الطبيعة البشرية . وللبحث في دفع هذا الشبهة البيان الآتي:

إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن بدعاً من البشر من حيث تشخصه ووظائفه الفسيولوجية – العضوية والحيوية- ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾[٣٥]، وأن حياته متّسقة مع الاعتبارات الطّبيعية في استدامة النّوع، وما يترتب عليه

في نظم السلوك الخارجي ، والتفاعل إلاجتماعي، وحضوره في زخم الأحداث، فوظيفته كبشر ((ذلك بحسب هذه النشر الظاهر))[٣٦]؛ أي: ظواهر التفاعلات الاجتماعية والوجود الإمكاني، فهو من هذه الحيثية سواء (مثلكم)؛ أي: تلخيص هذه المثلية في البنية الطبعية والطبيعية للبشر، ونظم السلوك ونظام العلل والأسباب.

وبطبيعة التفاضل القائم بين البشر في مستوى الأثر والفاعلية ((إنَّما يتفاضلون فيما يختصّون به من المعارف الجليلة والأعمال الجميلة)) [٣٧] التي تعبِّر عن القيم النفسية والروحية، فقد تفاضل رسول الله ﷺ عليهم، إضافة إلى الوجود والقيم التي اكتسبها من الوحي وآثاره وصلته بالله، وانعكاسات رواشح آثار التوحيد، وآثار الكتاب في نفسه فقد دفعت به إلى ذرى القيم الروحية السامية.

فتقطيع النّص (**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**) وإن كان ممكنا من الناحية الظاهرية لكنه ممتنع من النّاحية الواقعية؛ لأنَّ النّبوة إنَّما ارتفعت عن عموم البشر إلّا من الجانب الرّوحي، وصلتها بالوحي، وأسباب الاصطفاء الذي ضبطته العصمة، فقد ورد عنه ﷺ ((لي وقت لا يسعني فيه غير ربي)) [٣٨] لأنَّه في تجلٍّ خاص به ((ولهذا أضافه إليه فقال ربّي ولم يقل الله)) [٣٩] وهذه الأوقات روحية تأمّليّة خارج تصوّرات البشر، و هي من صيّرتهم بتلك المنازل الرفيعة والكرامة فإنَّ الله ﷻ ((يمنّ على من يشاء بالفضل والكمالات والاستعدادات التي يدور عليها فلك الاصطفاء للرسالة)) [٤٠].

وأمّا من جانب وظيفة هذه البشرية فهي لضرورة وجوده في النّوع الإنساني؛ لتتم الحجّة ((فلو كان من جنس الملائكة لصعب الأمر بسببه على الناس))[٤١] ولهذا كان من صنف البشرية ليكون أقرب للألفة والتفاعل وأدنى لفهم الحجّة مما يؤدّي أن تأنس الناس به تختلط معه ﷺ[٤٢]، فالجانب البشري في الأنبياء هو جانب صوري لا لرابطة حقيقية[٤٣]، بدليل أنّ في الإسراء خرق لحدود البشرية، وانتفاء لضرورتها؛ لاختلاف سنخية العالمين وعدم تداخل العوالم، وعلى هذا فإنَّ الوظيفة البشرية غير داخلة في أساسيات الحقيقة النبوية حتى تؤثرة في الفعل النبوي، وترسم آثاره .

فيظهر أنَّ وجوده ﷺ الكلي (الروح وإلادراكات و الظواهر) أعمّ من وجوده البشري، والعموم حاكم على الخصوص ؛ فيدخل الخصوص في العموم ؛ لهذا قال العرفاء (إنَّ البشرية في حقيقته عارية) وتقتصر على وجود الوظيفة ومتعلّقها، والوظيفة هي التبليغ والقيادة، وأمّا متعلقها فهو تكليف الأمّة، فالواجب التبليغ وما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب، أو مقدّمة الواجب واجب، ولا يتم التبليغ من دون المشتركات مع النوع الإنساني؛ لهذا نصّ القرآن على المثلية البشرية في النّص المتقدّم ليثبت حدود الوظيفة لها من دون إرادتها لذاتها [٤٤].

فلا يصح التّغافل عن الطّبيعة الرّوحية وتأثيرات الوحي، والعصمة ومجمل معايير الاصطفاء ويختصر فهم الأثر

النبوي على الجانب البشري، مستقطع من عموم وجوده، ثم يعمّم الاحكام عليه ((فقد نمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار، وعلى غير الاختيار))[٤٥] وهذا الخروج هو بحسب القيم الروحية والعلاقة مع السماء؛ لأنَّ النّبوّة تتطلّب تفرّد في جهات متعدّدة عن العموميات المشتركة في النوع الإنساني لأنَّها ((انتزاع كائن بشري من بيئته إلى شيء يتميّز به عن مفردات تلك البيئة وشخوصها من أجل أن يؤدّي مهمّة ارتباط بسلطان من وراء الطبيعة))[٤٦] وبقاؤه بلا تفرّد يعني غياب الحجّة والمسوّغ لممارسة مهمّته التبليغية، وفي دعاء الإمام في نهج البلاغة ((استخلصه في القدم على سائر الأمم على علم منه به انفراد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس))[٤٧] وهذا الاستخلاص والاختصاص بسبب تفرّده عن التّشاكل التماثل من أبناء جنسه في الجانب الروحي الذي كان أشدّ وأمضى تأثيرًا في صياغة ما يصدر عنهﷺ وقولبته على وفق الإرادة الإلهية .

ومن جهة القرآن فقد أكَّد وكرّر بشرية الأنبياء لتحقيق غرضين:

الأوّل: بيان حقيقة الرسل والأنبياء لإبعاد شبهة الالوهية عنهم؛ لأنَّه تعالى زوّدهم بإمكانات تفوق قدرات البشر، مثل الهيمنة على نار إبراهيم، وفلق البحر لموسى، وعمل العصى، وتفويض الرّياح لسليمان، وخلق الطير لعيسى، فحتى لا يجتر العقل إلى إلوهيتهم، ويؤثّر ذلك التصور في هدف الدعوة في التوحيد صرّح القرآن ببشريتهم لبيان تبعيتهم لله، وليس لضرورة تعلّق البشرية في المهمّة النبويّة .

الثاني: بيان السنخية، أنَّهم بشر مثلكم حتى تكون أبجديات التواصل طبيعية، ولعدم استعداد الناس للاتصال مع عالم الغيب بلا واسطة.

وهذا التّسامي المستمر في شخصية النبيﷺ الذي نعته القرآن بأوصاف كثيرة كبيرة هو في الجانب الروحي لا في الجانب البشري، فإنَّ الجنبة البشرية تراوحت في مكانها لا تراتبية في قيمها، خلافاً للروح فهي تعرّج في الكمالات، أي البشرية تبقى متأخرة عن كل الوجودات الأخرى فيه ((الجنبة البشرية مشتركة بيننا وبين النبي وهي أولى مراتبه آخر مراتبنا هي بداية مراتبه كما أنَّ آخر مراتبه هي الجنبة الوحيانية وله بين المرتبة الأولى والأخيرة مراتب لا تحصى))[٤٨] لهذا قدّمنا بأنَّها جزء من الوجود الكلّي .

مع هذا البيان يتجرّأ خيال الإنسان وقدرته في الانتزاع والتجريد، ثم المحاكاة واقتناص التّشابه في النّوع الواحد، وتخيله إمكان وقوع ما عنده وعند الآخرين إلى الجرأة بعكسها على المقام النّبوي والحال ((أنَّ المماثلة في البشرية لا توجب المماثلة في جميع الكمالات الصورية والمعنوية))[٤٩] وهذا الضّعف في ملاحظة حقيقة المقام النبوي يعود سببه إلى استئناس الإنسان بالجانب الحسّيّ الذي أثَّر على معرفته برسول اللهﷺ، فتارة تُغلق الدّائرة على

الجانب البشري (إنّما أنا بشر مثلكم) وتارة تُغلق على الجانب الوحياني (يوحى إليّ) وأخرى يوازن بين الاثنين. نعم هو بشر مثلكم لكنه اختلف في أنَّه يوحى إليه، فجعل الجانب البشري طريقًا وظائفيًّا للجانب الإيحائي، والمسألة راجعة طرديًّا وعمق الفهم والشعور الديني للشخصية النَّبوية، فكلّما غلب جانب ضعف آخر، غير أنَّه لايزال القرآن قيد الجانب البشري إلى جانب الوحي (يوحى إليّ) وإلى مقامه العالي عند الله (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ) فهذا يُشكّل قاعدة مرجعية، تدفع بالمعرفة والشعور الديني إلى فهم أعماق، ليقف على معاني أكثر غورًا في الحقيقة النّبوية، وعلى هذا الأساس رسم القرآن صور عديدة للنبيﷺ بمستويات إفهامية متنوّعة، تتناسب وطبيعة كلّ شخص وإدراكه، فمنها لتبيين مقامه، ومنها للاهتداء به من جهة بشريته وسموه .

فمن وقع في شبهات البشرية هو بسبب ضعف المعرفة والشعور الديني الذي هوّن القيمة الواقعية للنبي في عينه حتى جعله بشرًا عاديًّا، يسهو، وينسى، ويطمع، ويشك، ويخطأ ويصيب، ويغفل .. إلخ

ومن لَحَظَ الحقيقة من زاوية لائقة برسول اللهﷺ لوقف على أنَّ وظيفة الجانب البشري في عالم التكاليف وعلاقاته مع الناس، ووظيفة الجانب الروحي لبيان مقامه الإلهي والعلاقة مع الله، وإنَّ الجانب الروحي يهيمن على آثار الجانب البشري فيمنعه عن كلّ ما يخالف مقتضيات البعثة ويدفعه – بلطف الله– نحو كلّ ما يرفع منزلته ، ويتكافأ الجانبان في الخارج الاجتماعي لإنجاح الوظيفية الرّسالية ﴿**قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إلا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤)**﴾[٥٠].

الهوامش:

(١) الحشر ٧ .

(٢) ظ: النيسابوري . غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج: ٥/ ٩٢ + القرطبي . الجامع لأحكام القرآن، ج ١٢ / ٨٠ ؛ الرازي . مفاتيح الغيب، ج: ٢٣/ ٥٤ ؛ الجصاص . أحكام القرآن، ج: ٣/ ٣٢١

(٣) الأحزاب: ٣٧ .

(٤) ظ: تفسير البغوي، ج ٣/ ٥٣٢ ؛ السمعاني . تفسير السمعاني، ج: ٤ / ٢٨٧ + الخازن . لباب التأويل في معاني التنزيل، ج: ٣/ ٤٢٨ ؛ أبي السعود . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج: ٧/ ١٠٥

(٥) الإسراء: ٧٣-٧٤

(٦) الماتريدي . تأويلات أهل السنة، ج: ١٠/ ٥٦٠

(٧) ظ: الإيجي . المواقف، ج: ٣/ ٤٤٩

(٨) (الإمكان الوقوعي): وهو كون الشيء بحيث لا يلزم من فرض وقوعه محال، أي ليس ممتنعًا بالذات مثل اجتماع النقيضين، أوممتنعًا بالغيرمثل عدم المطر لعدم الغيم، فهو سلب الامتناع عن الجانب الموافق (الإمكان الاستعدادي): وهو نفس الاستعداد ذاتا، فكلّ شيء في عالم الطبيعة يحمل استعداد التحول والصيرورة إلى شيء آخر. ظ: الطباطبائي . بداية الحكمة، ص ٦٤

(٩) الاستقراء: هو الاستدلال على حكم كلّي عن طريق المتابعة لأحكام جزئياته، ويتم ذلك من خلال التتبع لإفراد الموضوع وملاحظته للوقوف على حكم عام وقاعدة كلية .

فتارة يكون التتبع لتمام أفراد الموضوع؛ للوقوف على حال كل واحد منه والخروج بحكم شمولي، فذلك ما يسمى بالاستقراء التام، ومثاله تتبع جميع طلاب مدرسة معينة وملاحظة أن جميعهم بنين، فيحكم أن هذه المدرسة مدرسة بنين والاستقراء الكلي منتج لليقين ويحتج فيه؛ لأنَّ المقدمات والجزئيات المتتبعة تمثل مقدمات يقينية للوصول إلى النتيجة .

وتارة يكون التتبع والملاحظة لعدد معين من أفراد الموضوع، وتكوين قاعدة وحكم شمولي من تلك الملاحظة وذلك التتبع، فذلك ما يُسمّى بالاستقراء الناقص ومثاله تتبع بعض أفراد المدرسة، وملاحظة أنَّ أعمارهم تتراوح بين ١٢-١٤ سنة، ومن دون ملاحظة الأفراد الآخرين فيحكم - على وفق هذا التتبع الجزئي - ان طلبة هذه المدرسة جميعهم تتراوح أعمارهم بين ١٢-١٤ سنة، فيُلاحظ أنّه استقراء يسير من الأجزاء الخاصة إلى الكليات العامة خلافًا للاستقراء الكامل فإنَّ النتيجة فقه تجيء مساوية لمقدماتها . ظ: الصدر، محمد باقر،

الأسس المنطقية للاستقراء، ص٢٦ ؛ المظفر . المنطق ص٢٥٦-٢٥٧ .

وعرفه الغزالي أنَّه: تصفح أمور جزئية ليُحكَمَ بحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات . المستصفى ص٦٤ . وأيده الشاطبي عليه . ظ: الموافقات، ٣/ ٢٩٨

(١٠) ظ: الطوسي، نصير الدين(الخواجة) ؛ الشيرازي، صدر الدين (ملا صدرا) . الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد، ص١٨٨

(١١) اشترط علماء المنطق في صحة البرهان أن تكون مقدّماته قضايا يقينية ؛ لكي تنتج بذاتها نتيجة يقينية . ظ: المظفر، المنطق، ص٣٠١

(١٢) وهو تقوية حكم ودلالة على أخرى؛ لوجوده مطّردًا في أكثر الحالات الداخلة تحت نوع واحد . ظ: الطيب السنوسي أحمد. الاستقراء وأثره في القواعد الأصولية والفقهية: ١٤٢ والتقييد بوجوده مطردا يدل على علم المستقرئ بوجود حالات لم تستقرأ بعد ولم يثبت فيها الحكم .ولابن جزي الكلبي تعريف لعموم الاستقراء الناقص لا يبتعد مفهومه عن التغلبي وأغلب الظن ينطبق عليه، وهو قوله ((أن ينظر الحكم في كثير من أفراد الحقيقة فيوجد فيها على حالة واحدة، فيغلب على الظن أنّه على تلك الحالة في جميع أفراد الحقيقة)) تقريب الوصول إلى علم الأصول (المقدمات المنطقية): ص١٤٨.

(١٣) جامع البيان في تأويل القرآن:١٨/ ٤٥٣.

(١٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ١/ ٨٩.

(١٥) ظ: المظفر . المنطق، ص٤١٧ . فيقع الخلل في المقدمات بملاحظة النتيجة باعتبار أنّها ليست مطلوبة هنا .

(١٦) والعكس أيضًا صحيح فإنَّ منهج تنظيم المعلومات وهيأة الاستدلال في الذهن قد تكون غير صحيحة، حتى وإن كانت المواد المعلوماتية صحيحة فذلك قطعًا سيؤدّي إلى فساد النتائج وبطلانها . ظ: المظفر، محمد رضا . المنطق، ٢٥٦-٢٥٧

(١٧) اصطلح أصحاب المنطق الحديث على هذا التعميم والاطراد (بمشكلة الاستقراء) وهي ثغرة مخلة في الاستدلال تؤثّر في الاحتجاج به، وتتمثّل المشكلة في أنَّ نتيجة الاستقراء لا تنحصر في الجزئيات المستقرأة؛ وإنَّما تعمّ جميع جزئيات النوع المستقرَأ، وقد تنبّه المتقدمون لتلك الثغرة بقول ابن حزم ((ينبغي لكل طالب حقيقة أن لا يسكن إلى الاستقراء أصلاً إلّا أن يحيط علمًا بجميع الجزئيات التي تحت الكل الذي يحكم به، فإن لم يقدر فلا يقطع في الحكم على ما لم يشاهد، ولا يحكم على ما أدركه دون ما لم يدرك)) التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه . ص١٦٥ .

(١٨) الصدر، الأسس المنطقية، ص٣٥

(١٩) الشيرازي، ملا صدرا (ت: ١٠٥٠هـ) . اللّمعات المشرقية في الفنون المنطقية، ص٣٢ + الميداني . ضوابط المعرفة: ص١٨٩

(٢٠) يراد منه النوع المنطقي، فالإنسان بالنسبة لعموم البشر نوع واحد يشترك في الناطقية وهي قدرة التفكير، وبالنسبة للحيوان فيشترك معه في جنس الحيوانية (في خاصية المشي مثلا) .

(٢١)المظفر، المنطق: ٢٥٨

(٢٢) ظ: المظفر . المنطق: ٢٥٩

(٢٣) الصدر، الأسس المنطقية، ص٤٢

(٢٤) ظ: الصدر، الأسس المنطقية، ص٤٣ . وقد تنبه الشهيد الصدر هنا إلى المشكلة الأساسية للاستقراء وهي بناء الحكم على وفق الاطراد عند المناطقة وليس على وفق الاقتران كما هو عنده .

والاطراد: في اللغة هو التتابع، واطَّرَدَ الشيءُ: تَبِعَ بعضُه بَعْضًا. ظ: ابن منظور . لسان العرب: ٣/ ٢٦٨ . مادة (طرد)

وفي الاصطلاح: هو ثبوت التلازم بين ظاهرتين بحيث تكون أحدهما متبوعة بالأخرى وعبروا عنه بالتلازم في الثبوت . ظ: الشنقيطي . نثر الورود: ٢/ ٥١٩

وعللوا ذلك بأنّ هذا التلازم يكشف عن طبيعة العلاقة بين المتتابعين بعلية إحدى الظاهرتين للأخرى في الخارج، مما يكشف عن واقع مستمر يغلب الظن بدوام التتابع، وإنَّ العلاقة بين الأسباب والمسبّبات لا يمكن أن تتخلف مع توفر شروطها . ظ: ابن النجار . شرح الكوكب المنير: ٤/ ٤٢٠ + جماعة العلماء . الإبهاج في شرح منهاج الوصول لابن السبكي: ٣/ ١٧٤

وفي ذلك قال الغزالي ((أن الاستقراء إن كان تامًّا رجع إلى النظم الأول وصلح للقطعيات، وإن لم يكن تامًّا لم يصلح إلّا للفقهيات لأنَّه مهما وجد الأكثر على نمط، غلب على الظن أنّ الآخر كذلك)) المستصفى: ٤١ .

(٢٥)ظ: الصدر، الأسس المنطقية، ص٤٢ والمثال الذي استعمله في خصوص التمدد والحرارة.

(٢٦)محمود قاسم . المنطق الحديث: ٢٦٤

(٢٧)ابن قيم الجوزية . إعلام الموقعين عن رب العالمين: ١/ ٢٧- ٢٨

(٢٨)الانعام: ٩١

(٢٩) أساس القياس: ٣٠.

(٣٠) ظ: القرافي (ت: ٦٨٤هـ)الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق: ٢/ ١٠

(٣١) الشاطبي . الموافقات:٢/ ٨٣ – ٨٤.

(٣٢): نشأت نظريات الاحتمالات الرياضية على يد العالم الفرنسي (بليز باسكال "Blaise Pascal") (ت: ١٦٦٢م) فهو أوّل من ساهم في حساب الصدفة – المباين لليقين في أنّ شيئًا يحدث ولا ضرورة في ذلك الحدوث وكان من الممكن أن لا يحدث، فحدوثه وعدم حدوثه محتملان وعلى هذا الأساس فتصور حال الصدفة تصور علاقي مثل تصوّر الضّرورة والاستحالة من هنا نشأت نظرية الاحتمال في أنّ ارتباط قضيّة معروفة لنا تمامًا بقضيّة أخرى مجهولة تتضمن معطيات موجودة لدينا وعلى ضوئها نستطيع أن نحدّد درجة الاحتمال – حينما انشغل بسؤال بعث إليه أحد لاعبي الطاولة، يسأله عن تحديد احتمال الحصول على زهرة واحدة على الأقل وجهها عليه الرقم(٦)، وكان مجالها في علوم الرياضة من الرياضة البحتة في أنَّ القضية الاحتمالية ليست يقينية ولا مستحيلة وإنَّما تقف بين اليقين والاحتمال، وهذا الاحتمال ناشئ من وجود أسباب تدعوا لحدوثه تتغلّب على الأسباب التي تدعوا إلى عدم حدوثه، وتكون درجة الحدوث أكثر من العدم ما لو قارنّا الأمرين، مثلاً إذا دلّنا الإحصاء عند الأطباء أنَّ الرجل الذي بأحد أعضائه جرح وعولج بجرعة من البنسيلين وقد التأم هذا الجرح ولاحظوا أنَّ من بين كل عشرة مرضى شفي تسعة نقول أنَّ درجة الاحتمال شفاء الرجل المجروح والمعالج بالبنسيلين هي ٩/ ١٠.

وهناك نظريات احتمال تعالج المسائل الرياضية البحتة، كما هناك من تعالج مشكلة الاستقراء منها: نظرية تكرار الحدوث المحدودة ونظرية اللورد كينز: ظ: د . محمود زيدان . الاستقراء والمنهج العلمي: ١١٩. وللتوسعة يراجع المصدر السابق: ص١١٥-١٣٤.

(٣٣) عرض السيد محمد باقر الصدر نظرية الاحتمال في كتابه الأسس المنطقية للاستقراء، وقد قرأ تلك النظرية بشكل وكيفية تُستَثمَر في العلوم وبيانها في نظرية المعرفة من خلال عملية إنتاج المعرفة ونموّها، حيث ذهب الاتجاه التجريبي إلى انحصار مصدر المعرفة بالتجربة والحس ولا توجد أي مصادر أخرى ولا معرفة مسبقة عن الحس والتجربة، أمّا الاتجاه العقلي فيرى إمكان تحصيل المعرفة وإدراكها بصورة مستقلة قبل الوجود الحسي والتجربة، بل إنَّ هذه القضايا تمثّل الأساسيات التي ينطلق منها العقل إلى المعرفة وتحديدها وتطويرها، وأنّ للمعرفة اتجاهين في طبيعة نموها وإنتاجها لمعارف أخرى من خلال هذه المعارف الأولية وهي:

الاتجاه الأول: الاتجاه العقلي: وهو يرى وجود طريق واحد لنمو المعرفة وهو (التوالد الموضوعي) بحيث يعتمد المنتج للمعرفة على موضوعات أوّليّة، ويترتب عليها مقدّمات وأقيسة للحصول على النتائج، ويعتمد

على وجود تلازم بين القضية المراد إنتاجها والقضايا التي يستدلّ بها مثل (علي إمام، وكل إمام ينص عليه من الله للخلافة، فعلي منصوص عليه من الله للخلافة) فنلاحظ أنَّ النتيجة(فعلي منصوص عليه من الله للخلافة) مبنية على موضوعات سبقتها وهي (علي إمام و كل إمام ينصّ عليه من الله للخلافة) ومتلازمة معها من حيث دورانها على موضوع واحد، وهذا المذهب العقلي في القياس هو ما اعتمده المنطق الأرسطي في إنتاج المعرفة العقلية، ويؤمن هذا المذهب بأنَّ الأمثلة المستعملة في الاستقراء في صغرى القياس لا تكفي وحدها في إنتاج تعميم وكلية شاملة؛ ذلك لانعدام التلازم بينها وبين النتيجة ما لم ندخل الكلية القبلية العقلية وهي في المثال (كل إمام منصوص عليه من الله للخلافة) .

الاتجاه الثاني: الاتجاه الذاتي: وهو ما يؤمن بإمكانية أن تنشأ معرفة ويتولّد علم من غير تلازم بين موضوعي المعرفتين (المقدمات والنتيجة) وإنَّما التلازم المفروض هو التلازم الذاتي من نفس المعرفة، فهو يحاول استنتاج وتوليد قضية من قضايا أخرى من دون تلازم بينهما، وهذه المعارف التي يستنتج منها الذاتي نتائجه ويعتمدها كمقدمة مبدأ عدم التناقض والتعميمات الاستقرائية (مثل كل إمام منصوص عليه من الله للخلافة) التي تستنتج من مجموعة أمثلة وشواهد لا يوجد بينها وبين التعميم تلازم، والعلم بهذا التعميم ينشأ عن طريق العلم بتلك الأمثلة والشواهد على أساس التوالد الذاتي .

وهذه الطريقة لا تلغي دور التوالد الموضوعي ولا تعني استنتاج أي معرفة بلا تلازم؛ بل المعني فيها أنَّ جزءًا من المعرفة التي يؤمن بها العقليون لم تتكوّن على أساس التوالد الموضوعي؛ بل على أساس التوالد الذاتي من خلال مروره بمرحلتين:

المرحلة الأولى: تبدأ أوّلاً مرحلة التّوالد الموضوعي، وفي هذه المرحلة تبدأ المعرفة احتمالية، وينمو الاحتمال باستمرار، ويسير نموّ الاحتمال في هذه المرحلة بطريقة التوالد الموضوعي حتّى تحظى المعرفة بدرجة كبيرة جدّاً من الاحتمال، غير أنّ طريقة التوالد الموضوعي تعجز عن تصعيد المعرفة إلى درجة اليقين، وحينئذٍ تبدأ مرحلة التوالد الذاتي لكي تنجز ذلك وترتفع بالمعرفة إلى مستوى اليقين .المرحلة الثانية: يتخلّى الدليل الاستقرائي عن منهجه الاستنباطي، وطريقته في التوالد الموضوعي، ويصطنع طريقة التوالد الذاتي لتصعيد المعرفة الاستقرائيّة إلى درجة اليقين . ظ: الصدر محمد باقر . الأسس المنطقية للاستقراء: ص ١٦٠ – ١٦٨

(٣٤) الأسس المنطقية، ص١٦٣

(٣٥) الكهف ١١٠ .

(٣٦) ملا صدرا الشيرازي . أسرار الآيات، ١٤٤ .

(٣٧) الراغب الاصفهاني . المفرادات، ٤٧ .

(٣٨) القشيري، عبد الكريم بن هوازن (ت: ٤٦٥هـ) .الرسالة القشيرية، ج١/ ١٩٠.

(٣٩) ابن عربي . الفتوحات المكية، ج١ / ٦٢٦ .

(٤٠) الآلوسي . تفسير روح المعاني، ج١٣ / ١٩٨ .

(٤١) الرازي . مفاتيح الغيب، ج١٦ / ٢٣٦ .

(٤٢) ابو المظفر السمعاني الحنفي .تفسير السمعاني، ج٢ / ٣٦٢ + ابن عربي . تفسير ابن عربي، ج٢/ ٢٠٦.

(٤٣) ظ: الطباطبائي . الميزان في تفسير القرآن، ج٦/ ٣٦٩ .

(٤٤) ظ: م ن، ج٧/ ٩٦

(٤٥) القاضي عياض . الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج٢ / ٩٧ .

(٤٦) جلال الحنفي البغدادي . شخصية الرسول قرآنيا، ٣٩ .

(٤٧) الطوسي . مصباح المتهجد، ٧٥٣ .

(٤٨) السند، مقامات النبي والنبوة، ١٥٤ .

(٤٩) الطباطبائي . الميزان في تفسير القرآن، ج١٢ / ٣٢ .

(٥٠) الاسراء: ٩٣-٩٤. .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١) ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ). تقريب الوصول إلى علم الأصول (مطبوع مع: الإشارة في أصول الفقه) ط١ . تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل . بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢) ابْنُ حَزْمٍ، أبو محمد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦ هـ(. التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية . ط١ . تحقيق: إحسان عباس . بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٠٠ .

٣) ابن عربي (ت: ٦٣٨هـ) . الفتوحات المكية . تحقيق وتقديم: د . عثمان يحيى . القاهرة: وزارة الثقافة والإعلام .

٤) تفسير ابن عربي . ط١ . ضبط وتصحيح: عبد الوارث محمد علي . بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ - ٢٠٠١م .

٥) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ) . إعلام الموقعين عن رب العالمين . ط١ . تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم . بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م . عدد الأجزاء:٤ .

٦) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٨٢هـ) . تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم . بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٧) الألوسي، محمود الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . ط١ . تحقيق: علي عبد الباري عطية . بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ .

٨) الآيجي، عضد الدين عبد الرحمن . المواقف . ط١ . تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة . بيروت: دار الجيل، ١٩٩٧ .

٩) البغدادي، جلال الحنفي . شخصية الرسول الأعظم قرآنيا . .ط١. بغداد:وزارة الثقافة الاعلام -دائرة الشؤون الثقافية، ١٤١٨-١٩٩٧ .

١٠) البغوي، الحسين بن مسعود الشافعي (ت: ٥١٠هـ). تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن . ط١ . تحقيق: عبد الرزاق المهدي . بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

١١) الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت: ٣٧٠هـ). أحكام القرآن . ط١ . تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

١٢) الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (العلامة) (ت: ٧٢٦ هـ). الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد

للخواجة نصير الدين الطوسي . إيران: انتشارات بيدار، قم، ١٣٦٣ ش .
١٣) الخازن، علاء الدين الشيحي (ت: ٧٤١هـ) . تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل . ط١ . تصحيح: محمد علي شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ . اربعة أجزاء .
١٤) الرازي، فخر الدين . تفسير مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير . ط٣ . بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ .
١٥) الراغب، حسين بن محمد الاصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) . المفردات في غريب القرآن . ط١ . تحقيق : صفوان عدنان الدأودي . بيروت: دار القلم، ١٤١٢ .
١٦) السمعاني، منصور بن محمد التميمي الحنفي الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) . تفسيرالقرآن . ط ١ . تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم : الرياض: دار الوطن، ١٤١٨ - ١٩٩٧ .
١٧) السند، محمد . مقامات النبي والنبوة . ط١ . إيران:مؤسسة الإمام الصادق، قم، ١٤٣٠
١٨) الشاطبي، إبراهيم بن موسى الغرناطي . الموافقات . ط١ . تحقيق: مشهور آل سلمان . الرياض: دار ابن عفان، ١٤١٧ - ١٩٩٧، عدد الأجزاء: ٧ .
١٩) الشنقيطي، محمد الأمين بن المختار الجكني (ت: ١٣٩٣ هـ) . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ - ١٩٩٥ .
٢٠) الشيرازي، ، (ملا صدرا) صدر الدين محمد . أسرار الآيات . تحقيق : محمد خواجوى . ١٤٠٢ .
٢١) الصدر محمد باقر . الأسس المنطقية للاستقراء . ط: ١ . تحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العاملي للإمام الصدر . ايران: ١٤٢٩، قم .
٢٢) الطباطبائي، محمد حسين (ت: ١٤٠٢هـ) . الميزان في تفسير القران .إيران: مؤسسة النشر الإسلامي، قم .
٢٣) محمد حسين (ت: ١٤٠٢هـ) . بداية الحكمة . إيران: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١٨ .
٢٤) الطبري، محمد بن جرير(٣١٠هـ) . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . ط ١ . تحقيق : أحمد محمد شاكر . بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ -٢٠٠٠، عدد الأجزاء : ٢٤ .
٢٥) الطوسي، محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) . مصباح المتهجد . ط ١ . بيروت: مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١ - ١٩٩١ .
٢٦) الغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت:٥٠٥). المستصفى . ط ١ . تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي .

بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣ - ١٩٩٣ .

٢٧) القاضي، عياض (ت: ٥٤٤) . الشفا بتعريف حقوق المصطفى . بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩ -١٩٨٨ .

٢٨) القرافي، أحمد بن إدريس (ت: ٦٨٤هـ) . الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق . عالم الكتب . الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ . عدد الأجزاء: ٤

٢٩) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي (ت:٦٧١) . الجامع لأحكام القرآن . ط ٢ . تحقيق: أحمد البردوني - ابراهيم اطفيش . القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ - ١٩٦٤، عدد الأجزاء: ٢٠ .

٣٠) القشيري، عبد الكريم بن هوازن (ت: ٤٦٥هـ) . الرسالة القشيرية . تحقيق: د عبدالحليم محمود - د محمود بن الشريف . القاهرة: دار المعارف، عدد الأجزاء : ٢ .

٣١) الماتريدي، أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود (ت: ٣٣٣هـ) . تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي) . ط ١ . تحقيق: د مجدي باسلوم . بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١ - ٢٠٠٥، عدد الأجزاء:١٠ .

٣٢) محمود زيدان (الدكتور) . الاستقراء والمنهج العلمي . مؤسسة شباب الجامعة . الاسكندرية / مصر

٣٣) محمود قاسم (الدكتور) . المنطق الحديث ومناهج البحث . ط٥ . مصر: دار العارف، ١٩٦٧هـ .

٣٤) المظفر، محمد رضا . المنطق . ط٢.ايران:دار الغدير، قم، ١٤٢٩

٣٥) الميداني، عبد الرحمن . ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة . ط٤ . دمشق: دار القلم، ١٤١٤هـ.

٣٦) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمي (المتوفى: ٨٥٠هـ) . تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان . ط ١ . تحقيق: زكريا عميرات . بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ .

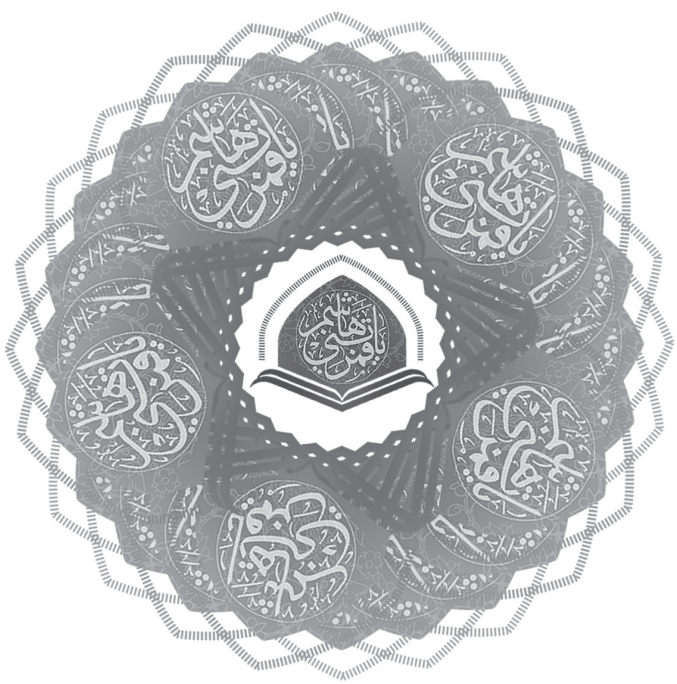

كيف نتعامل مع الاختلاف السلبي؟ في ضوء أحاديث الإمام الصادق عليه السلام

الشيخ صلاح قاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على الرَّسول الأعظم محمد وآله الطيبين الطَّاهرين.

الاختلاف السَّلبي من الصِّفات التي إذا اتَّصف بها أيُّ مجتمع فإنَّه سيؤول إلى السقوط، والانحطاط، والضَّعف والفشل. فالجهود الكبيرة التي تبذل في سبيل البناء والتَّقدم من أهم أسباب هدمها الاختلاف، وأوضح شاهد على ذلك الأحداث التَّاريخية من عهد النبي آدم عليه السلام إلى عهد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، والأحداث التي حدثت بعد استشهاده صلى الله عليه وآله، ولأنَّ الاختلاف السلبي يمثِّل البذرة الأولى لكلِّ ما نعانيه من المشاكل، والمحن، وازدياد الأزمات؛ لذلك نجد الإسلام يركز على التَّعاليم التي تدعو إلى الوحدة، والألفة؛ كصلاة الجماعة، والإيثار، والدُّعاء للآخرين وتحريم الغيبة والنميمة والبهتان، وغيرها.

وحينما نتأمل في حياة الإمام الصادق عليه السلام نجد هناك العديد من النصوص للإمام عليه السلام في هذا المضمار تلقي الضوء على هذا المفهوم، مبيّنة أسبابه وأهم الأعمال والمفاهيم التي تسبب علاجه.

تعريف الاختلاف

الاختلاف لغة: ضدُّ (الاتفاق)، ومعناه فك الارتباط، وجعل الشَّيء في الخلف أي وراء الظهر، مما يؤدّي إلى حالة التَّقابل من ناحية، والتَّدابر من ناحية أخرى.

و" الاختلاف والمخالفة، أن يأخذ كلُّ واحد طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد؛ لأنَّ كلَّ ضدين مختلفان، وليس كلُّ مختلفين ضدّين، ولما كان الاختلاف بين النَّاس في القول قد يقتضي التَّنازع أستعير ذلك للمنازعة، والمجادلة" [1].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن/ ص٢٩٤/ مادة (خلف).

أقسام الاختلاف

الاختلاف في الرَّأي ينقسم على ثلاثة أقسام، وهذه الأقسام الثَّلاثة التي سنذكرها لا تحتاج أبداً إلى العنف، والخشونة، وتعالي الأصوات.

القسم الأول: الاختلاف في الاجتهاد، فمثلاً هناك مجتهد رأيه الاجتهادي هو غسل الجمعة يغني عن الوضوء، بينما هناك مجتهد آخر رأيه أنَّه لا يغني، والحال أنَّ هؤلاء الفقهاء قد يكونوا من الذين قد درسوا معًا، وعاشوا في مكان واحد أيضًا، ولكن مع ذلك كانت اجتهاداتهم مختلفة، وهذا أمر طبيعي.

القسم الثاني: الاختلاف في المصالح، هناك اختلاف يحدث أحيانًا نتيجة لمصالح الحياة المتباينة فمثلاً الأطباء عادة يداوون مرضاهم في بيوتهم، وقد يتضايق الطَّبيب وعائلته حينما يأتي المريض ليلًا يتأوه من الألم، ويبكي فيؤدي ذلك إلى انزعاجهم، وسلب راحتهم فيحصل تعارض بين المصالح. مصلحة الطَّبيب التي هي راحته، وراحة عائلته، ومصلحة المريض الذي يريد التَّداوي ورفع الآلام. هذه الاختلافات هي من مصالح الحياة الشَّخصية، وهي اختلافات طبيعية، ومشروعة.

القسم الثالث: اختلاف العالم والجاهل، غالباً ما نرى الاختلاف قائماً بين العالم والجاهل في كثير من جوانب الحياة، ومتعلقاتهم الشخصية سواء كانت فيما يتعلق بوجهات النَّظر أو فيما يتعلق بالمأكل، والملبس... فالعالم آراؤه سديدة وبنّاءة، ويتصرَّف وفق القوانين، على العكس من الجاهل تكون تصرّفاته طائشة متهوّرة.

من آثار الاختلاف

الاختلاف السَّلبي، مصدر لكثير من المفاسد، والأضرار والمشاكل، ومنها:

- **البراءة واللعنة**: قال الإمام الصادق عليه السلام: " لايفترق رجلان على الهجران إلَّا استوجب أحدهما البراءة واللعنة، وربما استحقّ ذلك كلاهما، فقال له معتّب: جعلني الله فداك هذا الظالم فما بال المظلوم؟ قال: لأنّه لايدعو أخاه إلى صلته، ولا يتعامس[1] له عن كلامه، سمعت أبي يقول: إذا تنازع اثنان فعازّ[2] أحدهما الآخر فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتّى يقول لصاحبه: أي أخي أنا الظالم حتّى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه، فإنّ الله تعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم"[3].
- الإيذاء: عن المعلى بن خنيس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: « إنَّ الله -تبارك وتعالى- يقول: « من أهان

---

(١) تعامس: الظاهر أنّه بالعين المهملة أي تغافل. عازّ: بالزاي المشدّدة أي غلب. وفي بعض النسخ عال باللام المخفّفة: أي جار ومال عن الحقّ وغلب.

(٢) عازّ: بالزاي المشدّدة أي غلب. وفي بعض النسخ عال باللام المخفّفة: أي جار ومال عن الحقّ وغلب.

(٣) مشكاة الأنوار/ ٣٦٥.

لي وليًّا فقد أرصد لمحاربتي، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي"[1] وعنه عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد أسرى ربِّي فأوحى إليّ من وراء الحجاب ما أوحى، وشافهني إلى أن قال لي: «يا محمد من أذلَّ لي وليًّا فقد أرصدني بالمحاربة. ومن حاربني حاربته.

قلت: يا رب ومن وليك هذا؟ فقد عرفت أنَّ من حاربك حاربته.

قال لي: ذاك من أخذت ميثاقه لك، ولوصيك، ولذريتكما بالولاية"[2].

- النميمة: عن الإمام الصادق عليه السلام: " وإنَّ من أكبر السِّحر النَّميمة يفرق بها بين المتحابين، ويجلب العداوة على المتصافين، ويسفك بها الدِّماء، ويهدم بها الدور، ويكشف بها المستور، والنَّمام أشر من وطئ على الأرض بقدم"[3].
- الغيبة: عن الإمام الصادق عليه السلام: « من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه، وهدم مروته؛ ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله عز وجل من ولايته إلى ولاية الشَّيطان فلا يقبله الشَّيطان"[4].
- العداوة: عن الإمام الصادق عليه السلام: «إيّاكم والخصومة فإنَّها تشغل القلب، وتورث النِّفاق، وتكسب الضَّغائن»[5].

الاختلاف في فتاوى الفقهاء

الفقهاء المجتهدون يبذل كلُّ واحد منهم جهده العلمي، مستخدمًا قدرته الاجتهادية؛ لاكتشاف حكم الله -تعالى- في كلِّ مسألة، وغالبًا ما يختلفون في فتاواهم، والأسباب العلمية في وجود هذا الاختلاف المشروع عديدة نشير إلى أهمّها:

١ـ البعد الزّمني وظروف التّقية:

إنَّ سبب بعدنا عن زمن التَّشريع، وكثرة الفتن والحروب، والأحداث التَّاريخية عرَّض كثير من الأحاديث الشَّريفة إلى التَّحريف، ودسّ الأكاذيب.

وعملية الكشف عن الأحاديث الصَّحيحة من غير الصَّحيحة تستوجب التَّفرغ العلمي، والتَّخصص، وبما أنَّ قدرة الذَّكاء والفطنة متفاوتة فظهور الاختلاف أمر طبيعي فمنهم يستطيع الكشف عن ٨٠٪ من الحقائق

---

(١) الكافي/ ٢/ ٦٥١.

(٢) المصدر نفسه/ ٢/ ٦٥٢.

(٣) بحار الأنوار/ ١٠/ ١٦٨.

(٤) الكافي/ ٢/ ٦٥٥.

(٥) المصدر نفسه/ ٢/ ٦٢١.

الشرعية، ومنهم أقل ومنهم أكثر.

٢ـ الرواية والرواة:

فمنهم من يرى أنَّ الرِّواية التي تتحدث عن حكم ما صحيحة، ومنهم يرى عكس ذلك، ومنهم من يرى أنّ فلان الرَّاوي ثقة، ومنهم من يرى أنَّه غير ثقة، وهذا يؤدّي إلى رأيين مختلفين، وهو أمر طبيعي في عملية استنباط الحكم الشَّرعي.

٣ـ علم الأصول:

إنَّ للاجتهاد قواعد يدرسها العلماء في (علم الأصول) حيث تكون بمثابة الأدوات العملية للاجتهاد؛ لاكتشاف أحكام الشَّريعة من مصادرها الأربعة (القرآن الكريم، والسنة الشريفة، والعقل، وإجماع العلماء).

فمن تلك القواعد الأصولية قاعدة (صيغة الأمر) مثلاً هل تفيد الوجوب، أم تفيد المندوب؟ متى، وكيف؟ فعلى أساس هذين القولين يستفيد كلُّ قائل منهما بهذا المعنى الذي يتبنى أصوليًا. فمنهم من يرى وجوب بعض الأحكام، ومنهم من يرى استحباب تلك الأحكام.

٤ـ فهم النّصوص:

فقد يفهم من نصّ الآية أو ألفاظ الرِّواية معنى غير ما يفهمه فقيه آخر، ويرجع ذلك إلى قدرة الفقيه الذِّهنية وذكائه. فيفتي كلُّ مجتهد بما توصّل إليه، وهذا غير مخالف للشرع المقدّس؛ لأنَّ العقول، ومستوى الذَّكاء يختلف من فقيه إلى آخر، إذن فهذه الأسباب العلمية وغيرها قد تؤدّي إلى الاختلاف في الفتوى، وكلا المجتهدين مأجوران، وإن اختلفا في الفتوى ما داما قد استندا على الدَّليل.

إنَّ الاختلاف من طبيعة البشر، وليس بمقدور أحد أن يمنع البشر عن التَّفكير، وطالما كان كلُّ واحد منّا يفكّر فالاختلاف وارد، وتستطيع أن تنظر إلى أكثر دول العالم تحضّرًا؛ لتجد الاختلاف قائمًا في مجلس البرلمان، وبين الأحزاب، فليس الاختلاف من المنكرات أو من الأمور التي تؤدّي إلى البغضاء والقطيعة في المجتمع.

من عوامل الاختلاف

إنَّ علاج الأسباب والجذور التي وراء الاختلاف له دور كبير في علاجه، إذ ما فائدة الدَّعوة إلى الوحدة القائمة على أسس شرعية، وبذور الاختلاف موجودة في داخل أنفسنا؟!.

فعلينا أن نُعالج هذه الأسباب، ثم نعالج المشكلة نفسها، وهذا يتطلّب منّا جهدًا مضاعفًا؛ لأجل (وحدة الكلمة).

وحيث إنَّ (وحدة الصَّف) لها آثار عظيمة، والأثر العظيم لا يكون إلَّا بمقدمات، ومبادئ عظيمة (فإنَّ النَّتائج من جنس المقدمات) فاللازم أن يهيئ الإنسان في نفسه تلك المبادئ والمقدّمات، والله -تعالى- يسنده إذا سلك طريق الرَّشاد واستمرّ من فضله السَّداد.

ومن تلك العوامل التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام:

١ـ الحسد

الحسد: وهو تمنّي زوال نعمة المحسود، وانتقالها للحاسد، فإنْ لم يتمنَّ زوالها، بل تمنّى نظيرها، فهو غبطة، وهي ليست ذميمة[١].

وعُرف أيضًا: حالة نفسية يتمنّى صاحبها سلب الكمال والنِّعمة التي عند الآخرين سواء أكان يملكها أم لا، وسواء أرادها لنفسه أم لم يردها.

وهذا يختلف عن الغبطة؛ لأنَّ صاحب الغبطة يريد النّعمة التي توجد لدى الآخرين، أن تكون لنفسه. من دون أن يتمنى زوالها عن الآخرين.

إنَّ أكبر ما وقع من المعاصي، والمصائب، والاختلافات كان أصله الحسد فأوَّل جريمة حدثت والتي راح ضحيّتها أعز أولاد آدم عليه السلام هابيل، وقبلها كانت معصية إبليس الذي امتنع بسبب الحسد والكبر أن يسجد لآدم عليه السلام وما نعيشه اليوم من نزاع، واختلاف، وتعنصر أحد أسبابه الحسد إذ نجد بعض الأفراد ونتيجة الحسد لأشخاص آخرين يختلفون معهم، بل ويتجاوزون عليهم بالأيدي، والألسن وإليك عزيزي القارئ بعض أضرار الحسد:

---

(١) أخلاق أهل البيت عليهم السلام/ ٢١٥.

عن الإمام الصادق عليه السلام: « الحاسدُ مضرٌ بنفسه قبل أن يضر بالمحسود كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة، ولآدم الاجتباء والهدى»[1].

٢ـ المراء والجدال

هما الاعتراض على كلام الآخرين، وإظهار الخلل والنَّقص فيه؛ للنيل من المتكلِّم والكشف عن قدرة المعترض دون أن ينال المعترض فائدة أخروية. وجذورهما العداوة، والحسد.

وأكثر ما يستعمل المراء والجدال في المسائل العلمية والمخاصمة في الأمور الدنيوية، وقد يخص المراء بما إذا كان الغرض إظهار الفضل والكمال، والجدال بما إذا كان الغرض تعجيز الخصم وذلته. وقيل: الجدل في المسائل العلمية والمراء أعم، وقيل: لا يكون المراء إلَّا اعتراضًا بخلاف الجدال، فإنَّه يكون ابتداء واعتراضًا...»[2].

وينتج عن المراء والجدال مفاسد عديدة أهمّها الفرقة، والأحقاد بين الناس، وكثيرًا ما نرى من الناس من إذا جادلته، واختلفت معه أصاب تلك الصلة التي بينك وبينه فتور في العلاقة أو قطيعة التَّامة، وأحياناً التَّعدي على حقوق الآخرين .

٣ـ سوء الظن

سوء الظن: الشَّك مع التَّهمة. بأن يشك الإنسان في نوايا الطَّرف الآخر، ويتّهمه بسوء في مقاصد أعماله.

ولعل من أهم أسباب سوء الظن وجود الشخص في مواضع التُّهمة، وهذا السبب ينتج منه دائمًا سوء الظن ولذلك نرى وجود روايات عديدة عن الرَّسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام تحذر من ذلك:

قال الإمام الصَّادق عليه السلام: "اتقوا مواضيع الرَّيب، ولا يقفن أحدكم مع أمّه في الطَّريق، فإنَّه ليس كلّ أحد يعرفها"[3].

وعنه عليه السلام: "قال لي أبي: يا بني من يصحب صاحب السُّوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السّوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم"[4].

٤ ـ الجهل

الجهل: ضدُّ العلم، وهو عدم معرفة الإنسان بالأمور لا لنقص عقله، ولكن لعدم تعلمه، وعدم محاولته في فهم الأمور بالبحث، والقراءة، والاستماع، والمشاهدة، وغيره.

---

(١) مصباح الشريعة/ ١٠٤.

(٢) بحار الأنوار / ٧٠/ ٤٠٠.

(٣) المصدر نفسه/ ٧٢/ ٩٠.

(٤) المصدر نفسه/ ٧٢/ ٩٠.

والجهل من الأسباب الخطيرة في نشوب الاختلافات والنِّزاعات، وذلك؛ لأنَّ الإنسان الجاهل يتحرك عشوائيًا وبدون رؤية وهذا يولد الاصطدامات بينه وبين غيره، عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «من أخلاق الجاهل الإجابة قبل أن يسمع، والمعارضة قبل أن يفهم، والحكم بما لا يعلم»[1].

٥ ـ التكبر

التكبر: حالة تدعو إلى الإعجاب بالنَّفس، والتَّعالي على الآخرين بالقول أو الفعل[2]، وهو من الأمراض الأخلاقية الخطيرة؛ ولذلك وردت آيات وروايات تذمّه، ويحصل هذا الخلق من رؤية النَّقص والذِّلة في داخل النَّفس: عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «ما من رجل تكبّر أو تجبَّر إلَّا لذلةٍ وجدها في نفسه»[3].

ولعل من أهم المبادئ التي دعا إليها الإمام الصادق عليه السلام لعلاج الاختلاف السلبي:

أوّلاً: مبدأ الأخوة الإسلامية

وتعني بأنَّ العربي، والهندي، والفارسي، والتُّركي، وغيرهم أخوة لا تمايز بين أحدهم، والجميع متساوون أمام القانون الإسلامي، فلا ألوان، ولا لغات، ولا حدود تفصل بينهم، وقد حثَّت الشَّريعة الإسلامية على هذا المبدأ الجليل لما له من أثر في تقوية الرَّوابط، وتسيير الأمور، وقوّة المجتمع وتقدّمه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئًا منه وجد ألَمَ ذلك في سائرِ جسده، وأَرواحهما من روح واحدةٍ»[4].

فالإسلام يبني المجتمع على أساس المحبة، والتَّرابط، والتراحم، وليس على أساس التَّناقض، والتَّنافر. ومن هنا نجد أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أول عمل قام به في المدينة هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وأراد بذلك وضع اللبنة الأولى في المجتمع، وأن يبيِّن للمجتمع أجمع أنَّ مجتمعنا هذا يقوم على الأخوة، والوفاق، والتَّراحم، ونبذ الصِّراعات الدَّاخلية، والتَّناحر والبغضاء، وإن كان هناك تنافس فإنَّه تنافس في سبيل الخير العام، ومصلحة الأمة.

والهدف الآخر من الأخوة هو أن يكون المجتمع قويًّا متماسكًا قادرًا على ردِّ كيد الأعداء، وفي الوقت نفسه قادرًا على السَّير قدمًا بخطوات ثابتة في طريق التَّطور، والرَّفاه، إنَّه كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضًا.

وانطلاقًا من هذه المعاني نرى أنَّ أكثر الشَّعائر الإسلامية تركز على هذه الوحدة، والأخوة، فصلاة الجماعة،

---

(١) الأخلاق والآداب الإسلامية/ ٦٩٤.

(٢) ينظر أخلاق أهل البيت عليهم السلام/ ١٣٩.

(٣) الفضائل والرذائل/ ٧١.

(٤) الكافي/ ٢/ ١٦٦.

والحج، والصِّيام، ومجالس العزاء كلُّها تؤكِّد أهمّية الأخوة في المجتمع الإسلامي. والأخوة في الإسلام تركز على وحدة القلوب، وليس على الوحدة الشكلية التي تخفي كثيرًا من الأحقاد، والتَّناقض وبالتَّالي فشل مثل هذا النَّوع من الأخوة.

إنَّ الإسلام يضع من أجل الحفاظ على الأخوة الإسلامية ثلاث نقاط:

أوّلًا: الحث البالغ على الألفة، والمحبة، والاعتصام بحبل الله تعالى جميعًا، وعدم التَّفرق، عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «المؤمنون في تبارّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى له سائره بالسَّهر، والحمى»[1].

وقال عليه السلام: «لا والله لا يكون المؤمن مؤمنًا أبدًا حتَّى يكون لأخيه المؤمن مثل الجسد، إذا ضرب عليه عرق واحد، تداعت له سائر عروقه»[2].

ثانيًا: حرّم كلَّ عمل يؤدي إلى قطع الأواصر الأخوية، وإفساد المحبة والألفة كالغيبة، وقطع صلة الرَّحم، والنَّميمة، وسوء الظَّن، والحسد، والسّباب، وغيرها... والتشجيع على ما يقوي أواصر المحبة.

ثالثًا: الإرشاد إلى ما يبني العلاقات الاجتماعية، وما يسببها: من بر، وصلة رحم، وزيارة، وهدية، وتحية، وضيافة، وما أشبه ذلك

قال المعلى قلت للإمام الصَّادق عليه السلام: ما حقّ المسلم على المسلم؟.

قال أبو عبد الله: له سبع حقوق واجبات، ما منهن حقّ إلَّا وهو عليه واجب.

إن ضيَّع منها شيئًا خرج من ولاية الله، وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب.

قلت له: جعلت فداك! وما هي؟.

قال يا معلى إنِّي عليك شفيق، أخاف أن تضيع، ولا تحفظ، وتعلم، ولا تعمل. قلت: لا قوة إلَّا بالله.

فقال عليه السلام:

أن تحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

أن تجتنب سخطه، وتتبع مرضاته، وتطيع أمره.

تعينه بنفسك، ومالك، ولسانك، ويدك، ورجلك.

أن تكون عينه، ودليله، ومرآته.

أن لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى.

---

(١) بحار الأنوار/ ٧١/ ٢٣٤ .

(٢) المصدر نفسه/ ٧١/ ٢٣٤

أن يكون لك خادم، وليس لأخيك خادم، فواجب أن تبعث خادمك، فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه، وتمهّد فراشه.

أن تبر قسمه، وتجنب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت له حاجة تبادر إلى قضائها، ولا تلجئه إلى أن يسألكها، ولكن تبادره مبادرة.

ثم ختم كلامه عليه السلام بقوله:

«فإذا فعلت وصلت ولايتك بولايته، وولايته بولايتك»(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: « من زار أخاه في الله قال الله عزوجل: إيَّاي زرت، وثوابك عليّ، ولست أرضى لك ثوابًا دون الجنَّة»(٢).

وعن أبي عبدالله عليه السلام: «يا إسحاق أما علمت أنَّ المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أنزل الله بين إبهاميهما مائة رحمة، تسعة وتسعين لأشدهما حبًا، فإذا اعتنقا غمرتهما الرَّحمة، فإذا لبثا لا يريدان بذلك إلَّا وجه الله تعالى قيل لهما: غفر لكما، فإذا جلسا يتساءلان قالت الحفظة بعضها لبعض: اعتزلوا بنا عنهما فإنَّ لهما سرًا وقد ستره الله عليهما; قال قلت: جعلت فداك فلا تسمع الحفظة قولهما، ولا تكتبه وقد قال –تعالى-: " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ" ؟ قال: فنكس رأسه طويلًا ثم رفعه وقد فاضت دموعه على لحيته وقال: إن كانت الحفظة لا تسمعه، ولا تكتبه فقد سمعه عالم السر وأخفى، يا إسحاق خف الله كأنَّك تراه، فإن كنت لا تراه فإنَّه يراك، فإن شككت أنَّه يراك فقد كفرت، وإن أيقنت أنَّه يراك ثمَّ بارزته بالمعصية فقد جعلته أهون النَّاظرين إليك»(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: « إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال يقدمه أمامه، فكلَّما رأى المؤمن هولًا من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تجزع، ولا تحزن، وأبشر بالسرور، والكرامة من الله عزّ وجل، ويحاسب حسابًا يسيرًا ويأمر به إلى الجنَّة، والمثال أمامه فيقول له المؤمن: رحمك الله، نعم الخارج معي من قبري! ما زلت تبشرني بالسّرور، والكرامة من الله عز وجلّ حتَّى كان، فمن أنت؟ فيقول له المثال: أنا السّرور الذي أدخلته على أخيك المؤمن في الدّنيا خلقني الله لأبشرك»(٤).

ومن الصَّور الرَّائعة التي تأخذ بمجامع القلوب، وتقوي هذه الرَّابطة المقدَّسة الدُّعاء له، عن الإمام الصادق عليه السلام: «من قدَّم أربعين من المؤمنين ثمَّ دعا استجيب له» (٥).

---

(١) الخصال/ ٣٧٣.

(٢) المصدر نفسه/ ٢ / ٥٤٥..

(٣) بحار الأنوار / ٥ / ٣٢٣ .

(٤) المصدر نفسه/ ٧١ / ٢٨٤.

(٥) بحار الأنوار/ ٢/ ٧٤٢.

وعن أبي عبد الله ﷺ: «إذا أحببت رجلًا فأخبره بذلك فإنَّه أثبت للمودة بينكما»[1].

وكذلك ركز الإمام على قضاء حوائجه: عن الإمام الصادق ﷺ: «ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلَّا ناداه الله: عليَّ ثوابُك، ولا أرضى لك بدون الجنّة»[2].

وقال أبان كنت أطوف مع أبي عبد الله ﷺ فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألني الذهاب معه في حاجته، فأشار إليّ، فرآه أبو عبد الله ﷺ.

فقال: يا أبان إيّاك يريد هذا؟

قلت: نعم!.

قال: هو على مثل ما أنت عليه؟.

قلت: نعم!.

قال: فأذهب إليه، واقطع الطَّواف.

قلت: وإن كان طواف الفريضة؟

قال: نعم.

قال أبان: فذهبت، ثمَّ دخلت عليه بعد، فسألته عن حقِّ المؤمن، فقال: دعه لا ترده! فلم أزل أرد عليه حتَّى قال: يا أبان نقاسمه شطر مالك، ثمَّ نظر إلي فرأى ما داخلني فقال: يا أبان أما تعلم أنَّ الله قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟ قلت: بلى! قال: إذا أنت قاسمته فلم تؤثره، إنَّما تؤثره إذا أعطيته من النِّصف الآخر![3].

ثانياً: مبدأ النصيحة

كلُّ فردٍ في هذا المجتمع له تأثير على غيره، ويكون هذا التَّأثير إمَّا إيجابيًا، وإمَّا سلبيًا لوجود التَّرابط بين المجتمع فالخير يسرى إلى النَّاس إذا أبدى الفرد خيرًا، والشَّر يسري إلى النَّاس إذا أبدى الفرد شرًا.

قال الرسول الأعظم ﷺ: «يعذِّب الله اللسان بعذابٍ لا يعذِّب به شيئًاً من الجوارح، فيقول: ربِّ عذبتني بعذاب لم تعذبه شيئًا من الجوارح؟!.

فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسفك بها الدَّم الحرام، وأنتهب بها المال الحرام، وانتهك به الفرج الحرام»[4].

---

(١) الكافي/ ٢ / ٨٣٢.

(٢) المصدر نفسه/ ٢/ ٥٥٨.

(٣) بحار الأنوار/ ٧١ / ٢٤٨.

(٤) مجموعة ورام/ ٢ / ٥٠٩.

فالنَّاس في سفينة واحدة (وهي المجتمع)، والجميع يتضرر فيما إذا كان فرد أو أكثر يمارس الخطأ، من هنا يكون النَّقد والنُّصح البنَّاء واجبًا اجتماعيًّا بالإضافة إلى كونه واجبًا دينيًا وإنسانيًا أيضًا.

لذلك وردت أحاديث كثيرة في فضل هذا العمل، عن الامام الصادق ﷺ "عليكم بالنصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل أفضل منه"[١]، وقال الإمام الصادق ﷺ: "يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب"[٢]، وقال ﷺ:" المؤمن أخو المؤمن يحق عليه نصيحته"[٣].

كما بيّن أنَّ النّصيحة لا تؤخذ من كلّ شخص، قال الإمام الصادق ﷺ : «النصيحة من الحاسد محال»[٤] .

وقال ﷺ: قال الإمام الصادق ﷺ : ما ناصح الله عبد مسلم في نفسه، فأعطى الحق منها وأخذ الحق لها، إلَّا أعطي خصلتين: رزقاً من الله عز وجل يقنع به ورضى عن الله ينجيه .[٥]

والنَّصيحة: كلمة تقال بدافع الخير، والإحسان، والحب، والود، ولا يستحق قائلها إلَّا الشُّكر عليها.

وعلى ذلك فعلينا أن ننتبه إلى أمور مهمة:

الأوَّل: أن يكون الإنسان الناصح لك أحبّ الخلق إلى قلبك، عن الإمام الصادق ﷺ: «أحبُّ إخواني إلي من أهدى عيوبي إليّ»[٦].

الثَّاني: أن يتواضع الإنسان الذي تلقى إليه النَّصيحة، وأن لا يحارب النَّاصح، ومع الأسف نجد أن بعضهم ينكر على الناصح بأنَّك أنت أيضًا كذا، وكذا، وكأن القضية مباراة تحدي، وتسجيل نقاط.

ينبغي للإنسان المؤمن الذي يريد الصَّلاح، والتَّكامل ورضا الله -عزَّ وجل- أن لا يغضب إذا قيل له عيبه الذي يفسد هذا الطموح، فقيمة الإنسان في كونه صالح، والصَّالح هو الذي يدرأ عن نفسه، وفكره وسلوكه جميع الآفات المفسدة لدنياه وآخرته. عن أمير المؤمنين ﷺ: «طوبى لمن أطاع ناصحًا يهديه، وتجنَّب غاويًا يرديه»[٧].

الثَّالث: أن يكون الحب، والود، والإخلاص هو الدَّافع للنصيحة.

---

(١) الكافي: ٢ / ٢٠٨

(٢) المصدر نفسه: ٢ / ٢٠٨ .

(٣) مستدرك الوسائل: ٩ / ٤١.

(٤) بحار الأنوار: ٧٨ / ١٩٤.

(٥) الخصال: ٤٦ / ٤٧ .

(٦) بحار الأنوار/ ٧٤ / ٢٨٢.

(٧) غرر الحكم ودرر الحكم / ١٨٣.

كيف ننصح الآخرين؟

لكي يكون النصح ذو قيمة، وفائدة، وأثر لا بد أن نراعي بعض الأمور المهمة، ومنها:

أولًا: استعمال اللين، والرِّفق، والرَّحمة في النصح، فإن لم يؤدِ المطلوب فيتدرج إلى الحزم. فإذا كان شخص منهجه غير صحيح فعلينا أن نراعي الرِّفق، والكلام الطَّيب في إرشاده، لا أن نسلك طريق التوهين.

ثانيًا: إذا شعرت من الطرف الآخر نفوره من النَّصيحة إلى درجة يصبح حجم التَّخريب أكبر من حجم الإصلاح غيِّر الموضوع أو اسلك طريقة إيَّاك أعني، واسمعي يا جارة، ولا تصر حتَّى تتهيأ الظروف ومقدماتها؛ لأن النَّقد في هذه الحالة يتحول إلى هوس، وجدال.

ثالثًا: أن يكون النّصح موضوعيًا، بأن يحدّد النَّاقد موضع الخطأ، ويتأكّد، ثمَّ يتحرّك نحوه بالحكمة، والموعظة الحسنة.

رابعًا: لابُدّ قبل التَّصريح بالنَّقد أو النَّصيحة من تمهيدات، مثل أن يختار الإنسان آية قرآنية، أو رواية جميلة، أو شعرًا، أو مثلًا أو طريفة، ثمَّ أنَّ هناك نقدًا بالكناية، وهناك نقدًا بالصَّراحة.

خامسًا: العمل بالنَّصيحة له أثر كبير في تقبلها من الطَّرف المقابل.

إنَّ النّصيحة من أهم مقوّمات المودّة وأعظم لوازم المحبّة، ولم تتم الأخوة ما لم تكن النصيحة رائدها وباعثها، ومن لم يكن ناصحاً لأخيه فليس بأخ، وهي الدرع الحصين من وقوع المؤمن في الوقائع التي لا يرغب بها، أو التي حذّر الشارع منها.

كيف أصبح لقمان عليه السلام حكيمًا

عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه سئل عن لقمان، وحكمته التي ذكرها الله؟ فقال عليه السلام: « أما والله ماأُوتي لقمان الحكمة بحسبٍ، ولا مالٍ، ولا أهلٍ، ولا بسط في جسم ولا جمال، ولكنّه كان رجلًا قويًا في أمر الله، متورّعًا في الله، ساكتًا، سكيتًا، عميق النظر، طويل الفكر، حديد النظر، مستغن بالعبر، لم ينم نهارًا قطّ، ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط ولا اغتسال لشدّة تستّره وعموق نظره وتحفّظه في أمره. ولم يضحك من شيء قطّ مخافة الإثم، ولم يغضب قطّ، ولم يمازح إنسانًا قطّ، ولم يفرح لشيء إن أتاه من أمر الدنيا، ولا حزن منها على شيء قطّ، ... ولم يمرّ برجلين يختصمان أو يقتتلان إلّا أصلح بينهما، ولم يمض عنهما حتّى تحاجزا، ولم يسمع قولًا قطّ من أحد استحسنه إلّا سأل عن تفسيره وعمّن أخذه، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء، وكان يغشي القضاة والملوك والسلاطين، فيرثى للقضاة ممّا ابتلوا به، ويرحم الملوك والسلاطين لغرّتهم بالله وطمأنينتهم في ذلك ويعتبر ويتعلّم مايغلب به نفسه، ويجاهد به هواه، ويحترز به من الشيطان، وكان يداوي قلبه بالتفكّر، ويداري

نفسه بالعبر، وكان لا يظعن إلّا فيما يعنيه، فبذلك أُوتي الحكمة ومنح العصمة. ثمّ ذكرعليه السلام أنّ الله تعالى خيّره بين أن يكون خليفة الله في أرضه أو يؤتى الحكمة، فاختار الحكمة. فلمّا أمسى وأخذ مضجعه من الليل أنزل الله عليه الحكمة فغشّاه بها من قرنه إلى قدمه وهو نائم، وغطّاه بالحكمة غطاءً...»[1].

الخاتمة

إن الإختلاف في وجهات النظر المستند إلى الأدلة الشرعية هو من القضايا الطبيعية التي لا إشكال فيها، بل مما قامت عليه ضرورة العقل وسيرة العقلاء واقتضته مصلحة الحياة، بعد أن جعل الله سبحانه البشر غير متساوين في الأذواق والذكاء.

وما دام الاختلاف لا يخرج الإنسان عن الإطار الشرعي فهو ممدوح ومطلوب لأجل تقدم عجلة الحياة نحو الأفضل، وأما إذا أصبح الاختلاف إختلافاً سلبياً، وغير مستند الى الحجج الشرعية بسبب العوامل الأخلاقية المذمومة كالجهل والحسد والمراء والجدال وسوء الظن والتكبر، فإنَّ ذلك سيؤدي إلى الصراعات والنزاعات، وبالتالي إلى الفشل.

وإذا ما أردنا النّجاح في الحياة الدنيا والآخرة فعلينا أن نعالج هذه الجذور السلبية من نفوسنا ونزرع مكانها ضدها من الفضائل.

وهذا يتطلب منَّا جهدًا ولكن علينا أن نعرف أنَّنا متى ما وضعنا وبصدق أقدامنا على طريق الإصلاح فإنَّ الله -سبحانه- سيثبت أقدامنا، ويهدينا الى سبل الهداية، ومن ثمَّ الفوز برضاه تبارك وتعالى ورضا الرسول الأعظم محمد وآل محمد عليهم السلام.

---

(١) بحار الأنوار/ ج ١٣ / ص ٤٠٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الأخلاق والآداب الإسلامية/ عبد الله الهاشمي/ الطبعة الثالثة/ دار العلوم ودار الأمين ـ بيروت/ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢- أصول الكافي/ محمد بن يعقوب الكليني رحمة الله عليه/ دار المرتضى/ بيروت/ ط١/ ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٣-بحار الأنوار/ العلامة المجلسي / دار إحياء تراث آل البيت عليهم السلام / بيروت/ الطبعة الثالثة/ ١٤٠٣هـ.

٤- بصائر الدرجات/ محمد بن حسن الصفار/ الناشر: طليعة النور/ قم المقدسة/ الطبعة الأولى / ١٣٨٤هـ.

٥-تحف العقول/ للحراني/ تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري/ مكتبة الأمين ومؤسسة الفكر الإسلامي/ بيروت/ ط١/ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٦- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر/ حسين بن ورام المالكي/ دار الكتب الاسلامية/ طهران/ الطبعة الثانية/ ١٣٦٨هـ.

٧- الخصال/ الشيخ الصدوق/ دار المرتضى/ بيروت/ الطبعة الأولى / ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٨- غرر الحكم ودرر الكلم/ عبد الواحد الآمدي/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت/ الطبعة الأولى / ١٤٢٢هـ.

٩-قصص وخواطر/ للشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني/ طليعة النور/ قم المقدسة/ الطبعة الثالثة / ١٤٢٧هـ.

١٠مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الإصفهاني/ منشورات طليعة النور/ قم المقدسة/ الطبعة الثانية/ ١٤٢٧هـ.

١١- مصباح الشريعة للإمام الصادق عليه السلام/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت/ ١٤٠٠هـ.

١٢- تهذيب النفس وآداب العشرة/ الشيخ أحمد البهادلي/ قم المقدسة/ ط١/ ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٣- نهج البلاغة/ الشريف الرضي/ مؤسسة أنصاريان/ قم المقدسة/ الطبعة الخامسة/ ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

١٤- وعي التعامل مع الاختلاف/ الشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني/ دار العلوم/ بيروت/ الطيعة الأولى/ ١٤٢٦هـ.

١٥- وسائل الشيعة/ الحر العاملي/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام/ قم المقدسة/ ١٤٠٩هـ.

شهر ربيع
الثاني

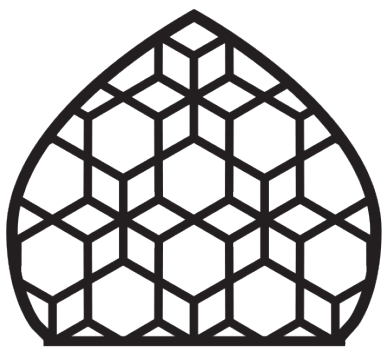

ثاني الشهيدين الشيخ زين الدين بن
علي الجبعي العاملي

ثاني الشهيدين
الشيخ زين الدين بن علي
الجبعي العاملي

الشيخ علي عبدالله

١٥ربيع الثاني استشهاد الفقيه الجليل الشيخ زين الدين الجبعي العاملي(رحمه الله) المعروف بـ(الشهيد الثاني) سنة٩٦٦هـ.

في تاريخ علماء الإمامية عندما يطلق لقب الشهيد ينصرف إلى الشيخ محمد بن مكي العاملي (٧٦٨هـ) وإذا أضيف إليه وصف الثاني انصرف إلى الشيخ زين الدين بن علي الجبعي العاملي (٩٦٦هـ).

وبالرغم من أنَّ الشهادة قتلاً ليست شيئاً نادراً في تاريخ الإمامية وعلمائهم، بل كان القتل على يد الظالمين والطواغيت لكثير منهم عادة، وكانت كرامتهم كأئمتهم من الله الشهادة.

إلا أنَّه قد عرف الشهيدان بهذه الصّفة، دون غيرهما؛ إما بسبب طريقة القتل المفجعة التي حصلت لهما، ولأسباب تغدو تافهة فذهب دمهما الزكي هدراً ثمناً لأهواء نفسية وأحقاد شخصية، أو لمقامهما العلمي الشامخ الذي كان في زمانهما لا يبارى، بل في لاحق الأزمنة كما يرى بعض[1].

فالشهيد الأوّل راح ضحيّة حسد وغلّ نفسي من بعض حملة العلم. وبالرغم من أنّ العلاقة التي ينبغي أن تسود بين العلماء هي علاقة التواصل والاستفادة وفهم مذهب الآخر ودليله، وهو الأمر الذي طبّقه أوّل الشّهيدين عندما أخذ العلم من كثير من علماء المسلمين الذين لم يكونوا يتفقون معه في المذهب، إلّا أنَّ الأحقاد الشخصية والمنافسة غير الشريفة أحيانًا تؤدّي إلى سفك دماء طاهرة، وهذا ما حصل لأوّل الشهيدين كما يذكره الحر العاملي في كتابه أمل الآمل، ونحن ننقل ما يتعلّق بشهادته منه، قال:

وكانت وفاته سنة ٧٨٦هـ، اليوم التاسع من جمادى الأولى، قتل بالسيف ثم صلب ثم رجم ثم أحرق ، بدمشق في دولة بيبرس وسلطنة برقوق بفتوى القاضي برهان الدين المالكي وعباد بن جماعة الشافعي بعدما حبس سنة

---

(١) يظهر هذا من استعراض كلمات من ترجم حياة الشهيدين، فقد وصف الأول بعضهم بأنه أفقه جميع فقهاء الآفاق، وبعضهم قيده بأنه بعد المحقق أفقه الفقهاء، بينما رأى آخرون متأخرون بأن أفقه فقهاء الشيعة هو ثاني الشهيدين.

كاملة في قلعة الشام.. وكان سبب حبسه وقتله أنَّه وشى به رجل من أعدائه وكتب محضراً يشتمل على مقالات شنيعة عند العامة من مقالات الشيعة وغيرهم، وشهد بذلك جماعة كثيرة وكتبوا عليه شهاداتهم، وثبت ذلك عند قاضي صيدا، ثم أتوا به إلى قاضي الشام فحبس سنة. ثم قتل وصلب ورجم ثم أحرق [1].

التواصل العلمي طريق الفهم والتقارب:

إنَّ ما تعيشه مجتمعاتنا المسلمة اليوم من شحن طائفي لهذه الفئة ضد الأخرى، ولهذا المذهب تجاه ذاك، ليدفعنا إلى التفكير في سعة أفق الشهيد الثّاني، ورؤيته الثاقبة في أنَّ جزءاً من حلّ مشكلة الأمة يتمثّل في التواصل العلمي والمعرفي بين العلماء وأهل الفكر، ومن خلال هؤلاء ينبغي أن تعود الفئات على احترام بعضها بعضاً والمذاهب على تقدير خبرائها وفقهائها.

وإذا وجدت حوادث تثير الفتنة وانساق فيها بعض المتعصّبين من أيّ طرف، فهذا لا يدل على شيء كما يدلّ على لزوم التّواصل وفائدته. وضمن هذا الإطار يتحدّث ثاني الشهيدين عن أنّه درس في دمشق ومصر وأخذ العلم عن ستة عشر عالماً من علماء المذاهب الإسلامية الأخرى غير الإمامية، بل نراه يمدح بعض هؤلاء مدحًا بالغًا، فقد نقل عنه في ترجمته لحياته:

ورحلت إلى مصر في أول سنة (٩٤٢هـ) لتحصيل ما أمكن من العلوم، واجتمعت في تلك السفرة بجماعة كثيرة من الأفاضل، فأوّل اجتماعي بالشيخ شمس الدين بن طولون الدمشقي الحنفي، وقرأت عليه جملة من الصحيحين وأجازني روايتهما مع ما يجوز له روايته في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة.

واشتغلت بها على جماعة، منهم: الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي الشافعي: قرأت عليه "منهاج النووي" في الفقه وأكثر "مختصر الأصول" لابن الحاجب وشرح العضدي مع مطالعة حواشيه منها السعدية والشريفية. وسمعت عليه كتبًا كثيرة في الفنون العربية والعقلية وغيرهما، فمنها شرح التلخيص المختصر في المعاني والبيان لملا سعد الدين، ومنها شرح تصريف العربي ومنها شرح الشيخ المذكور لورقات إمام الحرمين الجويني في أصول الفقه وتوضيح ابن هشام في النحو وغير ذلك مما يطول ذكره. وأجازني إجازة عامة بما يجوز له روايته، سنة (٩٤٣هـ).

ومنهم الملا حسين الجرجاني: قرأنا عليه جملة من «شرح التجريد» للملا علي القوشجي مع حاشية ملا جلال الدين الدواني و«شرح أشكال التأسيس» في الهندسة لقاضي زاده الرومي و «شرح الجغميني» في الهيأة له.

---

(١) أمل الآمل ١. ١٨٢.

ومنهم الملا محمد الاسترآبادي: قرأنا عليه جملة من «المطول» مع حاشية السيد الشريف و «الجامي» شرح الكافية. ومنهم الملا محمد الكيلاني: سمعنا عليه جملة من المعاني والمنطق.

ومنهم الشيخ شهاب الدين بن النجار الحنبلي: قرأت عليه جميع «شرح الشافية» للجاربردي وجميع «شرح الخزرجية» في العروض والقوافي للشيخ زكريا الأنصاري، وسمعت عليه كتبًا كثيرة في الفنون والحديث منها: الصحيحان، وأجازني جميع ما قرأت وسمعت وما يجوز له روايته في السنة المذكورة.

ومنهم الشيخ أبو الحسن البكري: سمعت عليه جملة من الكتب في الفقه والتفسير وبعض شرحه على المنهاج.

ومنهم الشيخ زين الدين الحري المالكي: قرأت عليه «ألفية بن مالك».

ومنهم الشيخ المحقق ناصر الدين اللقاني المالكي، محقق الوقت وفاضل تلك البلدة. لم أرَ بالديار المصرية أفضل منه في العلوم العقلية والعربية. سمعت عليه «البيضاوي» في التفسير وغيره من الفنون.

ومنهم الشيخ ناصر الدين الطلاوي الشافعي: قرأت عليه القرآن بقراءة أبي عمرو ورسالة في القراءات من تأليفه. ومنهم الشيخ شمس الدين محمد أبي النجا النحاس قرأت عليه "الشاطبية" في القراءات والقرآن العزيز للأئمة السبعة، وشرعت ثانيًا أقرأ عليه للعشرة ولم أكمل الختم بها. ومنهم الشيخ الفاضل الكامل عبد الحميد السمهودي قرأت عليه جملة صالحة من الفنون، وأجازني إجازة عامّة.

ومنهم الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القادر الفرضي الشافعي: قرأت عليه كتبًا كثيرة في الحساب الهوائي، و "المرشدة" في حساب الهند الغباري، و «الياسمينية» وشرحها في علم الجبر والمقابلة. و «شرح المقنع» في علم الجبر والمقابلة. وسمعت عليه بعض شرح «الوسيلة». وأجازني إجازة عامة. وسمعت بالبلد المذكور من جملة متكثرة من المشايخ يطول الخطب بتفصيلهم، ومنهم الشيخ عميرة، الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق والشيخ شهاب الدين البلقيني والشيخ شمس الدين الديروطي وغيرهم[1].

وإنَّما نقلنا هذه المقطوعة عنه بطولها وتفاصيلها لأجل أن يتبيّن أنَّ العلم يتخطّى الحاجز المذهبي وربما يوجد علم نافع عند من يخالفني في المذهب، وعلى العاقل أن يفتّش عن الحكمة أين ما كان موقعها. ويتبيّن بذلك خطأ من يتصوّر أنّ المخالف لي ما دامت عقيدته فاسدة فكلّ شيء عنده مبني عليها وهو فاسد. كما يشير إلى أنّ أعلم العلماء هو من يعلم ما لديه وما لدى غيره ويحيط بهما. ويؤكّد أهمية احترام العلماء وإن كانوا على خلاف ما نذهب إليه.

---

(١) مسالك الأفهام/ ١ / ١٤.

كما يؤكّد أنَّ الانفتاح على المذاهب الأخرى مهمّ، وإن كان بعض غير الواعين يرفضونه، وأمثال هؤلاء شنوا على الشيخ المترجم حملة بوصمه بأنّه متأثّر بالتسنن.

الأب يكتشف النّبوغ المبكر:

يتحدّث الشهيد الثاني عن بدايات دراسته فيقول إنّه ختم القرآن الكريم وهو ابن تسع سنين، وكان ذكيًّا جدًّا، وقد اكتشف والده وهو أستاذه فيما بعد في الفقه ومقدمات العلوم ذلك فيه، فعندما سلمه إلى معلمه قال له: إياك أن تضربه وإذا لم يعجبك شيء فيه أعلمني بذلك وأنا أتصرف معه!

وقارئ هذه السطور يدرك الفرق في التربية بين منهجين: ما قام عليه بعض الجاهلين بأساليب التربية الذين يكون شعارهم للمعلم أن يأخذ الصبي لحماً ويردّه لهم عظماً!

وبعد دراسة المقدّمات على يد والده، سافر إلى منطقة أخرى في لبنان وهي (كرك نوح) حيث كان يوجد المحقّق الكركي علي عبد العالي، ودرس على يده، وغيره.

وبدأ في التصنيف الفقهي الاستدلالي والاجتهادي بعد الثلاثين من العمر، وقد أكثر من التأليف والإنتاج، ولهذا فإنّه وبالرغم من قصر المدّة التي عاشها لأنّه استشهد وعمره خمس وخمسون سنة، مع سفره الكثير للقاء العلماء والأخذ منهم والمباحثة معهم، واشتغاله غالباً في حقله لمعيشة أهله، حيث ذكر بعض تلامذته أنّه كان يخرج ليلاً على حماره؛ لكي يجمع الحطب ويحضره إلى بيته من أجل التّدفئة والطبخ، وكان يحتاج إلى حراسة كرم الزراعة ليلاً، إلّا أنّه بورك له في عطائه العلمي بحيث نقل أنّه ألّف أكثر من تسعة وسبعين كتاباً ورسالة، بعضها في مجلّدات ضخام كمسالك الأفهام.

أسفار من أجل التّقارب المذهبي:

بالإضافة إلى ما ذكرناه من تفاعل الشهيد الثاني علميًّا مع علماء سائر المذاهب الإسلامية ودراسته على يدهم، ومباحثاته معهم في دمشق ومصر. رأى بثاقب نظره أن يتوجّه إلى مركز الخلافة العثمانية التي تسيطر على لبنان وسائر البلاد العربية، ويُنظر إليها على أنّها التي تمثّل المسلمين. بل منها يُعين أهل الإفتاء والتدريس وتعطى ولايات المدارس الدينية وإمامة المساجد المهمّة. وهكذا، فلو أمكن التأثير فيها بنحوٍ يكون توجه الاعتدال والإنصاف حاكمًا لتغير وضع المسلمين.

وعلى أثر ذلك توجه إلى الآستانة، والتقى بقاضي القضاة قاضي زاده الرومي هناك ونزل ضيفاً عليه، وأعجب القاضي (الرومي)[1] به إعجاباً عظيمًا لما وجد عنده من الاحاطة العلمية والقدرة الفريدة، ويقال أن الشهيد

(١) أحمد بن محمود الأدرنوي، شمس الدين، قاضي زاده ت ٩٨٨هـ: فقيه حنفي، من الروم. كان أبوه قاضيا بأدرنة وتولى هو قضاء حلب بضع سنوات ثم قضاء القسطنطينية، فقضاء عسكر الروم ايلي، وأبعد في أواخر أيام السلطان سليم، وأعيد في أيام مراد خان. ثم قلد الفتوى بدار السلطنة إلى أن توفي. له

كتب له خلال الفترة التي كان فيها ضيفاً عنده رسالة فيها عشرة علوم، وفي كل علم عشر مسائل مهمة، في الفقه، والأصول، والفلسفة، والمنطق والتفسير، وقدمها إليه.

ويقال هنا أن قاضي القضاة عرض عليه أن يكون مدرسًا في أي مدرسة من المدارس الدينية التابعة للخليفة العثماني، في لبنان ورد الشهيد بأنّه لم يأتِ طالباً للوظيفة وإنّما ليتباحث مع العلماء ويسمع منهم. فألزمه القاضي بذلك واختار المدرسة النّورية الكبرى في بعلبك بشمال لبنان[1].

وعند عودته من تركيا مر على بعلبك وبدأ يدرس في مدرستها تلك الفقه عارضاً آراء المذاهب الخمسة، فعلت في نفوس الطلاب مكانته وعرفوا منزلته وقدره، وساعده بالإضافة إلى سعة علمه سعة أفقه وشرح صدره حيث لم يكن متعصباً ضد أحد، وانتشر الطلاب يحدثون بفضله[2]، وكان على قدرٍ من الإنصاف للخصوم إلى درجة أن بعض المتعصبين من الشيعة اتهموه بالتسنّن!

عقرب الحسد يتحرك في ساعة الشهادة:

إذا كان أصحاب النعم الدّنيوية محسودين، فإنَّ أصحاب النّعم المعنوية والدرجات العلمية محسودون أكثر، إلّا أنَّ العجيب في هذه المعادلة أنَّ حسدة أصحاب الدنيا عادة لا يملكون ما يملك المحسود من المال والثروة، إلّا أنّ حسدة العلماء كثيراً ما كانوا من العلماء أنفسهم! ولا ينبغي أن يستغرب هذا، ويقال أنّه كيف يحسد العالمُ العالمَ والفقيهُ الفقيهَ؟ مع أنّهم يعرفون عقوبة الحسد وأضراره؟

ولا ريب أنَّ هذا تبسيط ساذج في معرفة الإنسان، فالقضية في النفس والمجتمع لا ترتبط بمعرفة أنَّ هذا حسن أو قبيح. وإنَّما في قدرة الإنسان بعد المعرفة على مقاومة نوازع الغضب والحسد والشهوة!

إنَّ معارك كثيرة، وحروبًا متعدّدة تقوم على أثر حبّ الرئاسة، وإنّ دماء تسفك من أجل تحصيل الوجاهة، وهي وإن غُلفت بالدفاع عن الدين أو المذهب إلّا أنّها ترجع إلى (حبّ الدنيا) الذي هو (رأس كلّ خطيئة).

وشهيدنا العاملي رحمة الله، تعرّض لحسد ومنافسة قاضي صيدا، قيل إنَّ اسمه (ابن معروف)[3]، ويظهر من

كتب، منها (نتائج الأفكار – ط في تكملة فتح القدير لابن الهمام، في فروع الحنفية، و حاشية على شرح المفتاح لم يتمها، و حاشية على شرح الوقاية لصدر الشريعة – خ في الأزهرية. خير الدين الزركلي في الأعلام ١. ٢٥٥.

(١) كما أعطي والد الشيخ البهائي الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الذي كان مصاحبا للشهيد وصديقا له منصب التدريس في مدرسة في بغداد.

(٢) تحدث الشهيد وتلميذه بن العودي عن تلك الفترة واصفين لها بأفضل الأوصاف، فقال كما نقل عنه صاحب أعيان الشيعة ج ٧ ص ١٥٣: أقمنا ببعلبك ودرسنا فيها مدة في المذاهب الخمسة وكثير من الفنون وصاحبنا أهلها على اختلاف آرائهم أحسن صحبة وعاشرناهم أحسن عشرة وكانت أياما ميمونة وأوقاتا بهجة ما رأى أصحابنا في الاعصار مثلها. قال ابن العودي كنت في خدمته تلك الأيام ولا أنسى وهو في أعلى مقام ومرجع الأنام وملاذ الخاص والعام ومفتي كل فرقة بما يوافق مذهبها ويدرس في المذاهب كتبها وكان له في المسجد الأعظم بها درس مضافا إلى ما ذكر وصار أهل البلد كلهم في انقياده ومن وراء مراده بقلوب مخلصة في الوداد وحسن الإقبال والاعتقاد وقام سوق العلم بها على طبق المراد ورجعت إليه الفضلاء من أقاصي البلاد.

(٣) لم أعثر على ترجمة له، وهذا من عبر الزمان وحكمة الحياة فإن من يشي بغيره حتى يقتل لكي يبقى يعاقب بضد ما أراد، فبينما بقي الشهيد الثاني علما سامقا يدرس عنه العلم، ويمتلئ بذكره نادي الفضل، خمد ذكر منافسه حتى لا تجد خبرا عنه. نعم يوجد في كتاب الأعلام للزركلي تعريف لشخص يسمى ابن معروف، وتتوافق فترته الزمنية مع فترة الشهيد ولعله هو، وإن يوهم الأمر أنه لم يشر إلى فترة توليه القضاء في صيدا بل ذكر أنه تولى القضاء

هذه القصة أنَّه بالخير غير معروف. وكان قد حمل في نفسه على الشهيد أنّه عندما ذهب إلى الآستانة في تركيا، لم يستأذن منه أو يخبره بعزمه ذلك، وزاد غيظاً عندما علم عن علو منزلة الشيخ واجتهاده في الفقه، ثم إكرامه الذي حصل عليه أثناء وجوده في تركيا، واطّلع على تعيينه مدرسًا وإمامًا في أكبر مدارس بعلبك وهي المدرسة النورية كما أشرنا.

وسنحت له فرصة الانتقام عندما رفع إلى الشهيد قضيّة تداعى فيها رجلان، فحكم بميزان الشرع لأحدهما على الآخر، وكعادة بعض الناس الذين يريدون التقاضي إلى العالم إذا حكم لهم، ويرفضونه إذا حكم عليهم، ذهب المحكوم عليه إلى صيدا وأخبر هذا القاضي الذي حكم له على غريمه، وحرر محضراً بذلك، وآخر للسلطان العثماني ضمّنه مجموعة من التهم والافتراءات التي تنتهي إلى عقوبة الشيخ زين الدين مثل أنّه: وجد في أطرافنا رجل مبتدع يزعم أنّه لا يعترف بالأئمة الأربعة! ولا يراعي لهم حرمة ويزعم أنّه مجتهد وهو ينشر بدعته بين الناس! وقد اتبعه على أفكاره خلق من الناس ونحن نخشى عليهم من التغير!!

وأشهد على ذلك شهود الزور، وأرسل إلى السلطان الذي أمر أن يستدعى الشخص المذكور! ليجمع بينه وبين العلماء عنده ويرى مقالته[1].

هكذا هم أصحاب المصالح الشخصية، يتظاهرون بالحرص على الناس ومصالح الناس! حتى أنّ فرعون كان يخاطب السحرة المؤمنين بأنّهم إنَّما آمنوا بموسى؛ ليخرجوا الناس من مدينتهم! **{إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}**[2].

هنا الخوف على تغير مذهب الناس وهو أمر ظنّيّ لا يقابله الخوف من إراقة دم مسلم محترم وهو محرّم قطعي!! ولا ريب أنَّ القاضي المذكور قد ضرب على الوتر الحساس لدى العثمانيين الذين كانوا يعيشون حالة حرب محتدمة مع الصفويين في إيران، والذين كانوا يرفعون شعار التّشيّع، وقد توفّر على الجبهتين سلطانان قويّان كان كل منهما يعيش همّ الانتصار على قرينه والفتح، واستخدم في تلك الحرب كلّ الأسلحة الممكنة ومنها سلاح الفتاوى والتّكفير من قبل كلّ فريق للفريق الآخر. فقد كان في الطرف العثماني السلطان سليمان القانوني الذي استمرّت سلطته قرابة نصف قرن من الزمان، وفي الطّرف الصفوي كان الشاه طهماسب الذي حكم هو الآخر أكثر من نصف قرن، وكان التطرف المذهبي عاليًا في الطّرفين!

بنابلس، فقد ذكره في ج ٧ – ص ١٠٥ قائلا: ابن معروف (٩٣٢ – ٩٩٣ هـ = ١٥٢٥ – ١٥٨٥ م محمد بن معروف الأسدي الرصاد (أو الراصد) تقي الدين: فلكي، عالم بالحساب. من القضاة. ولد بدمشق، وولي القضاء بنابلس، وتوفى بإستامبول. له كتب.

(١) الحر العاملي. أمل الآمل ١/ ٩٠.

(٢) الاعراف. ١٢٣.

يقال أنَّ الرسول الذي جاء ليأخذ الشيخ زين الدين من بلدته لم يجده فيها وعلم أنَّه في طريق الحج، فذهب خلفه حتى وجده قريباً من الحجاز! وإذ أراد إرجاع الشيخ عرض عليه الشيخ أن يحجّ معه على نفقته هو إن كان يخشى أن يهرب، ثم يعود معه، وهكذا كان فأحجه الشيخ على نفقته وكان معه في المناسك كلها.

«فلما فرغ من الحج سافر معه إلى بلاد الروم فلمّا وصل إليها رآه رجل فسأله عن الشيخ فقال هذا رجل من علماء الشيعة أريد أن أوصله إلى السلطان فقال أو ما تخاف أن يخبر السلطان بأنَّك قد قصّرت في خدمته وآذيته وله هناك أصحاب يساعدونه فيكون سببًا لهلاكك بل الرّأي أن تقتله وتأخذ رأسه إلى السلطان فقتله في مكان على ساحل البحر»[1]

وهكذا مشورة حمقاء على رجل أشدّ حمقاً أودت بقامة علميّة من وزن الشيخ زين الدين العاملي ثاني الشهيدين، تعاضد في شهادته الحسد والحمق لكي ينجزاها.

جاء القاتل ومعه رأس الشهيد الثاني إلى السلطان فسأله: ما هذا؟ فقال: هذا رأس الرجل الذي بعثتم في طلبه! فالتفت القاضي عبد الرحيم العباسي [2] وكان الشيخ الشهيد قد تعرف عليه في سفرته السابقة إلى الآستانة وقرأ عليه، وتعرف العباسي على فضيلة الشيخ زين الدين العلمية، فعرف رأسه.

وسأل السلطان[3] هذا الرسول: من أمرك أن تقتله؟

فقال: أحدهم قال لي كذا وكذا!

فردّ عليه العبّاسي: أنَّ السلطان قال أن تحضره حتى نرى كلامه ونناقشه فكيف تقتله، أنت الآن قاتل شخص عمداً من غير جناية فتقتل كما قتلت، فقتل. وصدق من قال (بشّر القاتل بالقتل ولو بعد حين).

النتاج العلمي للشهيد الثاني:

يتعجّب النّاظر في حياة ثاني الشهيدين حين يرى الغزارة والعمق في إنتاجه في وقت واحد. فربما يستطيع البعض أن يكثر من التّأليف ولكن قد لا تجد فيه الدّقّة الكافية، وقد ترى وجود الدّقة مع قلّة التأليف والتصنيف. هذا

(١) أعيان الشيعة ج ٧ ص ١٥٧.

(٢) عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (٨٦٧ - ٩٦٣ هـ = ١٤٦٣ - ١٥٥٦ م: عالم بالأدب، من المشتغلين بالحديث. ولد ونشأ بمصر، وذهب إلى القسطنطينية مع رسول من قبل السلطان الغوري إلى السلطان بايزيد، فعرض عليه بايزيد تدريس الحديث في عاصمته، فاعتذر، وعاد إلى مصر. فلما انقرضت دولة الغوري انتقل إلى القسطنطينية وأقام إلى أن توفي بها. من كتبه (معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص - ط أربعة أجزاء، و (فيض الباري بشرح غريب صحيح البخاري - خ و (نظم الوشاح على شواهد تلخيص المفتاح. يلاحظ القارئ المتأمل هنا أنه يوجد تخالف بين كون القاضي العباسي حاضرا بعد شهادة الشهيد التي كانت في سنة ٩٦٦هـ على ما ذكره مترجمو حياته وبين كون القاضي العباسي هذا قد توفي في سنة ٩٦٣هـ، أي قبل الحادثة بثلاث سنين، فأحد التاريخين، بعد تمامية القصة، لا بد أن يكون غير دقيق. وقد ذكر بعض مترجمي حياة الشهيد أنه توفي قبل هذه السنة لكن المشهور عليها، فقد نقل في أمل الآمل عن كتاب تاريخ جهان آرا بالفارسية أنه توفي سنة ٩٦٥هـ، وعن بعضهم أنه أرخه شعرا بما يعادل ٩٦٤ وهو لا يحل الاشكال. وليس لدينا مصدر آخر يذكر سنة وفاة القاضي العباسي غير ما ذكره الزركلي في الأعلام ٣. ٣٤٥.

(٣) يظهر من خلال التأريخ الذي استشهد فيه الشيخ زين الدين، أن السلطان العثماني كان سليمان القانوني الذي حكم في الفترة ما بين ٩٢٦ و٩٧٤.

مع قلّة الفترة الزّمنية التي عاشها بالقياس إلى غيره من العلماء حيث لم يتجاوز عمره (٥٥) عاماً، ومع أنّه كان في مطلع عمره يعمل في كرم (بستان عنب) له في النهار، وينقل الحطب والماء إلى أهله في الليل، أي لم تكن الأمور الحياتية والمعاشية ميسرة له حتى يتفرغ بالكامل للتأليف.

فقد عدّ له السيد الأمين في الأعيان، (٧٩) كتابًا ورسالة. اشتهر بعضها، وصار محور الدراسة العلمية في الحوزات الشيعية، ولا يزال بالرغم من مرور ما يقارب خمسة قرون على تأليفها.

منها كتاب الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقية: ويقع في عشرة أجزاء بالطبع الحديث. وهو شرح استدلالي مزجي على كتاب اللمعة الدمشقية للشهيد الأوّل الشيخ محمد بن مكي العاملي، وقد كتبه الشهيد الأول استجابة لطلب قادة (سربداران)[1] في خراسان لا كما يقوله البعض من أنّه كتبه في السجن على ما حقّقه بعض الأفاضل.

ومنها مسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام: ويقع في ١٥ مجلدًا بالطبع الحديث، ومن المعلوم أنَّ كتاب شرائع الإسلام للمحقّق الحلّي -رحمه الله- كان ولا يزال من النّصوص الفقهية المتينة والمتقنة التي لقيت اهتمامًا واسعًا من قبل العلماء والباحثين، ولذلك يقول بعضهم إنَّ ما عرف من الشروح على هذا الكتاب تجاوز المائة، إلى زمان صاحب الذّريعة الطهراني.

إلّا أنَّ شرح الشهيد الثاني الاستدلالي (المسالك) يعدّ من أفضلها حيث إنَّه جمع بين اختصار العبارة وجامعية الدليل، وهو مختصر في باب العبادات مفصّل في المعاملات.

ومنها روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان وهو شرح استدلالي لكتاب العلامة الحلي (إرشاد الأذهان) والموجود منه مطبوعًا باب الطهارة والصلاة.

ومنها كتاب تمهيد القواعد الأصولية والعربية لتمهيد الأحكام الشرعية، وهو كتاب وصفه مؤلّفه بأنّه (واحد في فنه)، ويشتمل على مائة قاعدة أصولية ولغوية تنفع طالب العلم في استنباط الأحكام الشرعية، وتتبيّن آثارها فيها.

ومنها كتاب مسكن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد: وهو كتاب أنتجته معاناة الشهيد ومكابدته الألم حيث أنّه لم يكن يبقى لديه ولد، «فمات له أولاد ذكور كثيرون قبل الشيخ حسن الذي كان لا يثق بحياته أيضاً» كما

(١) سربداران: أي المشنوقون، اسم لحركة تحررية صارت فيما بعد دولة، وذلك أنه بعد استيلاء المغول على إيران في القرن الثامن الهجري، واضطهادهم لأهل خراسان وسبزوار، بمصادرة الأموال وانتهاك الأعراض، ثار أحد العلماء بإسم شيخ خليفة، وواصل المسيرة بعده تلميذه شيخ حسن الجوري، واستطاع أعقاب هؤلاء أن يحكموا خراسان وأطرافها قرابة نصف قرن من الزمان باستقلال عن المغول، وانتهت دولتهم في سنة ٧٨٨ هـ. وقد سُموا بهذا الاسم كما يقول صاحب روضات الجنات لأنهم كانوا يقولون، إن استطعنا دفع الظلم وإلا فلتكن رؤوسنا على المشانق حيث لا نتحمل الظلم بعد هذا أبدا.. وقد كاتبوا الشيخ محمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الأول ليأتي إليهم ويكون قاضيهم فلم يفعل وزودهم بكتاب فقهي كتبه لهم هو اللمعة الدمشقية.

قال السيد الأمين.

ويستطيع الناظر أن يرى بوضوح مقدار ألم الشيخ زين الدين من جهة، مثل ما يرى صبره ورضاه بما قسم له في مقدمة ذلك الكتاب حيث يقول «فلما كان الموت هو الحادث العظيم، والأمر الذي هو على تفريق الأحبة مقيم، وكان فراق المحبوب يعد من أعظم المصائب، حتى يكاد يزيغ له قلب ذي العقل، والموسوم بالحدس الصائب، خصوصاً ومن أعظم الأحباب الولد، الذي هو مهجة الألباب، ولهذا رتب على فراقه جزيل الثواب، ووعد أبواه شفاعته فيهما يوم المآب.

فلذلك جمعت في هذه الرسالة جملة من الآثار النبوية، وأحوال أهل الكمالات العلية، ونبذة من التنبيهات الجلية، ما ينجلي به إن شاء الله تعالى الصدأ عن قلوب المحزونين، وتنكشف به الغمة عن المكروبين، بل تبتهج به نفوس العارفين، ويستيقظ من اعتبره من سنة الغافلين».

ومنها كتاب منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، ضمنه أخلاق أهل العلم دارسين ومدرسين، ونصائح مهمة في طلب العلم

ومنها كتاب الرعاية في علم الدراية: وهو كتاب في جزء واحد كتبه على سبيل الإيجاز والاختصار وأحال من يطلب التفصيل على كتابه الآخر (غنية القاصدين في معرفة اصطلاح المحدثين) الذي وصفه بأنَّه بلغ الغاية في الاستقصاء.

ومنها أجوبة لمسائل مختلفة وردت إليه مثل: جوابات المسائل الهندية، والشامية، والمباحث النجفية، وجوابات ستين مسألة، وجوابات الشيخ أحمد ظاهر.

ومنها كتاب شرح الألفية والنفلية حيث كتب الشهيد الأول في شرحه لحديث منقول عن النبي أنَّ للصلاة ألف حدّ، فذكر ألف واجب من واجباتها، ثم أتبعه بالنفلية حيث نقل عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، أنَّ لها أربعة آلاف حدّ، فبقي الباقي وهو المستحبات.

وجاء الشهيد الثاني فشرح ما أسسه الشهيد الأول.

شهر
جمادی الأولی

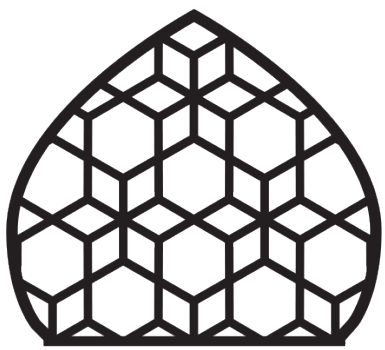

من فكر السيدة الزهراء عليها السلام

من فكر السيدة الزهراء عليها السلام

صباح الصافي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قالَت مَولَاتِنا الزَّهْراء عليها السلام: **" فقالَ النَّبيُّ الأعظمُ محمد s: « وَالَّذي بَعَثَني بِالحَقِّ نَبيّاً وَاصطَفاني بِالرِّسالَةِ نَجِيّاً، ما ذُكِرَ خَبَرُنا هذا فِي مَحفِلٍ مِن مَحافِلِ أَهلِ الأَرَضِ وَفِيهِ جَمعٌ مِن شِيعَتِنا وَمُحِبِّينا إِلاّ وَنَزَلَت عَلَيهِمُ الرَّحمَةُ، وَحَفَّت بِهِمُ المَلائِكَةُ وَاستَغفَرَت لَهُم إِلى أَن يَتَفَرَّقُوا..."**[1].

حديث الكساء الشريف من الأحاديث المروية عن مولاتنا الزهراء عليها السلام بعدّة طرق، مليء بالخيرات، والبركات، والفوائد العلمية والعقائدية والتاريخية والروحية، بل كل الفوائد التي يمكننا أن نتصوّرها موجودة في هذا الحديث.

وحديث الكساء؛ حديث صحيح، متواتر، مشهور، تناقلته المصادر الإسلامية المعتبرة لدى الفريقين ككتب التفسير والحديث والتاريخ، ولا يكاد أحد يشك في صدور هذا الحديث من الرسول صلى الله عليه وآله بحق أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، بيَّن فيه صلى الله عليه وآله فضل أهل بيته المعصومين عليهم السلام، وهم: علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن بن علي والحسين بن علي عليهم السلام.

وقد أدلى النبي صلى الله عليه وآله بهذا الحديث حينما جمع هؤلاء النخبة تحت الكساء، ولهذا السبب سُمي هذا الحديث بحديث الكساء .

أما نص الحديث من حيث اللفظ فقد رُوِيَ بصيغٍ متعددة، لكن هذه الصيغ، وإن اختلفت من حيث اللفظ إلَّا أنّها تتحد من حيث المعنى والمضمون، فكلها تُشير الى أنّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أراد تطبيق آية التطهير على هؤلاء النخبة، كما أراد التأكيد على أنّهم هم المقصودون من أهل البيت في الآية المباركة، لا غيرهم.

لذلك سنحاول أن نركز على محورين في هذا البحث:

---

(١) رَوَى هذا الحديث الشّيخ عبد الله بن نور الله البحراني في كتابه القَيِّم (عَوالِم العلوم)، بسندٍ صحيح عن جابر بن عبد الله الأنصاري .

المحور الأول: قيمة هذا الحديث الشريف.

المحور الثاني: الوقوف عند بعض المضامين العالية في هذا الحديث الشريف.

بيان المحور الأول: قيمة هذا الحديث الشريف.

لقد تناول المسلمون جميعاً الحدث الذي قام به النبي الأعظم ﷺ بينه وبين أهل بيته عليهم السلام باهتمام بالغ، وتداولوه فيما بينهم كحدث قام به رسول الله ﷺ، فالواقعة بما هي واقعة كحدث لما هو حدث أمر مشتهر بين المسلمين، متفق على روايته جميع المسلمين.

ولعل المتتبّع للروايات الموجودة في كتب المسلمين يرى أنَّ هذه الواقعة حدثت أكثر من مرَّة؛ لأنَّ الكيفيات التي روي بها هذا الحديث مختلفة مما يشير الى تعدّد هذا الفعل من رسول الله ﷺ لأهل بيته عليهم السلام؛ تاكيداً لمؤدّاه، ووصولاً لهذا التأكيد للأمّة، وقد ذهب أيضاً الى تكرار هذا الفعل بعض علماء العامة أنَّ النبي ﷺ قام بهذا الفعل أكثر من مرَّة؛ ولهذا من يتوقف في قبول هذا الحديث كواقعة حصلت من رسول الله ﷺ في حق أهل بيته عليهم السلام فهذا قد أنكر رواية تصنّف أنها من المتواترات؛ فقد رواها زهاء ثلاثين شخصاً منهم خمسة من المعصومين، وهنا يشك في تسليم المنكر وفي قبوله بأفعال رسول الله ﷺ؛ ولذلك ليعيد حساباته في العلاقة مع رسول الله ﷺ.

و فيما يلي نذكر بعض النّماذج التي روتها المصادر المعتمدة لدى المذاهب الأخرى:

أوّلاً: عن عائشة قالت: " خرج النبي ﷺ غداة و عليه مِرْط [1] مرحّل [2] من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (... **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) [3][4].

ثانياً: عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ... **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً، وعلي خلف ظهره، فجللهم بكساء، ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ".

قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله ؟

قال: " أنت على مكانك وأنت على خير "[5].

---

(١) المِرْط: كساء من صوف، أو خزّ أو كتان يؤتزر به .

(٢) مرحل: ضرب من برود اليمن .

(٣) سورة الأحزاب: الآية: ٣٣

(٤) صحيح مسلم: ٦٨٦، الحديث رقم: (٢٤٢٤) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي، طبعة دار ابن حزم، القاهرة/ مصر.

(٥) صحيح الترمذي (كتاب تفسير القران): ٥ / ٣٥١، ح ٣١٠٥، و أخرجه في (كتاب المناقب باب مناقب أهل البيت): ٥ / ٦٦٣، حديث: ٣٧٨٧ / طبعة: بيروت / لبنان .

ثالثاً: عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت (... **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ** ...) فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي و فاطمة و الحسن و الحسين فقال: "هؤلاء أهل بيتي[1] " .

رابعاً: في صحيح مسلم بالإسناد إلى صفية بنت شيبة قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرْط مرحّل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (... إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).[2]

خامساً: في مسند أحمد بن حنبل، عن أم سلمة أنَّ النبي ﷺ كان في بيتها فأتت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت بها عليه فقال لها: إدعي زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء خيبري ـ قالت ـ وأنا أصلي في الحجرة، فأنزل الله عَزَّ و جَلَّ هذه الآية: (... **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها السماء ثم قال:

" اللهم إنَّ هؤلاء أهلُ بيتي وخاصتي فأَذهِب عنهم الرجسَ، وطَهِّرهم تطهيراً، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهِب عنهم الرجسَ وطَهِّرهُم تطهيراً ". قالت: فأدخلتُ رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: "إنَّك إلى خير إنّك إلى خير"[3].

ومن علماء الشيعة المتأخرين هناك من حاول الجمع بين النقلين المذكورين فقال باحتمال تعدّد الوقوع، وصحة كلا النقلين[4].

وهنا لا بُدّ من الإشارة إلى نقطة مهمّة أنَّ حديث الكساء بهذا الاسم رُوي بكيفية أخرى عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري عن مولاتنا وسيدتنا فاطمة الزهراء ﷺ، وهذا هو الحديث المشهور في كتب الشيعة، وقد دأب الشيعة جميعًا على قراءته والتبرك به في مجالس التوسل لطلب الحوائج المتعسرة من الله سبحانه وتعالى.

والسؤال هنا: أنَّ هذا الحديث الذي رواه أو الكيفية التي رواها جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله عليه عن مولاتنا الزهراء ﷺما قيمته السندية؟

وهل هو معتبر وممكن الركون إليه أم لا؟

---

(١) الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين (كتاب معرفة الصحابة: ٣/ ١٤٦، و قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، و لم يخرجاه/ طبعة: بيروت / لبنان .

(٢) صحيح مسلم: ٤ / ١٨٨٣، حديث: ٢٤٢٤، طبعة: بيروت / لبنان .

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ٦ / ٢٩٢، طبعة: بيروت / لبنان .

(٤) المقرم، عبد الرزاق الموسوي، وفاة الصديقة الزهراء ﷺ، النجف الأشرف، منشورات المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠ هـ، ص ٤٤.

وقبل الإجابة عن هذا السؤال لا بُدّ من الإشارة أن منهج علمائنا في الأدعية وأحاديث الفضائل والمعاجز إذا كان مضمونها يتوافق مع الكتاب الكريم ومع السنّة المأثورة عن النبي محمد ﷺ وأحاديث أهل البيت عليهم السلام أنّهم لا يدققون كثيراً في السند ما دام المضمون متوافق مع القرآن ومتوافق مع الرّوايات المعتبرة.

وبعبارة أخرى: لا يشترط قوّة السند في أخبار الفضائل والمعاجز؛ لأنَّ المطلوب في أخبار الفضائل والمعاجز والكرامات عقد القلب على المعارف اليقينية والتسليم لفضائل الحجج الطاهرين الذين لولاهم ما خلق الله تعالى الخلق.

ولذلك سننقل بعض كلمات الأعلام حول حديث الكساء، وقيمته المصدرية؛ لأجل التعرف على قيمته السندية وهل هو معتبر، وما موقف علمائنا منه؟

وهذه جملة من التصريحات التي تخص اعتبار هذا الحديث الشريف:

التصريح الأوَّل: يُسأل المرجع الراحل آية الله الميرزا جواد التبريزي -أعلى الله مقامه- هل ثبت لديكم صحّة سند حديث الكساء؟

باسمه تعالى: حديث الكساء مشهور، والثواب المنقول يعطى للقارئ والمتوسل بقراءته، ومن ورد في حقهم الحديث إلى الله سبحانه وتعالى عند الحاجات، والله العالم[1].

التصريح الثاني: حينما قدم استفتاء لسماحة المرجع الديني السيد محمد صادق الروحاني دام ظله:

في ظلّ التشكيك في سند حديث الكساء المعروف في المنتخب والعوالم، هل تذهبون إلى تصحيح سنده وتوثيق رواته ؟ وما رأيكم في دلالة الحديث ؟

ولماذا ابتدأ الله بفاطمة عليها السلام وجعلها محوراً لجبرئيل، ولم يبتدئ بالنبي الأعظم ﷺ؛لأنّه أفضل الموجودات ؟

وما سرُّ استئذان جبرئيل مرّة أُخرى من النبيّ الأعظم ﷺ في الدخول تحت الكساء بعد استئذانه من الله تعالى ؟

جواب: باسمه جلت أسماؤه

سند الحديث ابتداءً بصاحب العوالم (قدس سره) وانتهاءً بالصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه) في غاية الاعتبار، وليس يوجد فيه مَن يمكن أن يغمز في وثاقته إلَّا (القاسم بن يحيى)، والصحيح عندنا وثاقته لرواية البزنطي عنه، الذي قد ثبت في حقه أنّه لا يروي إلَّا عن ثقة، ومع الإغماض عن ذلك فإنّ نفس صحّة السند للبزنطي كافية لاعتباره، ولا حاجة للنظر في أحوال الواقعين بعده; لأنّه أحد الذين أجمعت الطائفة على تصحيح ما صحّ عنهم، فسند الحديث صحيح بلا إشكال .

(١) الأنوار الإلهية في المسائل الاعتقادية الشيخ التبريزي قدس سره/ ص٩٧/ دار الصديقة الشهيدة عليها السلام.

مضامين الحديث الشريف عالية جدّاً، وما اشتمل عليه من الفضائل والكمالات لمحمّد وآله ﷺ، ممّا استفاضت به الأحاديث الكثيرة والمعتبرة، فلا سبيل للتشكيك في شيء من مضامينه وما دلّ عليه .

ولعلّ النكتة في الابتداء باسم الصدّيقة الطاهرة ﷺ، هي كونها العقد الجامع بين نوري النبوّة والإمامة، فإنّ المستفاد من روايات عالم الأنوار أنّ النورين الشريفين كانا نوراً واحداً يتقلب في أصلاب الطاهرين، حتّى انتهى إلى صلب سيّدنا الأعظم عبد المطلب ﷺ، فقسّمه الله تعالى إلى نصفين، أحدهما في سيّدنا عبدالله ﷺ وهو نور النبوّة، والآخر في صلب مولانا أبي طالب ﷺ وهو نور الإمامة، وما زالا مفترقين حتّى التقيا مرة أُخرى في الصدّيقة الطاهرة الزهراء (أرواحنا فداها) فصارت ملتقى النورين، ومجمع البحرين، ومجلى المقامين; ولذا تمّ الابتداء بذكرها قبل الابتداء بذكر كلّ واحد من النورين مستقلّاً; لكونها المحور الذي يدور النوران في محيط دائرته .

ـ ولعلّ الوجه في تجديد طلب الإذن من النبيّ ﷺ، بعد طلبه من الله سبحانه وتعالى بالمباشرة، هو أنّ الكينونة تحت الكساء مرتبة لم ينلها إلّا محمّد وآله ﷺ، وما كان يخطر في نفس جبرئيل ﷺ ـ على عظمته ـ أن يفوز بالوصول إلى تلك المرتبة; ولذا كان يكرر الاستئذان من أجل الاستيقان بأنّه قد وصل إليها، كما ومن المحتمل أيضاً: أن يكون الإذن الإلهي معلّقاً بشكل طولي على إذن نبيّه الأعظم ﷺ فلزم على جبرئيل أن يعيد الاستئذان; لكون إذن الله تعالى معلّقاً على إذن رسول الله ﷺ .[1]

التصريح الثالث: استفتاء وجه لسماحة آية الله السيد اليثربي (مد ظله) ..

بسم الله الرحمن الرحيم سماحة آية الله السيد اليثربي (مد ظله) .. مولانا سلام عليكم، ودمتم ذخراً لأيتام آل محمد ﷺ.. هذه الأيام تثار مزاعم تكذيبية حول سند ومتن حديث الكساء الشريف – بصيغته الواردة في مجمع الطريحي، وعوالم العلوم، ومفاتيح الجنان – فما هو رأيكم الشريف في الحديث المذكور سنداً ومتناً؟

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ما رواه صاحب العوالم رحمه الله في حديث الكساء صحيح عندنا ولدينا طريق صحيح إلى هذه الرواية وفقكم الله لمرضاته إن شاء الله[2].

التصريح الرابع: للاغا بزرك الطهراني العلامة المعروف طاب ثراه له تصريح في كتابه الذريعة الى تصانيف

---

(١) استفتاء مقدم على موقع سماحة السيد محمد صادق الروحاني دام ظله.

(٢) http: / /www.yasrebi.ir /Asteftah.aspx

الشيعة حيث قال: في معرض ذكر بعض المصنفات التي صنفها بعض الشعراء سواء كانوا من الشعراء أو من العلماء وقد نظموا حديث الكساء أي جعلوه على هيئة شعر: يذكر هذه المصنفات وهو في هذا المعرض تعرض لتقييم حديث الكساء فقال: « ونحن نذكر هاهنا بعض من نظموا هذا الحديث الذي له شأن عظيم عند الشيعة ويتبركون به ويحفظونه عن ظهر القلب"[1].

التصريح الخامس: المرجع الديني السيد محمد بن المهدي الشيرازي قدس سره:

أما سند حديث الكساء: فقد رواه والدي رحمه الله في رسالة مخطوطة لـه بسند صحيح متصل الإسناد، وكل واحد منهم من الأعلام[2].

والنتيجة إنَّ لعلمائنا الأعلام كلامًا رفيعًا حول قيمة هذا الحديث الشريف؛ فهم بين من يرى اعتباره من ناحية السند ويرى اعتبار إسناده، ومنهم من يرى بأنه مشهور فيطمئن بصدوره عن المعصوم أو أنه محفوف بالقرائن الكثيرة، ووفق حساب الاحتمالات وتراكم الاحتمالات يطمئن بصدوره عن المعصوم عليهم السلام .

إذن لا يبقى مجال للمناقشة الزائدة في اعتبار هذا دعاء وصحة نسبته إلى الإمام المعصوم أو مولاتنا الزهراء عليها السلام هذا بالنسبة للمحور الأوّل . وتشكيك الشاذ في مقابل الإجماع العلمائي شك ليس له قيمة في سوق التحصيل، ويجب رفضه على وفق قول الصادق عليه السلام « خذ بما اشتهر بين أصحابك، ودع الشاذ النادر »[3] ولاريب أنَّ ديدن العلماء المتقدّمين والمتأخرين على الأخذ بالحديث المذكور والعمل بمضمونه والتشكيك فيه لا يقدح بصحته، بل لا يزيده التشكيك إلاَّ جودةً ومتانةً فتأمل. وعلى فرض [ضعف السند] فإنَّ دلالات عباراته متوافقة مع الكتاب والسنّة، وهو كاف في صحّة اعتباره، فضلاً أنّه لا يشترط قوّة السند في أخبار الفضائل والمعاجز كما لا يخفى على أهل العلم .

المحور الثاني: المضمون العالي لهذا الحديث الشريف.

يضم هذا الحديث الشريف بين جوانبه مضامين عالية رفيعة جداً، فيها عمق، وفيها آفاق عقائدية ضخمة، وهذه المضامين والدرر ثمينة في سوق المعارف الإلهية، وسوف أقف وإيَّاكم على مضمون واحد، وإن كانت المضامين كثيرة، وذلك للفت النظر إلى هذا الثراء الضخم الذي نمتلكه في تراث أهل البيت عليهم السلام؛ لنستفيد منه في جميع نواحي الحياة.

---

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة/ الشيخ آقا بزرك الطهراني/ ج٢٤/ ص٢٠٥، الناشر: دار الأضواء/ الطبعة: ٢.

(٢) من فقه الزهراء عليها السلام/ ج١/ ص٩.

(٣) بحار الأنوار / ج ٢ / ص ٢٤٥.

أهل البيت عليهم السلام علّة الإيجاد

ركَّز هذا الحديث على مطلب عقدي رائع الى أبعد الحدود، حيث جاء في حديث الكساء قول النبي صلى الله عليه وآله عن الله تعالى:" **فَقالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: يا مَلائِكَتِي وَيا سُكَّانَ سَماواتِي، إنِّي ما خَلَقتُ سَماءً مَبنِيَّةً وَلا أرضاً مَدحِيَّةً وَلا قَمَراً مُنِيراً وَلا شَمساً مُضِيئَةً وَلا فَلَكاً يَدُورُ وَلا بَحراً يَجرِي وَلا فُلكاً يَسرِي إلاّ فِي مَحَبَّةِ هؤُلاءِ الخَمسَةِ الَّذِينَ هُم تَحتَ الكِساءِ. فَقالَ الأمِينُ جبرائِيلَ: يا رَبِّ وَمَن تَحتَ الكِساءِ، فَقالَ عَزَّ وَجَلَّ: هُم أهلُ بَيتِ النُّبُوَّةِ وَمَعدِنُ الرِّسالَةِ، هُم فاطِمَةُ وَأبُوها وَبَعلُها وَبَنُوها**" .

وقبل أن نتناول الآراء التي قيلت حول هذا المقطع، لا بُدّ من الإشارة إلى مطلب مهم ألا وهو أنَّ هذا المضمون لا يوجد فقط في هذه المقطوعة من حديث الكساء، بل هو موجود في مضامين روايات أخرى عن أهل النبي عليهم السلام، فقد روى الحموينى والخطيب الخوارزمي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: " لَمَّا خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفتَ آدمُ يمنة العرش فإذا في النور خمسة أشباح سُجَّدًا ورُكَّعًا قال آدم: هل خلقتَ أحدًا من طينٍ قبلي؟ قال: لا يا آدم قال: فَمَنْ هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيأتي وصورتي؟ قال: هؤلاء من وُلدِك لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققتُ لهم خمسة أسماء من أسمائي لولاهم ما خلقتُ الجنة والنار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن فأنا المحمود وهذا محمد وأنا العالي وهذا علي وأنا الفاطر وهذه فاطمة وأنا الإحسان وهذا الحسن وأنا المحسن وهذا الحسين، آليتُ بعزَّتي أن لا يأتيني أحدٌ بمثقال ذرة من خردل من بُغض أحدهم إلا أُدخله ناري ولا أُبالي يا آدم هؤلاء صفوتي"[1].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " ما خلق الله خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه مني، يا علي لولا نحنُ ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا الأنبياء ولا الملائكة"[2].

وعن عبد الله بن مسعود قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله:" لما أن خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه من روحه، عطس آدم فقال: الحمد لله، فأوحى الله تعالى: حمدني عبدي، وعزتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك. قال: إلهي! فيكون مني؟ قال: نعم يا آدم، ارفع رأسك وانظر، فرفع رأسه فإذا مكتوب على العرش: لا إله إلا الله، محمد نبي الرحمة، وعلي مقيم الحجة، من عرف حق علي زكا وطاب، ومن أنكر حقه لعن وخاب. أقسمت بعزتي أن أدخل الجنة من أطاعه وإن عصاني، وأقسمت بعزتي أدخل النار من عصاه وإن أطاعني"[3].

(١) أخرجه الحموئي في الباب الأول من فرائد السمطين، وقريباً منه الخوارزمي في المناقب ص ٢٥٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق/ ج ٢ / ص ٢٣٧.

(٣) مجمع النورين للمرندي: ١٤.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري: عن رسول الله ﷺ، عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما"[1].

ولهذه الروايات وغيرها فقد أشار الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه في كتاب الاعتقادات الى هذه الحقيقة حيث قال: " ويجب أن نعتقد أنَّ الله تعالى لم يخلق خلقًا أفضل من محمد والأئمة، وأنَّهم أحب الخلق إلى الله، وأكرمهم عليه، وأولهم إقرارًا به لما أخذ الله ميثاق النبيين (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ)"[2] . وأنَّ الله تعالى بعث نبيه محمدًا ﷺ إلى الأنبياء في الذر. وأنَّ الله تعالى أعطى ما أعطى كلّ نبي على قدر معرفته نبينا، وسبقه إلى الإقرار به. وأنَّ الله تعالى خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته ﷺ وأنّه لولاهم لما خلق الله السماء والأرض، ولا الجنة ولا النار، ولا آدم ولا حواء، ولا الملائكة ولا شيئًا مما خلق، صلوات الله عليهم أجمعين".[3]

فهذه الحقيقة تلقّاها علماؤنا بالقبول؛ لأنَّها مبثوثة كمضمون في روايات كثيرة عند أهل البيت الواردة عنهم ﷺ.

هناك آراء عديدة لفهم هذه العبارة:

الرأي الأول: أنَّ السبب في الإفاضة والخلقة هو محبة النبي وأهل بيته ﷺ كما يشهد له هذا الحديث: «إلَّا في محبة[4] هؤلاء الخمسة» ونظائره.

وذلك كما أنّ ربّ البيت يقوم بدعوة العديد من الناس عند دعوته عظيماً من العظماء؛ إكراماً له ف (لأجل عين ألف عين تكرم) بمعنى أنَّ الله سبحانه وتعالى لما أحبهم[5] خلق الخلق لأجلهم ﷺ، وقد قال سبحانه: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»[6]، ومن الواضح أنَّ محبة الله لكي يعرف ليس لأجل نقصه؛ لأنَّه ليس بناقص حتى يكمله شيء، وإنَّما لأجل العطاء والإعطاء[7].

الرأي الثاني: المراد من العلة الغائية أنَّهم الأصل، لأنَّ الله سبحانه خلقهم أوّلاً وخلق الخلق من شعاع نورهم وفيض جودهم، وجعل الخلق فرعاً لوجودها، كما خلق الشمس وخلق الشعاع عنها، وجعله فرعاً لوجودها ومظهراً لأحكامها، فعلى هذا كل أصل بالنسبة إلى فرعه هذا حكمه، والخلق ما سواها فروع لها، وأشعة

---

(١) عوالم العلوم: ج١١/ ص٢٦، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام. نقلاً عن (الجنة العاصمة) عن (كشف اللآلي) لابن العرندس. ومما يشير إلى ذلك قوله ﷺ: «أنا شجرة وفاطمة أصلها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرها». راجع الأمالي للمفيد: ص٢٤٥/ المجلس٢٨ / ح٥.

(٢) الأعراف/ الآية: ٧.

(٣) الاعتقادات في دين الإمامية/ الشيخ الصدوق/ ص ٩٣.

(٤) (في) تأتي للظرفية وللسببية أيضاً كما في الحديث: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها ... ». مستدرك الوسائل: ج٨/ ص٣٠٣ / ب٤٤ / ح٩٥٠٥.

(٥) حيث إن الصفات النفسية التي تسند إلى الله سبحانه يراد بها نتائجها وغاياتها، فالمراد بمحبته لهم ترتيب آثارها ومنها: العناية والإفاضة على المحبوب بشتى أنواع الإفاضة بإعطائه قصوى درجات الكمال وتوخي رضاه، ولذا ورد: «إن الله يرضى لرضا فاطمة». راجع الأمالي للمفيد: ص٩٥/ المجلس١١ ح٤.

(٦) بحار الأنوار/ ح٨٤ / ص١٩٩.

(٧) وهؤلاء الأطهار عليهم السلام هم وسائط الفيض ووسائط العطاء والإعطاء.

لأنوارها، يتوجهون إلى الله تعالى بها، ويعبدون الله بدلالتها، وكذلك من دونها، وأقرب الحقائق إليها، أصل لما عداه.

عن النبي ﷺ قال: " إنّ اللهَ خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسنَ والحسينَ قبلَ أن يخلُقَ آدمَ ﷺ، حينَ لا سماءَ مبنية، ولا أرضٌ مدحية، ولا ظُلمةٌ ولا نور، ولا شمسٌ ولا قمر، ولا جنّةٌ ولا نار». وهنا سأله عمّهُ العبّاسُ بن عبد المطلّب فكيف كان بدءُ خلقِكم يا رسولَ الله؟ فأجابَه النبيّ ـ ﷺ ـ قائلاً له: «يا عمّ، لمّا أراد اللهُ أن يخلقنا تكلّمَ بكلمةٍ خَلَق منها نوراً، ثمّ تكلّم بكلمةٍ أُخرى فخلقَ منها روحاً، ثمّ مزجَ النورَ بالروح، فخلقني وخَلقَ علياً وفاطمةَ والحسنَ والحسين، فكنّا نُسبّحهُ حينَ لا تسبيح، ونُقدّسُه حينَ لا تقديس. فلمّا أراد اللهُ تعالى أن ينشيءَ خَلقَه فتقَ نوري فخلق منه العرش، فالعرشُ من نوري ونوري من الله، ونوري أفضلُ من العرش. ثمّ فتقَ نورَ أخي عليٍّ فخلقَ منه الملائكة، فالملائكةُ من نورِ عليٍّ من نورِ الله، وعليٌّ أفضلُ من الملائكة. ثمّ فتق نورَ ابنتي، فخلقَ منه السماوات والأرض، فالسماواتُ والأرضُ من نورِ ابنتي فاطمة، ونورُ ابنتي فاطمةُ من نورِ الله، وابنتي فاطمةُ أفضلُ من السماوات والأرض. ثمّ فتقَ نورَ ولديَ الحسن فخلقَ منه الشمسَ والقمر، فالشمسُ والقمرُ من نورِ الله، والحسنُ أفضلُ من الشمس والقمر. ثمّ فتقَ ولديَ الحسين فخَلَق منه الجنّةَ والحورَ العين، ، فالجنّةُ والحُورُ العينُ من نورِ ولديَ الحسين، ونورُ ولديَ الحسين من نورِ الله، وولديَ الحسينُ أفضلُ من الجنّة والحورِ العين"[1].

الرأي الثالث: وهنا يمكن أن يقال[2]: العلة الغائية ـ وهي الداعي لفاعلية الفاعل ـ لخلقتنا هي محبة الأئمّةﷺ ومعرفتهم، والعلة الغائية لمحبتهم ومعرفتهم هي معرفة الله سبحانه، إذ هم ﷺ الأدلّاء على الله وهي الكمال الأكبر، فمعرفتهم ﷺ طريق الكمال والتكامل، وبذلك يجمع بين الروايتين[3].

وتوضيح هذا الرأي نصوغه على شكلٍ آخر، فقد بيّن الله تعالى العلّة التي من أجلها خلق الإنسان، فقد قال الله تعالى(**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**)[4]، وهذه الآية الكريمة تشير إلى أنّ الغرض من الخلقة هو وصول الإنسان الى أعلى مراحل الكمال والسعادة بسبب معرفة الله تعالى وصفاته الكماليّة وعبادته وإطاعته وإمتثال أوامره ونواهيه وتطبيق أحكامه وتشريعاته في جميع المجالات، وهذا الغرض إنَّما يحصل ببركة

---

(١) بحار الأنوار / ج ٣٧ / ص ٨٣.

(٢) الفرق بين هذا والرأي الأول: إن الأول باعتبار إضافة المحبة إلى الله تعالى، والثاني باعتبار إضافتها للخلق (إلَّا في محبة) أي محبة لهؤلاء أو محبة الخلق لهم، أي السبب في الخلقة إرادة محبة الخلق لهم ومعرفتهم بهم ﷺ فليدقق.

(٣) أي بين (إلَّا في محبة هؤلاء الخمسة) التي تقتضي أن سبب الخلقة محبتهم ﷺ، و(فخلقت الخلق لكي أعرف) (بحار الأنوار: ٨٧/ ١٩٩ ب ١٢/ ح ٦ بيان] التي تدل على أن السبب معرفة الله سبحانه.

(٤) الذاريات: ٥٦.

أصحاب الكساء: النبي الأعظم ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والأئمّة من ولد الحسين عليه السلام فإنّهم الطريق الوحيد لمعرفة الله تعالى معرفةً كاملة بحسب قدرة البشر، وإن كان معرفته تعالى حقّ المعرفة مستحيلاً وذلك لأنّ أصحاب الكساء ـ كما ورد في الروايات ـ كانوا أنواراً بعرش الله محدقين، وقد تعلم منهم الملائكة والأنبياء والرسل التسبيح والتحميد والعبادة والخضوع والخشوع، وكان الأنبياء يتوسّلون بمحمّد وآل محمّد في الوصول إلى أهدافهم السامية والنجاة من المهالك.

وتوضيح هذا الرأي:

يقسّم الفلاسفة العلة على أقسام منها: العلة الغائية؛ وهي العلة التي يكون وجود الشيء لأجلها .

فمثلاً النّجار عندما يصنع الكرسي، فالعلة من ذلك الجلوس عليه، فالجلوس علّة غائية كان لأجلها فعل النّجار في صنع هذا الكرسي .

إذا وضحت هذه الفكرة نعود إلى صلب موضوعنا، الله خلق الخلق وصنعه، والغاية العبادة، قال تعالى (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**)، فالهدف العبادة، ولم يحقّق هذا العلة الغائية من خلق الخلق على أتم وجه وعبد الله على أتم وجه وأكمل وجه إلّا محمد وأهل بيته عليهم السلام.

فشكّلوا النّموذج والغاية التي يريد الله تعالى من الخلق أن يصلوا إليها، وكأنَّ الله سبحانه يقول للخلق إذا أردتم أن تصلوا إلى العبادة التي أريدها منكم فانظر وإلى النموذج التام إلى محمد وآل محمد فخلق الخلق من أجل أن يعبدوا الله عزوجل وفق هذا النموذج الذي جسده الرسول الأعظم محمد وأهل بيته عليهم السلام .

والله بعلمه يعلم بأنَّ أهل البيت عليهم السلام سوف يجسدون هذا النموذج قبل خلقهم فخلقهم مقدمين على سائر الخلق ورفع شأنهم وأعلى درجاتهم؛ بناءً على علمه سبحانه وتعالى.

إذن الثمرة من الخلق تحقّقت في وجود أهل البيت عليهم السلام، ونحن غايتنا لا تتحقّق إلّا بالاقتداء بأهل البيت عليهم السلام إذن العلّة الغائية من خلقنا أن نعبد الله عزوجل وفق حدود وهدي هذا النّموذج الذي لولاه لم تتحقّق لنا عبادة لله فلا تكون هناك غاية متحقّقة.

إذن الغاية التي خلقنا من أجلها تتحقّق بأهل البيت عليهم السلام وهي العبادة لله عزوجل وفق النموذج الأتم الذي تجسّد فيهم عليهم السلام.

ويمكننا الجمع بين الآية الكريمة «وما خَلقتُ الجنّ والإنس إلا ليعبدون» وبين بعض مروياتنا التي تجعل العلّة الغائية أهل البيت عليهم السلام أنَّ الآية الكريمة تدلّ على أنَّ الغاية من الخلق هو عبادة الله تعالى، وعبادته تعالى هو معرفته، ومعرفته لا تكون إلّا عن طريق حججه وأوليائه، وهم أهل البيت عليهم السلام، فبواسطتهم يعرف العباد سبل تكليفهم، وكيفية عبادتهم لله تعالى، إذ هذه العبارة تكون توقيفية أي موقوفة على اعتبار الشارع وأوامره،

وهذه الأوامر والتوفيقات لا تعرف إلّا بهم ﷺ، فهم علّة غائية بالتبع للعلّة الغائية الأولى وهي عبادة الله تعالى، أي أنَّ علّتهم الغائية متفرعة من علّة الإيجاد وهي عبادة الله تعالى .

فهنا مقدمتان كبرى وصغرى فالكبرى: هي انّ علّة الايجاد والخلق عبادة الله تعالى والعبادة له لا تكون إلا بالمعرفة .

والصغرى: هي أنَّ المعرفة لا تكون إلا عن طريقهم ﷺ.

والنتيجة: هي أنَّهم ﷺعلّة غائية للخلق بلحاظ تعريف العباد تكليف عبادتهم لله تعالى .

ولعل الحديث القدسي يشير إلى هذا الجمع: يا أحمد لولاك ما خلقت الأفلاك ولولا علي ما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما .

فالتدبّر في الحديث يضيق لك وجوه الجمع المحتملة المشار إليها .[1]

الرأي الرابع: هناك روايات عديدة وردت من طرق الشيعة والمذاهب الأخرى تدلّ على أفضليّة النبي محمّد ﷺ وآله الطاهرين على جميع المخلوقات بما فيهم الملائكة والأنبياء والرسل، فلا محالة يكون خلق السماوات والأرض لأجل الإنسان الكامل الذي هو أفضل من غيره، بل بعض الروايات تصرّح بأنَّهم الغاية الخلقة.

روي بسنده عن أبي هريرة قال: " لمولاتنا الزهراء ﷺ: إنَّ الله عزّوجلّ اطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك " وقال ﷺ: "أما علمت أنّ الله عزّوجلّ اطلع إلى أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبيّاً ثمّ اطلع الثانية فاختار بعلك فأُوحي إليّ فانكحته واتّخذته وصيّاً"[2].

وأمّا الروايات من طرق الشيعة فهي كثيرة متواترة لا تعدّ ولا تحصى نذكر بعضها تيمنًا.

وفي العلل والعيون والاكمال عن الرضا ﷺ عن آبائه عن أميرالمؤمنين قال: « قال رسول الله ﷺ: "ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي ـ إلى أن قال ـ يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض ... " [3] وعن علي ﷺ عن النبي ﷺ " ولولانا لم يخلق الله الجنّة والنار ولا الأنبياء ولا الملائكة"[4] .

إنَّ حديث الكساء يُبيّن أنّ لذكر أهل البيت ﷺ بركات خاصة وعجيبة فقد قال الرسول الأعظم محمد ﷺ: "وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالحَقِّ نَبيّا وَاصطَفانِي بِالرِّسالَةِ نَجِيّا ماذُكِرَ خَبَرُنا هذا فِي مَحفَلٍ مِن مَحافِلِ أَهلِ الاَرضِ وَفِيهِ جَمعٌ

(١) ينظر عقائدنا بين سائل ومجيب/ السيد محمد علي الحلو رحمة الله تعالى عليه..

(٢) مستدرك الصحيحين ج ٣ / ١٢ ؛ كنز العمّال ٦ / ٢٥٣ .

(٣) بحار الانوار/ ٣٦ / ٣٣٧ .

(٤) المصدر نفسه/ ٣٦ / ٣٣٧ .

مِن شِيعَتِنا وَمُحِبِّينا، إلاّ وَنَزَلَت عَلَيهِمُ الرَّحمَةُ وَحَفَّت بِهِمُ المَلائِكَةُ وَاستَغفَرَت لَهُم إلى أَن يَتَفَرَّقُوا ! فَقالَ عَلِيٌّ عَلَيهِ السَّلامُ: إذا وَالله فُزنا وَفازَ شِيعَتُنا وَرَبِّ الكَعبَةِ، فَقالَ أَبِي رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ: يا عَلِيُّ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالحَقِّ نَبِيا وَاصطَفانِي بِالرِّسالَةِ نَجِيّا ماذُكِرَ خَبَرُنا هذا فِي مَحفَلٍ مِن مَحافِلِ أَهلِ الاَرضِ وَفِيهِ جَمعٌ مِن شِيعَتِنا وَمُحِبِّينا، وَفِيهِم مَهمُومٌ إلاّ وَفَرَّجَ الله هَمَّهُ وَلا مَغمُومٌ إلاّ وَكَشَفَ الله غَمَّهُ وَلا طالِبُ حاجَةٍ إلاّ وَقَضى الله حاجَتَهُ ! فَقالَ عَلِيٌّ عَلَيهِ السَّلامُ: إذن وَالله فُزنا وَسُعِدنا وَكَذلِكَ شِيعَتُنا فازُوا وَسُعِدُوا فِي الدُّنيا وَالآخِرةِ وَرَبِّ الكَعبَةِ"[1].

لقد روى جميع المسلمين أنَّ ذكر علي عبادة، ولا شكّ أنّ ذكره صلوات الله عليه هو ذكر أهل البيت جميعا بذكر علي يتحقق ذكر جميع أهل البيت ﷺ لأن آل محمد ﷺ هم نور واحد وأهل البيت هم نور واحدﷺ، بل إنَّ ذكرهم هو ذكر لله لأنّنا إذا ذكرناهم ذكرنا الله، وإذا ذكرناهم ارتبطنا بالله سبحانه وتعالى؛ لذلك إذا ذُكروا تتنزل الملائكة على من ذكرهم، وفي المجلس الذي ذُكروا فيه وتتهافت الملائكة على ان يفدوا على هذا المجلس ويستغفرون لمن كانو فيه لان في ذكرهم ﷺ تذكير بالله وفي ذكرهم تجديد للدين، وإحياء للدين؛ ولذلك ينال من جلس في مجلس إحياء ذكرهم الثواب العظيم .

عن شاذان بن جبرئيل القمي في كتاب الفضائل: باسناده يرفعه عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، أنَّها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما اجتمع قوم يذكرون فضل علي بن أبي طالب ﷺ، إلّا هبطت عليهم ملائكة السماء حتى تحفّ بهم، فإذا تفرّقوا عرجت الملائكة إلى السماء، فيقول لهم الملائكة: إنّا نشم من رائحتكم ما لا نشمه من الملائكة، فلم نرَ رائحة أطيب منها، فيقولون: كُنّا عند قوم يذكرون محمدًا وأهل بيته ﷺ، فعلق علينا من ريحهم فتعطرنا، فيقولون: اهبطوا بنا إليهم، فيقولون: تفرّقوا ومضى كلّ واحد منهم إلى منزله، فيقولون: اهبطوا بنا حتى نتعطّر بذلك المكان"[2].

ولذلك نعرف سبب جعل مجالس الشيعة سيّدة المجالس، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: « خرجت أنا وأبي ذات يوم، فإذا هو بأناس من أصحابنا بين المنبر والقبر، فسلّم عليهم ثم قال: أما والله إنّي لأحب ريحكم وأرواحكم، فأعينوني على ذلك بورع واجتهاد، من ائتم بعبد فليعمل بعمله إلى أن قال ألا وإنّ لكلّ شيء سيّدًا، وسيّد المجالس مجالس الشيعة"[3].

---

(١) إحقاق الحق: ٢ / ٥٥٥، والمنتخب للطريحي: ٢٥٩ ط، لبنان و ١٨٦ ط. الثالثة.

(٢) مستدرك الوسائل - الميرزا النوري / ج ١٢ / ص ٣٩٣.

(٣) الكافي/ ج ٨/ ص ٢١٣.

هي سيدة المجالس؛ لأنَّ الشيعة الحقيقيين في مجالسهم لا بُدّ أن يذكروا أهل البيت ﷺ فيها ذكر محمد وآله ﷺ ولعلّ من أجلى مصاديق تلك المجالس؛ مجالس الإمام الحسين ﷺ هذه المجالس المملوءة بذكر الله تعالى والمملوءة بذكرهم، والتي فيها إحياء للدين .

شهر
جمادی الآخرة

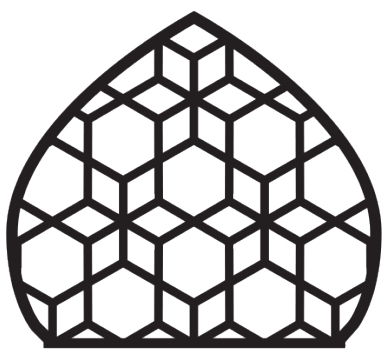

الدور الإعلامي لأم البنين عليها السلام في واقعة الطف

الدور الإعلامي لأم البنين عليها السلام في واقعة الطف

أ.م. د- حيدر زوين
الباحث:عبد الكريم الربيعي

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين وسلّم تسليمًا كثيرًا.

لقد كان للمرأة وبخاصة أم البنين عليها السلام دورٌ رائعٌ بفضل إيمانها بالعقيدة الإلهية التي صاغت منها وجوداً طاهراً وفعالاً، من ضمن أنموذج المرأة التي اشتركت في واقعة الطّف، وما بعدها. كانت قد بلغت القمّة في ذلك الدّور، وتألّقت في آفاق الإنسانية لتخلد بخلود الموقف، وأصبحت بعد هذه الملحمة البطولية المثل النسوي الذي جسّد المبادئ الإسلامية، ومن مسؤوليات المرأة بحسب الرؤيا الإسلامية فضلاً عن دورها السّياسي الإعلامي، كونها أمًّا مربّية تتبنى دور الرّعاية والتّربية والأبناء[1].

والمعروف بأنَّ دور الرجل يتوزّع على مسؤوليات عديدة مختلفة في الحياة، ودور المرأة لا ينقص شيئاً عن دائرة الرجل في تعدّد المسؤوليات الشّرعية والإنسانية والاقتصادية في الحدود التي يجيزها الشرع والعقل والعلم، ولكن هناك دور تُفضّل فيه المرأة على الرجل، وهو الأخطر لحياة المجتمع الإسلامي، ألا وهو تنشئة الجيل على وفق الرؤى الإسلامية وإعداده إعداداً مؤهّلاً؛ كي يديم الحياة، ويسهم في تطويره نحو الأحسن، فضلاً عن دورها الإعلامي، لذلك أكَّد الرسول صلى الله عليه وآله حسن التبعل، فقال: ((اختاروا لنطفكم فإنّ العرق دساس))[2]، فكل الأنبياء لهم أمهات طاهرات حملن رجالاً تأدبوا بآدابهنّ، فظهرت تلك التربية في شخصيتهم، وقد عدّ الإسلام المرأة نواة المجتمع ولا يكون المجتمع صالحاً إلا بالمرأة الصالحة، وهي حجر الأساس، فإذا صلحت المرأة صلح المجتمع[3].

لقد اقترنت كلمة الجهاد في الأذهان بمهمّة حمل السلاح في المعركة لمنازلة الأعداء، في حين أنَّ الجهاد مفهوم واسع لا يتحدّد بالقتال فقط، فهو مفهوم عام يشمل كلّ الأعمال التعبوية التمهيديّة التي تسبق وقوع المعركة أي معركة بصفحاتها المتعددة بالإصلاح العسكري تتطلب جهوداً متنوّعة لا تتشابه بالاختصاص ولكنها تنتظم

بمحصلتها النهائية كي تشكل فعلاً تراكمياً باتجاه المواجهة الشاملة[٤].

وهذه الجهود والفعاليات المتنوعة بحسب مراحل المعركة، فمنها ما يتطلّب إنجازه قبل وقوع المعركة، ومنها ما يتطلّب إنجازه في أثنائها، أمَّا القسم الثالث فهو يختصّ بالمرحلة التي تلي المعركة، والإسلام لم يفصل بين حمل السلاح مثلاً وإعداد الطعام، أو إسعاف الجريح في أجواء الحرب، بل تندرج كثير من الأفعال في إطار الجهاد ومنها على سبيل المثال الفعل الذي يؤدّي إلى إضعاف معنويات العدو أو ما يصطلح عليه حاضراً بالحرب النفسية، ويبقى الفرق بين مختلف الأعمال في الميزان الإسلامي على ضوء الإسهام الفعّال الذي يفرزه التّوجّه الإنساني الخالص الذي يقصد به التقرب إلى الله تعالى، ويترتّب على الأداء المقرون بالنّيّة الخالصة والأجر[٥].

وهناك نساء لهنّ دور في صياغة مواقف وقفها رجال وأولاد وأبناء غيّروا وجه التاريخ، وكانت نساء الطّف اللاتي شاركن الحسين بثورته وما بعدها ، من أرفع النساء وأشرفهنّ تاريخاً، والنساء اللاتي اشتركنَ في كربلاء قد بلغنَ الذرى في ذلك الدور، وتألّقن في آفاق الإنسانية لتخلّد بخلود الموقف، أصبحت نساء الطّف بعد هذه الملحمة المثل النسوي الذي جسّد المبادئ الإسلامية. فانتصرت المرأة في كربلاء أكثر من مرة.. مرّة للحق باعتبار أنّ موقف الإمام الحسين ﷺ كان موقفاً عادلاً، ومرّة للإنسانية؛ لأنّ رسالة الحسين ﷺ كانت من أجل الإنسانية، ومع أنّ المرأة الثورية مارست دوراً رائداً في واقعة الطف وملحمة الخلود كربلاء وما بعدها ، إلّا أنّ التاريخ لم يظهر على صفحاته ذلك الدور وبحجم واقعه الحقيقي على الأرض، ولم تلقَ من قبل الباحثين والكتّاب الاهتمام الكافي، وكأنّها عنصر هامشي في هذا الموقف الخطير، وبخاصة أم البنين موضوع بحثنا هذا، ولقد قمنَ تلك السّيّدات بدور مشرف بإكمال نهضة أبي الشهداء ﷺ، فأيقظن المجتمع بعد سباته، وفتحن باب الثورة عليه، ولولاهنّ لم يتمكّن أحد من أن يتفوّه بكلمة واحدة أمام ذلك الطغيان الفاجر، وقد أدرك كلّ ذلك من تأمّل في نهضة الإمام الحسين ﷺ، ودرس أبعادها[٦].

إنّ الدور الإعلاميّ الذي أدّته أم البنين ﷺ في واقعة الطف الخالدة يتمثل بمواقفها الخالدة وأهم هذه المواقف الاعلامية :

١- موقف المساندة والدّعم فقد سطّرت ﷺ مع من واكبنَ نهضتها أروع مواقف البطولة والثبات، التي يعجز كثير من الرجال عن الإتيان بمثل موقفها الشجاع، فقد واكبت وأكملت المسيرة مع الإمام الحسين ﷺ منذ ولادته، وحتى استشهاده في طفّ كربلاء بنجاح لم يكن له نظير إذ أبهر العقول وزلزل عروش الطغاة، فسلام على تلك المجاهدة بالصبر لا بالبيض والسمر، يوم ولدت، ويوم جاهدت في سبيل الله، ويوم رحلت الى دار الخلود، ويوم تبعث حيّة يسعى نورها بين يديها وبيمينها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[٧].

وأهم الأسباب التي ارتفعت بنفس أم البنين ﷺ إلى ذرى المجد هي أنَّها تعلّمت وتربّت في مدرسة إمام الواعظين، وسيد العارفين، الإمام علي ﷺ، ومدينة سيّد المرسلين، حتى أصبحت من النساء العالمات، وقد وصفها الدّاودي في كتاب العمدة بالعالمة كلقب من أحسن ألقابها، ولم يلقّب بهذا اللقب من النساء في ذلك العصر بشكلٍ بارزٍ سوى عقيلة بني هاشم(٨).

-٢- موقف التربية الرسالية: وقامت السّيّدة أُمّ البنين برعاية سبطي رسول الله ﷺ وريحانتيه وسيّدي شباب أهل الجنّة الحسن والحُسين (عليهما السّلام)، وقد وجدا عندها من العطف والحنان ما عوّضهما من الخسارة الأليمة التّي مُنيا بها بفقد أمّهما سيّدة نساء العالمين فقد توفّيت، وعمرها كعمر الزّهور فقد ترك فقدها اللوعة والحزن في نفسيهما.

لقد كانت السّيدة أُمّ البنين تكنّ في نفسها من المودّه والحبّ للحسن والحُسين ﷺ ما لا تكنّه لأولادها الذين كانوا ملء العين في كمالهم وآدابهم، لقد قدّمت أُمّ البنين أبناء رسول الله ﷺ، على أبنائها في الخدمة والرّعاية، ولم يعرف التّاريخ أنّ ضرّة تخلص لأبناء ضرّتها وتقدّمهم على أبنائها سوى هذه السّيّدة الزّكيّة، فقد كانت ترى ذلك واجباً دينيًّا؛ لأنَّ الله تعالى أمر بمودّتهما في كتابه الكريم، وهما وديعة الرسول، وريحانتاه، وقد عرفت أُمّ البنين ذلك، فوفت بحقّهما، وقامت بخدمتهما خير قيام، فأمّ البنين ﷺ هذه الشّخصية التّاريخية الباهرة الفذّة التّي أفنت حياتها كلّها في رعاية الحسن والحُسين سيدي شباب أهل الجنة ﷺ، وكذلك أبنائها ليكونوا اليد الضاربة للحسين في ثورته؛ لتصنع منهم ثوارًا يُشار لهم بالبنان.

إنّ دورها في التربية لا يقل عن دور الرجل المحارب مع الإمام الحسين ﷺ، لذا يعدّ دور التربية بمثابة إعلام حشدي لواقعة الطّف(٩)، ولن ينسَ التاريخ موقفها، والتي كانت أُمّ البنين من أوّل النّاس الّذين خرجوا لاستقبال بشر بن حذلم، وهو ينادي::-

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحُسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرج والرّأس منه على القناة يدار

وكانت ترثي بنيها الذين استشهدوا في الطّف وتألّب الناس ضد بني أمية إعلاميًّا وحشديًّا:

لا تدعوني ويك أم البنين تُذكّريني بليوث العرين

أربعة مثل نسور الربى قد واصلوا الموت بقطع الوتين

تنازع الخرصان أشلاءهم فكلهم أمسى صريعًا طعين

يا ليت شعري كما اخبروا بأنَّ عباسًا قطيع اليمين

لقد كان موقفها هذا بحق موقفا اعلاميا تربويا عظيما[١٠]..

٣- التضحية والايثار فسجلت أم البنين في معركة الطف أدواراً اعلامية ودرساً متميزاً في التضحية والايثار والدفاع عن مبادى الثورة الحسينية بعد استشهاد أبي الأحرار الحسين ﷺ، ولما وقع بصرها على النّاعي الذي وصل المدينة من كربلاء، لم تسأله عن العباس ولا عن أيّ واحد من أبنائها الّذين قتلوا مع أخيهم الحُسين، وإنَّما سألته عن الحُسين وقالت له: أخبرني عن الحُسين؟ وعلت الدّهشة وجه النّاعي بشر بن حذلم عندما عرف، أنَّ هذه المرأة هي فاطمة بنت حزام العامرية، وهي أُمّ البنين بالذّات كيف لا تسأله عن أولادها ؟ وظنّها لوقع الصّدمة ذهلت عن أبنائها، فراح يعدّدهم واحداً بعد الآخر، وفي كلّ واحد منهم كان يعزّيها ويقول لها: عظم الله لك الأجر بولدك جعفر، فتقول: أخبرني عن ولدي الحُسين ﷺ، ولم يلتفت بشر إلى هذا الموقف وراح يخبرها ببقية أولادها، إلى أن وصل إلى العباس، فما كاد يخبرها بقوله: يا أُمّ البنين عظم الله لك الأجر بولدك أبي الفضل العبّاس، حتى نظر إليها وقد اعتراها اضطراب شديد في تلك اللحظة التّي سمعت فيها نبأ مصرع أبي الفضل العباس، إذ اهتز بدنها ولكنّها تحاملت واستمرّت في إلحاحها عليه وردّدت: بشر أخبرني عن ولدي الحُسين؟ يقول بشر: وحينما أخبرتها بمقتل الحُسين ومصرعه صرخت ونادت: واحسيناه، وا حبيب قلباه... يا ولدي يا حسين.. نور عيني يا حسين.. وقد شاركها الجميع بالبكاء والنّحيب والعويل على الحُسين، ولم تذكر أبناءها إلا بعد أن ذكرت الحُسين وبكت عليه .وهذا موقف آخر وما أكثر مواقفها الإعلامية المشرفة، والتي لا يمكن لبشر على وجه الأرض أن يفقه، بأنّه إيثار وتضحية قلَّ نظيرهما[١١]..

لقد كان موقف أم البنين ﷺ هذا من أنصع الصفحات وأكثرها إشراقاً في التاريخ الرسالي، وقد جاوزت أم البنين ﷺ في ذلك طبيعتها المعتادة في الحرص على سلامة أبنائها وأبناء الزينبيات بعد ملحمة الطّف الخالدة، فكانت تسهم وتشارك دفع الغوائل، أولاد الزّينبيات بكلّ ما أوتيت من صبر وتجلّد، لقد جسّدت أمّ البنين ﷺ الحالة الأسمى في التضحية بتربية أبناء البيت الحسيني، وكذلك مواساة الأبناء والزوجات والأزواج، وحثّهم على الصمود والبسالة، والإيمان بالقدر المقدّر، فكان هذا الإيثار الذي لا يضاهيه إيثار[١٢].

إنّ هذا الموقف له صدى أكثر من القلم والسيف، لقد كان إيثارها إيثاراً إسلاميًّا من زوجة جديدة ومحبّة وراعية تغدقها على أولاد ضرتها، ولقد بقيت خصلة الإيثار هذه ملازمة لفاطمة أم البنين ﷺ طول عمرها، وحتى بعد استشهاد الإمام علي ﷺ، ومن لا يستذكر بفخر وتأثر موقفها الجميل الجليل يوم رجوع ركب الحسين ﷺ إلى المدينة المنورة بعد واقعة الطف الأليمة[١٣].

٤- دور المرأة الرساليّة الثوريّة: إذ مارست أم البنين ﷺ دوراً إعلامياً رائداً في ملحمة الخلود كربلاء، إلَّا أنَّ

التاريخ لم يذكر على صفحاته ذلك الدور وحجم واقعه الحقيقي؛ وتقصّد الباحثون إلى إهمال الدور النسائي، وكأنّها عنصر هامشي في هذه المعركة الكبرى.. وبشكلٍ واضح من خلال تربيتنا التي تعلّمناها، إنَّ الأدوار للرجال فقط، وهناك مواقف نسائية تفوّقت بها النساء على الرجال.

لقد بقيت أمّ البنين ﷺ تلهج بذكر الإمام الحسين﵇ وتنوح عليه، وتفضح ممارسات بني أمية، وكانت صوتاً إعلاميًّا كبيرًا أرعب عروش بني أميّة وأخافهم، فدبّروا مكيدة سمها في رواية للتخلص من هذا الصّوت الإعلامي الثّوري الهادر الذي أرعبهم وقض مضاجعهم(١٤).

٥- موقف الرّيادة في القيادة: لقد كانت أمّ الأنوار الأربعة السّيّدة الجليلة أمّ البنين ﷺ هذه المرأة المؤمنة الصابرة المحتسبة، كانت تدرك حقيقة الدّور الرّيادي الذي ينتظرها، والذي ينبغي أن تقوم به، في رعايتها لأبناء الزهراء ﷺ وبنات و أبناء الزينبيات وتربيتهم والذّود عنهم، وكانت تدرك أنَّ هناك دورًا ينتظر ابنها أبا الفضل العباس ﵇، قبل واقعة الطف، لذا اهتمّت به وصقلت شخصيته، وجعلت منه جنديًّا بطلاً يحسب له الأعداء ألف حساب وأعدته ليوم عاشوراء؛ لذا نجدها كيف قدّمت أبناءها الواحد تلو الآخر في واقعة الطّف الأليمة(١٥).

بعد واقعة كربلاء الأليمة وبعد أن قتل الإمام الحسين ﵇ وأهل بيته والخلص من أصحابه، ولما سمعت باستشهاد الحسين ﵇، مال كتفها وقد كانت تحمل طفلاً لأبي الفضل العباس ﵇، ولما أجابها النّاعي بمقتل الإمام الحسين﵇ سقط الطّفل من على كتفها ووقعت على الأرض بعد أن انهدّت قواها باكية، وهذا يكشف عن حقيقة موقفها الرسالي وعظيم مصابها برزيّة الإمام وعن مدى إيمانها، ورسوخ اعتقادها، وولائها الوثيق، وحبّها الذي لا يوصف للحسين ﵇ وإخلاصها لثورته، ولطالما كانت تقول: ليت أولادي جميعاً قتلوا وعاد أبو عبد الله الحسين ﵇ سالماً، فهل يوجد عند أحد هذا الموقف الرسالي، كما أنّها ظلت وأولادها الأربعة وأولهم العباس ﵇ طيلة حياة الإمام الحسن المجتبى ملازمين له كظلّه، قائمين على خدمته ومواسين لأهل بيته بعد استشهاده مسموماً مظلوماً(١٦)..

٦- الإخلاص للمبادئ، هكذا تعاملت السيدة أم البنين﵇ بأمانة وإخلاص مع هذه النّماذج الطاهرة أبناء الزهراء وعلي وسبطي رسول الله ﷺ، من الولادة إلى الشهادة من آل بيت النبي ﵇ جميعاً.

وينبغي أن تتعلّم نساؤنا من أم البنين ﷺ الدروس والعبر، فقد كانت هذه المرأة الصوت النّاطق الإعلامي، وكانت تردّد دومًا، يا حسين يا حسين، لتشعل نار العداوة ضدّ بني أمية، فكانت هي والحوراء زينب قد أخذتا على نفسيهما إكمال رسالة الحسين ونشر مظلوميته(١٧).

لقد كان موقفها المبدئي من ثورة الإمام الحسين، موقفًا إعلاميًّا قلّ أن يأتي أحد بمثله، فالإخلاص بالمبادئ هو

سيف قاطع، وإذاعة كبيرة ناطقة بعرف اليوم..

ومن يطّلع على تاريخ هذه المرأة الجليلة، وحياتها عبر الحقب التاريخية، يكتشف بوضوح القيم النبيلة التي سمت بأبنائها وارتفعت بإنسانيتهم، فجعلتهم أعلاماً بارزة شامخة في مدارج العزّ ومراتب الكرامة، وحقّقت بذلك نجاحاً إعلاميًّا وسياسيًّا وتربويًّا منقطع النّظير. أولئك هنّ رسل المحبّة والخير يجسّدنَ العدل والمساواة، ويدعونَ إلى نشر العقيدة الإسلامية وترسيخ الإيمان الصادق، فلم يكنّ جذوةً مشتعلةً فحسب بل ورسالة كريمة لانتصار الحق على الباطل، في زمن شاعَ فيه الشّر وفشت فيه الرذيلة، وساد الطغيان والفساد[١٨].

فكانت هذه المرأة المبجلة قد أضاءت طريق الصلاح والإصلاح، لما لها من دور مهم في أحداث التاريخ العربي والإسلامي المشرق، وبرز أهمّيّة دورها في الحياة اليوميّة للأمّة، كونها كانت تتسابق لاقتطاف المنزلة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى، فقدّمت ما قدّمت في سبيل الحقّ والدّين[١٩].

لقد كان لسعة اطلاعها في الأمور، وإخلاصها الكريم، وماضيها المجيد مع أهل البيت ﷺ، أثر حاسم في تعلق الناس بها، وثقتهم وحبّهم الذي لا حدود له بشخصها، فاستطاعت بحكمتها وصبرها وبُعد نظرها التّغلّب على كلّ تلك الصّعاب، وهذا إن دلّ على شيء، فإنَّما يدلّ على حنكتها وجلدها ومعدنها الأصيل، من ضمن إطار الأخلاق العربية والتربية الإسلامية الأصيلة وتقاليدها في التّعامل مع الجمهور واحترامها لهم، وكانت هذه المرأة عظيمة المنزلة عند أمير المؤمنين ﷺ، وعند أهل البيت كافة، عظيمة المنزلة في العلم والحلم والمعارف والصلاح، عظيمة المنزلة عند الناس، ويظهر للمتتبّع لأخبار أم البنينﷺ أنَّها كانت مخلصةً لأهل البيت ﷺ، متمسكةً بولايتهم، عارفةً بشأنهم، مستبصرةً بأمرهم[٢٠] .

إنَّ تخطّي التاريخ الواضح للمرأة، وتهميش دورها في صياغة الحدث التاريخي، وإن كان له بعض المصاديق المبعثرة هنا وهناك، فإنَّ تغييب هذا الدّور شكّل ظاهرة غريبة في واقعة الطّف، وبالتعبير القائل: إنَّ هذا التّخطّي ناتج عن نظرة المجتمع الضّيّقة للمرأة بشكلٍ عام، فإنَّ هذا التفسير لا يصمد مطلقاً أمام المحاكمة، ولا يقدّم أيّ إجابة علمية للضياع الواضح الذي اختزل بموجبه التاريخ دور المرأة في ملحمة الطّف، بما تضمّنت هذه الملحمة من فصول الْتَحم فيها موقف المرأة بموقف الرجل بصورة لم يعهدها الوضع القائم آنذاك، ولربما صدمته إلى درجة قد أحسّ فيها أنَّ هذه الظاهرة الحضارية قد تُشكّل سابقة خطيرة على وضع السلطة [٢١].

ومن هنا تبدأ قصّة التاريخ مع العنصر النّسوي في واقعة الطّف، ومن هنا نعرف بأنَّ الإسلام يقدّر حقّها إعلاميًّا، ويعطي للمرأة حقّها واحترامها، وقد عدّها أمرًا مقدّسًا، وجعل حبّها من خلال حبّ الأنبياء لها، وقد قال الرسول الأكرمﷺ: ((حبب لي من دنياكم الطيب والنساء وقرّة عيني الصلاة))[٢٢]،

إنَّ الإسلام منع المرأة من القتال في حالة واحدة فقط وهي حالة الجهاد الابتدائي، والجهاد الابتدائي كما هو معروف دعوة الناس للدخول في الدين، فإن رفضوا فحينئذ يجب قتالهم، وبهذا نستنتج أنَّ الشارع المقدَّس قد أجاز للمرأة القتال في موقع ومنعها في موقع آخر في ذات الوقت الذي سمح لها أن تشترك في كافة الأعمال الجهادية ذات الطابع الإعلامي وغير القتالي، وختامًا إنَّ لكلّ واحدة ممن ناصرنَ(آل البيت) ووقفنَ معهم، دور يختلف عن الأخرى، ولكن يجمعهنَ الإيمان بأرقى مفاهيمه الإنسانية والتي جاء بها الإسلام ولخّصها شخص الإمام الحسين عليه السلام[٢٣].

الخاتمة:

إنّ الدَّور الإعلامي الذي أدّته أمّ البنين عليها السلام في واقعة الطف الخالدة يتمثّل بمواقفها الخالدة، وأهم هذه المواقف الإعلامية :

١- موقف المساندة والدّعم: فقد سطّرت عليها السلام مع من واكبنَ نهضتها أروع مواقف البطولة والثبات، التي يعجز كثير من الرجال عن الاتيان بمثل موقفها الشجاع، فقد واكبت وأكملت المسيرة مع الإمام الحسين عليه السلام منذ ولادته، وحتى استشهاده في طف كربلاء بنجاح لم يكن له نظير .

-٢- موقف التربية الرسالية :وقامت السّيّدة أُمّ البنين برعاية سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانتيه وسيّدي شباب أهل الجنّة الحسن والحُسين عليهما السلام، وقد وجدا عندها من العطف والحنان ما عوّضهما من الخسارة الأليمة التّي مُنيا بها بفقد أمّهما سيّدة نساء العالمين فقد توفّيت، وعمرها كعمر الزّهور، فقد ترك فقدها اللوعة والحزن في نفسيهما.

٣- موقفها الإعلامي لدى استقبالها الناعي بشر بن حذلم وهو ينعى الحسين وآل بيته وأصحابه.

٤- موقفها التحشيدي والإعلامي ضدّ بني أمية، وهي ترثي أبناءها الأربعة الذين استشهدوا في واقعة الطف.

٣- التضحية والإيثار: فسجلت أم البنين في معركة الطّف أدواراً إعلامية، ودرسًا متميّزًا في التضحية والإيثار والدفاع عن مبادئ الثورة الحسينية بعد استشهاد أبي الأحرار الحسين عليه السلام.

٤- دور المرأة الرساليّة الثوريّة: إذ مارست أم البنين عليها السلام دوراً إعلاميًّا رائداً في ملحمة الخلود كربلاء، إلا أنَّ التاريخ لم يذكر على صفحاته ذلك الدور وحجم واقعه الحقيقي؛ وتقصّد الباحثون إلى إهمال الدور النسائي، وكأنّها عنصر هامشي في هذه المعركة الكبرى.. وبشكل واضح من خلال تربيتنا التي تعلّمناها إنّ الأدوار للرجال فقط، وهناك مواقف نسائية تفوّقت بها النساء على الرجال.

٥- لقد بقيت أم البنين عليها السلام تلهج بذكر الإمام الحسين عليه السلام وتنوح عليه، وتفضح ممارسات بني أمية، وكانت

صوتاً إعلاميًّا كبيرًا أرعب عروش بني أميّة وأخافهم ، فدبّروا مكيدة سمّها في رواية للتخلص من هذا الصوت الإعلامي الثوري الهادر الذي أرعبهم وقضّ مضاجعهم.

٥- موقف الرّيادة القيادية: لقد كانت أم الأنوار الأربعة السيدة الجليلة أم البنين عليها السلام هذه المرأة المؤمنة الصابرة المحتسبة، كانت تدرك حقيقة الدّور الريادي الذي ينتظرها، والذي ينبغي أن تقوم به، في رعايتها لأبناء الزهراء وبنات و أبناء الزينبيات، وتربيتهم والذّود عنهم، وكانت تدرك أنَّ هناك دورًا ينتظر ابنها أبا الفضل العباس عليه السلام، قبل واقعة الطّف، لذا اهتمّت به وصقلت شخصيّته، وجعلت منه جنديًّا بطلاً يحسب له الأعداء ألف حساب، وأعدّته ليوم عاشوراء؛ لذا نجدها كيف قدّمت أبناءها الواحد تلو الآخر في واقعة الطّف الأليمة.

٦- الإخلاص للمبادئ، والاتسام بأمانة وإخلاص قلّ نظيرهما مع هذه النماذج الطّاهرة أبناء الزهراء وعلي وسبطي رسول الله صلى الله عليه وآله، من الولادة إلى الشهادة من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله جميعاً.

هوامش البحث

Endnotes

١ – ظ: المرأة في الإسلام ...مكانة المرأة، العتبة العلوية المقدسة،٢٤.

٢–معجم ابن الاعرابي :٢/ ٥٠١ .

٣–ظ: منهج أسرة، د. وجيه زين العابدين، ١٩ .

٤–ظ: / حياة الإمام السجاد ﷺ ، باقر شريف القريشي ، ٢/ ٢٩٧.

٥– ظ: قمر بني هاشم: عبد الرزاق المقرم، ٨٧ .

٦–ظ: المصدر نفسه: ٨٨ .

٧–ثمرات الأعواد: السيد علي بن الحسين الهاشمي النجفي ،١/ ١٣٤ .

٨– ظ: المصدر نفسه ، ١٣٥ .

٩– ظ: السيدة أم البنين ﷺ،٤٩.

١٠–ظ: معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين ، محمد مهدي المازندراني الحائري،٣٩٧.

١١–المصدر نفسه : ٣٩٨ .

١٢–ظ: المرأة في حياة الإمام الحسين بن علي ﷺ ، تأليف: الشيخ علي الفتلاوي ،٦١–٦٢ .

١٣–المصدر نفسه :٦٢ .

١٤–ظ: السيدة أم البنين ﷺ، ٤٩ .

١٥–نساء عصر الإمام الحسن ﷺ : د. بيان عبيد العريض، ١٥٨ .

١٦–ظ: المصدر نفسه،١٥٩.

١٧–إبصار العين في أنصار الحسين ﷺ، الشيخ محمد بن طاهر السماوي، ٤٩ .

١٨–ظ: المصدر نفسه : ٥١ .

١٩–ظ: المصدر نفسه : ٥٢.

٢٠–ظ: المصدر نفسه : ٥٣ .

٢١–ظ:مقتل العباس ﷺ، السيد عبد الرزاق الموسوي المقرّم،(٧٢ – ٧٣) .

٢٢–ظ: نظام حقوق المرأة في الإسلام، ٥ .

٢٣–ظ: دور المرأة في الثورة الحسينية (زينب ﷺ أنموذجاً)، د. أمل سهيل الحسيني ، ٣.

مصادر البحث

القرآن الكريم .

١. إبصار العين في أنصار الحسين ﷺ، الشيخ محمد بن طاهر السماوي، تحقيق الشيخ محمد جعفر الكرباسي،،الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ.

٢. الاتصال بالجماهير والرأي العام، عبد الحليم محي الدين ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ١٩٩٣م.

٣. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد : الشيخ المفيد (محمد بن محمد) ، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، قم المقدسة ط١، ١٤١٣ هـ.

٤. اشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية: تأليف، محي الدين عبد الحليم ، سلسلة : كتب الأمة ، العدد:٦٤، منشورات: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية- قطر ، ط١ ، ١٩٩٨ م.

٥. الإعلام الإسلامي بين التأكيد والنفي ، عمر سليمان الملكاوي، منشورات : مطبعة النهضة ، القاهرة ،ط١- ١٩٩٩م .

٦. الإعلام الإسلامي رسالة وهدف، سمير جميل راضي، منشورات : دار دعوة الحق ،ط١، الرياض ،٢٠١٢م.

٧. الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المختلفة ، عبد الله قاسم الواشلي ، منشورات: دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع ، منشورات: دار البشير ،طنطا ودار عمار-صنعاء،ط١-١٤١٤ه .

٨. الإعلام له تاريخه ومذاهبه، عبد اللطيف حمزة، منشورات: دار الفكر العربي،ط١ -القاهرة،١٩٦٥ م.

٩. الإعلام والاتصال بالجماهير: إبراهيم إمام، مكتبة الأنجلو مصرية، ط١،القاهرة، ١٩٧٥ م.

١٠.الإعلام والدعاية نظريات وتجارب، محمد عبد القادر حاتم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.

١١. أعلام النساء، عمر رضا كحاله ،منشورات : مؤسسة الرسالة ،ط١٠،بيروت – ١٩٩١م .

١٢. أعيان الشيعة، السيد محسن الامين (ت١٣١٧هـ) ،تحقيق السيد حسن الأمين، منشورات: دار المعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨٣.

١٣. أم البنين سيدة نساء العرب، السيد مهدي السويج البصري ،(ت ١٤٣٣ هـ)، المطبعة الحيدرية النجف، ط١ ،١٣٩٥ هـ.

١٤. تنقيح المقال في علم الرجال: محي الدين بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد حسن، منشورات: المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف ،ط١ ، ١٣٥٢ هـ ، ٩٨.

١٥. ثمرات الأعواد: السيد علي بن الحسين الهاشمي النجفي .انتشارات الشريف الرضي، الطبعة الأولى

منقحة وممتازة، قم المقدسة – ١٣٧٠هـ.
١٦. حياة الامام السجاد عليه السلام، باقر شريف القريشي، ط١، انتشارات مدرسة الايرواني، قم المقدسة، ١٩٩٢م، ٢/ ٢٩٧.
١٧. دور المرأة في الثورة الحسينية (زينب أنموذجاً)، د. أمل سهيل الحسيني ،بحث مقدم الى جامعة الكوفة كلية الفقه، ٢٠١٧ م.
١٨. الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة، عبد القادر حسنين، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٢م ،(٨٢-٨٤) .
١٩. زينب بنت علي فيض النبوة وعطاء الإمامة ط١، ابراهيم حسن البغدادي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان،٢٠١٠ م .
٢٠. السلسلة العلوية: سهل بن عبد الله البخاري، منشورات ومطبعة الشريف الرضي ، ط١، قم -١٤١٣هـ.
٢١. السيدة أم البنين سيرتها و كرامتها: الشيخ أشرف الزهيري الجعفري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ٢٠٠٦م.
٢٢. عيون الأثر في فنون المغازي والسير، الحافظ أبي فتح محمد بن محمد سيد الناس اليعمري (ت٧٣٤ هـ)، تحقيق: محمد الخطراوي ومحي الدين، مكتبة القدسي القاهرة مصر١٣٥٦ هـ.
٢٣. قمر بني هاشم ، عبد الرزاق الموسوي المقرم ، منشورات: المطبعة الحيدرية – النجف ، ط١٣٦٩،١هـ.
المرأة في الاسلام ...مكانة المرأة، العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الدينية ،شعبة التبليغ -٢٠١٤م.
٢٥. المرأة في حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، تأليف: الشيخ علي الفتلاوي، منشورات: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط١-٢٠٠٨م .
٢٦. معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين، محمد مهدي المازندراني الحائري، مطبعة صبح الصادق، قم المقدسة ايران، ١٤٢٥ هـ.
٢٧. مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني ،تحقيق: أحمد صقر، منشورات :دار المعرفة – بيروت ،ط٢ -١٩٨٠م.
٢٨. مقتل الحسين عليه السلام: السيد عبد الرزاق الموسوي المقرّم تحقيق سماحة الشيخ محمد الحسون ، مركز الأبحاث العقائديّة ،النجف الاشرف، (د.ت).
٢٩. مقتل العباس عليه السلام: السيد عبد الرزاق الموسوي المقرّم تحقيق سماحة الشيخ محمد الحسون ، مركز الأبحاث

العقائديّة ،النجف الاشرف،(د.ت).

٣٠. معجم ابن الاعرابي: تأليف، أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن الاعرابي، تحقيق: عبد المحسن بن ابراهيم بن أحمد الحسيني، منشورات: دار ابن الجوزي، ط١-القاهرة-(١٤١٨هـ-١٩٧٩م) .

٣١. منهج أسرة، د. وجيه زين العابدين، معمل ومطبعة الجاحظ -بغداد ١٩٨٧ م.

٣٢. نساء حول الحسين عليه السلام: سعيد رشيد زميزم، منشورات: دار الجوادين ،ط١ ، بيروت ،لبنان-٢٠١١م ،٢١.

نساء حول أهل البيت عليهم السلام، الشيخ فوزي آل سيف، مؤسسة الرسول الأعظم، النجف الأشرف، الطبعة الثانية ٢٠٠٥م.

٣٣. نساء عصر الامام الحسن عليه السلام : د. بيان عبيد العريض، العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية شعبة الدراسات والتراث، كربلاء المقدسة ٢٠١٥ م.

٣٤. نظام حقوق المرأة في الإسلام. الشهيد مرتضى المطهري، إصدار معاونيّة العلاقات الدولية منظمة الإعلام الإسلامي، قم المقدسة ،١٣٩٤م .

القصيدة

ملائكة
من عطش الجهات

حسين كاطع جار الله العوداي

لخطاكَ تنتسبُ الحقولُ الممطرهْ وبمائكَ الإنسانُ يزرعُ بيدرهْ

زدْني طفولةَ غيمةٍ وروايةً أمويّةَ الغرقى تنامُ مُبكّرهْ

زدني تشظّيَ علقميٍّ موجعٍ ينسابُ في لغتي بهيئةِ معذرهْ

دعني أُغمّسُ في هواكَ خرافتي كي أستفيقَ حقيقةً مُتأخّرهْ

منذُ اختراقِ السهمِ ظلمةَ رحلتي وأنا أرى العباسَ عيناً مُبصره

قلْ كيف أكتبُكَ اشتعالاً هائلاً وأنا المسافرُ بانطفاءِ المحبره

في ثقبِ جودِكَ لا تزالُ تلوكني شفةٌ بأسئلةِ الخيامِ مُفطّره

ضعني على غدِكَ الرسولِ حقيبةً لألمَّ نظرةَ ثائرين مُطهّره

كلُ السواقيَ خلف جودِكَ سُجّداً مذ صار كفُّكَ للعطاشى حنجره

وعبرتَ فخَّ الماءِ حين رميتَهُ فكأنّما العطشُ المُقدّسُ قنطره

وأخذتَ جرحَكَ للفراتِ ملأْتُهُ بغدٍ حسينيٍّ وروحٍ مُثمره

فتدفّقتْ أنهارُ غيرتكَ التي تجري كما تجري الصلاةُ بحيدره

وخيامُ أيتامِ انتظارِكَ مزّقتْ مُدنَ العويلِ وكلّ آهٍ مقبره

ظمأٌ يفجُّ وكلُّ شيءٍ أخضرٌ متوسّلاً يأتيكَ تُرجعُ أخضره

فنزفتَ كلّ الأمنياتِ وكلّ ما في الروحِ من قمحِ الوفاءِ لتبذره

وكأنّ هاماتِ الرماحِ زنابقٌ أضحتْ لديكَ وكلُّ جرحٍ جوهره

فمضيتَ تقطفُها شهيّةَ فارسٍ يبني على الجرحِ المُؤزّرِ منْبره

ولقد نثرتَ على الرؤوسِ قوافلاً للرعبِ سوداءَ الجحيمِ مُزمجرهْ

يا أيَّ جيشٍ قد قطعتَ رجوعَه وكأنّما كفّاكَ تقطعُ تذكره

لكنّهُ قدرُ الشهادةِ نورسٌ قد هزَّ غصنَكَ كي تُفجّرَ أنهُره

فمنحتَ روحَكَ طعمَ نصرٍ آجلٍ لتظلَّ قِربتُكَ السفينةُ مُبحره

وكسرْتَ جرّةَ حيرةٍ ريفيّةٍ بين الهديلِ وبين غُربةِ قُبّره

وجرحتَ هُدنةَ سيرتين تلاقتا عينَ الربيعِ ونبلةً مُتصحّره

تلكَ السيوفُ تجذّرتْ بظلامِها ويداكَ في شجرِ الضحى مُتجذّره

ها أنتَ بوحُ اللهِ مَسْبحُةُ المدى نهرُ الشروقِ عوالمٌ مُستبشره

كلُّ الخرائطِ تستميحُكَ خطوةً لتعودَ من معنى الجهاتِ مُحرّره

وبماءِ قِربتِكَ اللغاتُ توحّدتْ لُغةً وعن عطش الغيابِ معبّره

أقصى تجاعيد الطفوفِ تُريقُني وجعاً وطعنةَ قِربةٍ مُتكرّره

سفرٌ يُرتّقُ وحشتي بحكايةٍ صوفيّةِ التعبِ العتيقِ مُحيَّره

فانثرْ برعشةِ بردِ ذكركَ خاطري لتنامَ أخطائي بحضنِ المغفره

لأراكَ في الصبحِ اللذيذِ ترشّني فوق انتمائكَ قُبْلةً مُتبعثره

وافتحْ شبابيكَ انتصارِكَ في دمي لأطيرَ خارجَ خطوتي المُتعثّره

منذُ اغتراب الضوءِ في لغةِ الرُحى وأنا أرى العبّاسَ عيناً مُبصره